كلية الدراسات العليا
برنامج التاريخ العربي الإسلامي

رسالة ماجستير بعنوان

النخبة المقدسية بين عهدين:
الحميدي والترقي (1876- 1908) و (1908- 1917)

Urban Notable Elite of Jerusalem between Two Eras:Abdul al-Hamid and the Young Turks (1876 -1908) و (1908- 1917)

عيسى الزير

إشراف
الدكتور موسى سرور

بيرزيت – فلسطين

2016 م

كلية الدراسات العليا
برنامج التاريخ العربي الإسلامي

رسالة ماجستير بعنوان

النخبة المقدسية بين عهدين:
الحميدي والترقي (1876- 1908) و (1908- 1917)

Urban Notable Elite of Jerusalem between Two Eras:Abdul al-Hamid and the Young Turks (1876- 1908) و (1908- 1917)

عيسى الزير

إشراف
الدكتور موسى سرور

قدمت هذه الرساله استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت – فلسطين

2016 م

النخبة المقدسية بين عهدين الحميدي والترقي
(1876-1908)و (1908-1917)

Urban Notable Elite of Jerusalem between Tow Eras : Abdal al-Hamid and the Young Turks (1917-1908)or (1908- 1876)

عيسى الزير 1115581

آب 2016

لجنة الإشراف والمناقشة

د.موسى سرور (رئيسا)_____

د.نظمي الجعبة (عضوا)_____

د.عامر بركات (عضوا)_____

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات العليا في جامعة بير زيت ـ فلسطين

2016 م

الإهداء

إلى من علمني أبجدية الحياة ومعانيها .....إلى روح والدي الطاهرة رحمه الله.

إلى من بدفء عطائها يكبر الأمل .....أمي الحنونه أطال الله عمرها.

إلى من نشأت بينهم ومعهم، إلى أسرتي الغالية التي كانت عونا لي على أداء واجبي خلال مسيرتي التعليمية .

إلى فرسان العلم والاجتهاد

طلاب جامعة بير زيت

إلى كل اولئك أهدي هذا الجهد المتواضع.

الشكر

عرفانا بالجميل، واعترافا بالفضل والتقدير، فإنني أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور موسى سرور، لما بذل من جهد كبير في مطالعة هذا العمل ومتابعته، والذي كان بعلمه وخبرته ومعرفته الكبيرة أكبر الأثر في تنقيحه وتهذيبه وربط أجزائه حتى بدا على ما هو عليه.

كما أتوجه بالشكر إلى أعضاء اللجنة، الدكتور نظمي الجعبة والدكتور عامر بركات، لقبولهم نقاش هذا العمل ومتابعته وابداء الملاحظات القيمة.

المحتويات

الاهداء ..... أ
الشكر ..... ب
المحتويات ..... ج
ملخص الدراسة ..... ه
Abstract ..... ز
المقدمة ..... ط
الإشكالية وأسئلة الدراسة : ..... ل

الفصل الأول:النخبة المقدسية: خلفية تاريخية 1
المقدمة 2
مفهوم النخبة المقدسية 2
مكونات النخبة المقدسية: 3
مكانة وقوة النخبة المقدسية في المجتمع المحلي العثماني: 4
العلاقة بين النخبة المقدسية والإدارة العثمانية: 10
الخاتمة 16

الفصل الثاني:مواقف النخبة المقدسية من عهد السلطان عبدالحميدالثاني 17
مواقف النخبة المقدسية من تولي السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة 18
مواقف النخبة المقدسية من سياسة عبد الحميد الإصلاحية 22
السلطان عبد الحميد الثاني وإصلاحاته الخارجية 28
الخاتمة 37

الفصل الثالث: مواقف النخبة المقدسية من ثورة الإتحاد والترقي 1908 38
المقدمة 39
مواقف النخبة المقدسية من ثورة الإتحاديين 40

مواقف النخبة المقدسية من سياسة الإتحاديين الإصلاحية.....48
مواقف النخبة المقدسية من الجمعيات والحركات الإصلاحية العربية.....62
الخاتمة.....73

الفصل الرابع: الثابت والمتغير في مواقف النخبة المقدسية من العهدين الحميدي والترقي.....75
المقدمة.....76
أولويات ومحددات مواقف النخبة المقدسية من النظام السياسي العثماني.....78
مواقف النخبة المقدسية من العهدين بين المصالح الشخصية والإنتماءات الأيدلوجية 99
الخاتمة.....109
قائمة المصادر والمراجع.....112

ملخص الدراسة

تناولت الدراسة مواقف النخبة المقدسية من ثورة الإتحاد والترقي عام 1908، ومواقف النخبة المقدسية من سياسة الإتحاديين الإصلاحية، ومواقف النخبة المقدسية من الجمعيات والحركات الإصلاحية العربية، وأولويات ومحددات مواقف النخبة المقدسية من التحولات السياسية عام 1908، ومواقف النخبة المقدسية من المصالح الشخصية والإنتماءات الأيدلوجية.

شهدت القدس ونخبتها في الفترة الزمنية الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين، الكثير من التحولات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية التي رافقت النظام السياسي العثماني، اضطرت هذه النخبة للتعامل مع هذا النظام السياسي العثماني ومع هذه التغيرات إيجابا أو سلبا. جاء ذلك من خلال الدور التاريخي الذي شغلته النخبة في القيام بدور الوسيط، بين فئات المجتمع والسلطة العثمانية، وقد سعت هذه النخبة وضمن الإطار العائلي والطائفي، للحصول على المناصب الهامة، ضمن تنافس عائلي ووطني وطائفي، مكن هؤلاء من قيادة المجتمع الفلسطيني، وحركته الوطنية طوال القرن الماضي.

ساند بعض أفراد النخبة إن لم يكن غالبيتهم، النظام السياسي العثماني زمن السلطان عبد الحميد الثاني، ووقفوا مع السلطان في فرض قيود على نشاط الحركة الصهيونية في فلسطين والقدس خاصة.

لكن في المقابل عارض بعض هؤلاء النظام السياسي العثماني، زمن السلطان عبد الحميد الثاني، لا لشيء وإنما لتعليقه الدستور وحل مجلس المبعوثان وملاحقته من طالبوا بالإصلاح، وطالبوا بتوقف السلطان عن الحكم الفردي، معلنين إنضمامهم إلى جمعية الإتحاد والترقي حال ظهورها مصفقين للنظام الجديد الذي رفع شعار الحرية والمساواة والإخاء والعدالة، التي كان الناس متعطشين لها.

وشغل بعض هؤلاء المناصب والمراكز الرفيعة في الدولة، كمجلس المبعوثان مثل روحي الخالدي وسعيد الحسيني وفيضي العلمي، ومنصب الإفتاء مثل طاهر مصطفى

الحسيني ومحمد طاهر الحسيني وكامل افندي الحسيني، ورئاسة بلدية القدس مثل حسين راغب الخالدي وحسن سليم الحسيني وراغب النشاشيبي.

لكن لم تمض سنوات، حتى تغيرت مواقف بعض أعضاء النخبة إن لم يكن غالبيتهم. حيث وقف بعضهم باكيا على النظام السياسي العثماني الحميدي بخيره وشره، شاكين من النظام السياسي الإتحادي الجديد، بعد أن ساءت أحوالهم السياسية والإجتماعية والإقتصادية والأمنية وزادت الضرائب .

أدت هذه المواقف إلى ظهور ونمو مشاعر العداء المتبادل بين العرب ونخبتها وبين الأتراك وقادة جمعية الإتحاد والترقي، التي تبنت سياسة طورانية قائمة على تتريك عناصر الإمبراطورية العثمانية، وإعلاء العنصر التركي فوق كل العناصر، حتى أنه أصبح كل فريق يمجد آباءه وأجداده، وبدأت تتغير الأسماء والألقاب حتى الأناشيد والأغاني وأصبح شباب العرب يتجنبون شباب الأتراك في الشوارع والأماكن العامة. وزاد الطين بلة سياسة قادة جمعية الإتحاد والترقي، أمثال أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا، الذين لاحقوا الشباب العرب، المطالبين بالحرية والمساواة واللامركزية، ونتج عن هذا التوتر، تنامي روح العداء، وبدأ المزاج العربي في التغير، وتوجه بعض أفراد النخبة، للإنضمام إلى معسكر الحلفاء، أعداء الدولة العثمانية تحت شعار الثورة العربية الكبرى، التي أعلنها الشريف حسين وأنجاله عبد الله وعلي وفيصل، في 10 حزيران عام 1916م.

إلتحق بهذا المعسكر وهذه الثورة العربية، مجموعة من النخبة المقدسية تعبيرا وتعزيزا للجانب القومي في النفوس، وأخيرا انتهت الحرب العالمية الأولى وانتصر الحلفاء ودخلوا القدس.

Abstract

This study addressed the attitudes of the Jerusalem elite towards the 1908 the Committee of Union and Progress (CUP), Unionists, reform policies, and Arab reform movements and associations. In addition, it tackled all the diverse attitudes from the era of Abdul Hamid until the (CUP), including the Jerusalem elite's attitudes towards the political changes in 1908 as well as personal interests and ideological affiliations.

During the period from the end of the nineteenth century until the early twentieth century, the Jerusalem elite experienced various political, economic, social and cultural changes that were brought about by the shifts in the Ottoman political system. This elite had to deal with this new Ottoman political system along with it is positive or negative changes. In fact, this elite played a intermediary role historically between social groups, the Ottoman authority and the leadership, often within a domestic and communal framework. Thus this role enabled the elite members to assume important positions despite the national, religious and family rivalry, helping them lead Palestinian society and its national movement during the last century.

The majority of the elite members supported the Political system during the era of the Sultan of the Ottoman Empire, Abdul Hamid II, including also his restrictions on the activity of the Zionist movement in Palestine, ingeneral and in Jerusalem in particular. However, others opposed the Ottoman political system during the rule of Sultan Abdul Hamid II because he suspended the constitution and dissolved the Chamber of Deputies. They also demanded reforms and the end of the Sultan's totalitarian governance. Besides, they immediately joined the Committee of Union and Progress (CUP) which promoted the long-awaited values of liberty, equality and brotherhood and justice.

Some of these powerful people assumed senior positions in the empire including envoys such as Rawhi Al-Khalidi, Said Al-Husseini and Faidi Al-Alami, Muftis (Qadi) such as Tahir Mustafa Al-Husseini, Mohammad Tahir Al-Husseini and Kamel Afandi Al-Husseini, Jerusalem mayors such as Hussein Raghib Al-Khalidi, Hassan Salim Al-Husseini and Raghib Al-Nashashibi, and scholars such as Mohammad Isaaf Al-Nashashibi and Khalil Al-Sakakini.

However, years later, their attitudes changed significantly. They even lamented the former Sultan Hamid's political system, and regretted that they supported the new federal political system, which led to depressing political, social, economic, tax and security

conditions. These conditions led in turn to the emergence of mutual hostility between Arabs and Turks, especially in light of the CUP's policy of centralization and Turkification of the Ottoman Empire, which gave rise to Turkish nationalism. In this situation, each party glorified their ancestors, names and surnames, and even chants and songs changed, Young Arabs avoided their Turkish peers in the streets and public places. Things grew even worse when the CUP's leaders, such as Enver Pasha, Talaat Pasha, and Djemal Pasha, persecuted the Arab youth who called for liberty, equality and decentralization. These tensions led to increased hostility among the Arab populations which forced some members of the elite to join the Allied Powers, the enemies of the Ottoman Empire in the name of the Arab Revolt, which was declared by Sharif Hussein and his sons on June 8, 1916.

المقدمة

تأثرت القدس ونخبتها في الفترة الزمنية الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين، بالكثير من التغيرات في مختلف نواحي الحياة، التي رافقت فترة التنظيمات العثمانية، وما تلاها من تغيرات في النظام السياسي العثماني، اضطرت النخبة المقدسية إلى التعامل مع هذه التحولات، إمّا إيجابا أوسلبا. جاء ذلك نتيجة للدور التاريخي الذي شغلته هذه النخبة في القيام بدور الوسيط بين فئات المجتمع المقدسي من جهة، والسلطة العثمانية من جهة أخرى، فقد سعت هذه النخبة المقدسية، وضمن الإطار العائلي والطائفي، للحصول على المناصب الهامة ضمن تنافس عائلي ووظيفي أو ديني مكنها من قيادة المجتمع الفلسطيني وحركته الوطنية، ليس فقط طوال الحقبة العثمانية وإنما أيضا طوال الحقبة البريطانية، فقد برز منهم "يوسف ضياء "محمد الخالدي، روحي الخالدي، جرجي حبيب حنانيا، غالب الخالدي، الشيخ عبد القادر المظفر و الشيخ علي الريماوي، كما برز راغب النشاشيبي وأحمد عارف الحسيني، وفيضي العلمي كممثلي لحزب الإتحاد والترقي في دورة المبعوثان عام 1914م[1].

لذا رأت النخبة ضرورة التفاعل مع التطورات التي عصفت بالدولة العثمانية، خاصة في العهدين الحميدي 1876- 1908م والترقي 1908-1917م، للحفاظ على مكانتها وزعامتها ونفوذها التاريخي. ونتيجة للنفوذ الإجتماعي المهم، الذي شغله بعض أفراد النخبة المقدسية في المجتمع المقدسي، تمكن البعض منهم من الوصول إلى مناصب مهمة، مثل تمثيل الدولة العثمانية في الدول الأجنبية كحالة بعض أفراد عائلة آل الخالدي .

فكان "يوسف ضياء" محمد الخالدي النائب الوحيد عن فلسطين في أول برلمان عثماني بين أعضائه المائة والعشرون، ولقب" *مبعوث القدس الشريف*". وأثبت الخالدي خلال الدورتين القصيرتين في عام 1877 -1878م، نشاطا وحماسا لفكرة الدستور والإصلاح، وبرز في نقد السلطان عبد الحميد ومقاومته، والتصدي لمخالفة السلطان والحكومة لمواد الدستور. سانده في ذلك ستة عشر نائبا، بينهم نواب أتراك وأرمن، هذا فضلا عن النواب العرب المعارضين. ولقد لفتت آراؤه وانتقاداته الجريئة القناصل في الدولة العثمانية، وأشار إلى ذلك القنصل الأمريكي يوجين شيلر في 13 أيار 1877م قائلا:

---

[1]. قاسمية، خيرية ."الحملة الإنتخابية في متصرفية القدس عام 1914 م، عودة إلى المقدمات وتحليل التوجهات" **المجلة التاريخيةالعربية للدراسات العثمانية**.العدد 17 و18، أيلول 1998م ، ص388 .

"لقد أثار الخالدي زوبعة في البرلمان بجرأته، وأدهشني أنه يتكلم الإنجليزية بطلاقه، يوسف ليبرالي مثل جمهوري فرنسي في السياسية والدين. إنه ينتقد السلطان وموظفيه الفاسدين بألفاظ فظة"[2].

ومن الجدير بالذكر أن بعض النخبة المقدسية عارضت السلطان عبد الحميد والحكم العثماني، بإنضمامهم إلى جمعية الإتحاد والترقي التي كانت تسعى لإسقاط السلطان، أمثال"يوسف ضياء" محمد الخالدي، وحافظ السعيد وروحي الخالدي الذي أثار موضوع الصهيونية على منبر مجلس النواب قائلا:

"إن الصهاينه لا يريدون أقل من أرض الميعاد"[3].

ولكن بعد أن تغير النظام السياسي العثماني بعد ثورة عام 1908م، وعزل السلطان عبد الحميدالثاني، اختلفت مواقف النخبة المقدسية من هذه التغيرات، فبعد أن أيد بعضهم السياسيةالحميدية وكانوا ممثلين لها في القدس، عبر شغلهم مناصب رفيعة مثل رئاسة البلدية أو الإفتاء أو نائب القاضي، إلا أنهم سرعان ما هللوا للنظام الثوري الجديد، كما وصفوا النظام السابق بالظلم والإستبداد، وصفقوا للنظام الجديد الذي رفع شعار الثورة الفرنسية، الحرية والإخاء والمساواة والعدالة، أمثال راغب النشاشيبي، فيضي العلمي، محمد اسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني[4]. ولكن لم تمض إلاّ سنوات قليلة حتى تغيرت مواقف بعضهم باكيا على النظام الحميدي، شاكيا من النظام الجديد بعد أن ساءت أحوالهم الإقتصادية، بحيث جاوزوا الحد، وأخذ الناس يضجون من ثقل هذه التكاليف ويخشى أن لا يبقى شيئا بين أيدي الناس ...حتى نفذ الحطب ... فارتأوا أن يقطعوا أشجار الزيتون في سعد وسعيد (ضاحية من ضواحي القدس) ومحلات أخرى، كما أشار الى ذلك خليل السكاكيني في يومياته "*كذا أنا يا دنيا*" . وبلغ استياؤه حين اعتبرت الصحف العثمانية هذه الحرب جهادا مقدسا فكتب:

"*إذا صح ذلك تكون قد أثارت روحا قديمة ورجعت بنا مئات السنين الى الوراء*"[5].

---

[2]. صالح، جهاد أحمد. **الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين.** ج2. ط2. رام الله: الإتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينين، ص25.

[3]. الوعري، نائلة. **موقف العلماء والأعيان والإقطاعيين في فلسطين بين عام 1856-1914م.** ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 2012، ص215.

[4]. صالح، جهاد أحمد . **مصدر سبق ذكره**، ص436.

[5]. السكاكيني، خليل. **كذا أنا يا دنيا** .القدس: المطبعة التجارية، عام 1955م، ص80.

ونتج عن هذا الموقف، أن تم إبعاد خليل السكاكيني من القدس، حيث كتب في يومياته واصفا الموقف :

"لست أدري علام الحكومة العثمانية تريد إبعادي عن القدس، هل يظنون أن الإنجليز بحاجة إلى مثلي، وأنا لا أصلح إلاّ أن أكون معلما" .

وأشار خليل في يومياته إلى معاملة الأتراك قائلا: *كان يضربوننا بيد ويجاملوننا بيد أخرى"*[6].

وقد أدت هذه المواقف إلى ظهور مشاعر العداء المتبادل، وعدم الثقة بين العرب ممثلين بنخبتها وبين الأتراك، ونتج عن هذا التوتر في العلاقة، إنضمام بعض أفراد النخبة إلى معسكر الحلفاء، أعداء الدولة العثمانية تحت شعار الثورة العربية، كسعيد الحسيني الذي كان رئيسا لبلدية القدس عام 1908، وأعيد انتخابه للمبعوثان عام 1914، وسرعان ما انضم إلى حكومة الأمير فيصل برئاسة رضا باشا الركابي، وشغل منصب وزير الخارجية في تلك الحكومة. وحسن سليم الحسيني الذي خرج لتسليم مفاتيح المدينة للجيش البريطاني في التاسع من كانون أول عام 1917م. ويعبر خليل السكاكيني عن موقف النخبة في القدس من هذا الحدث ممجدا الأمير فيصل بقوله:

"رفع الأمير رؤوسنا" [7].

---

[6]. السكاكيني، خليل. **"كذا "مصدر سبق ذكره.** ص81.

[7] . السكاكيني، خليل. **"كذا" مصدر سبق ذكره .** ص155.

الإشكالية وأسئلة الدراسة :

تكمن إشكالية الدراسة في رصد الثابت والمتغير في مواقف النخبة المقدسية، من التحولات السياسية في النظام العثماني، بعد عزل السلطان عبد الحميد وتولي جماعة الإتحاد والترقي السلطة .

فما هي مواقف النخبة المقدسية من ثورة الإتحاد والترقي؟ وعزل السلطان عبد الحميد؟ فرغم أن ثورة الإتحاديين كانت ثورة ضد الخلافة العثمانية، ومناهضة للفكر القومي العربي، إلاّ أن النخبة المقدسية رحبت بها.

هل هذا الموقف جاء نتيجة لحفاظ هذه النخبة على مصالحها بعد التغيرات في النظام السياسي العثماني؟

أم أن هذا الموقف جاء نتيجة لحالة الظلم والاستبداد التي شهدتها البلاد العربية في ظل عهد عبد الحميد كما ادعى بعضهم؟

وإذا كان موقف النخبة الفلسطينية مؤيدا للإتحاد والترقي، فماهو موقفهم إذن من الفكر القومي العربي المناهض للإتحاديين والذي ظهر في بلاد الشام؟

واذا كان موقفهم مؤيدا وداعما للدولة العثمانية خلال العهدين الحميدي والترقي فلماذا تحالفوا مع بريطانيا إذا للقضاء على الخلافة العثمانية تحت شعار الثورة العربية الكبرى؟

وهل كان للإنتماء الطائفي بمعنى مسلم ومسيحي دور في الاختلافات في مواقف النخبة المقدسية تجاه تلك الفترتين ؟

وهل فعلا مسيحيو فلسطين كانوا ضد العهدين معا ومساندين للحركة القومية العربية؟

وتفترض الدراسة أن غالبية النخبة المقدسية قد رحبت بثورة الإتحاد والترقي، باعتبارها ثورة ضد الظلم والإستبداد الحميدي، وإنه للحفاظ على مصالحها ونفوذها لم يكن بإمكانها، إتخاذ مواقف معارضة لسياسة الإتحاديين، رغم عداء الإتحاديين للعرب والعروبة ودعمهم للحركة الصهيونية. وأن مواقف هذه النخبة لم تكن ثابتة، تجاه العهد الحميدي والترقي، وإنما كانت مواقف متحولة بناء على مصالح شخصية آنية تسير مع التيار السياسي السائد.

تكتسب هذه الدراسة **أهميتها** من كونها تعالج موضوعا في غاية الأهمية، ولم يلق موضوع هذه الدراسة حظا وافرا وبحثا دقيقا من قبل المؤرخين العرب. تأتي أهمية الدراسة

باعتمادها على الكثير من المصادر الأولية مثل صحيفتي فلسطين والكرمل، والمذكرات والسير الذاتية مثل يوميات خليل السكاكيني ويوميات جندي عثماني والمذكرات الجوهرية، التي تعد منبعا أساسيا، للمعرفة التاريخية حول تلك الحقبة من الزمن، وفهم طبيعة وخلفيات ومواقف النخبة الفلسطينية عامة والمقدسية خاصة، من التحولات التي عصفت بفلسطين خلال تلك الفترة الممتدة بين عامي 1876-1917م.

من أجل تحقيق الأهداف المرجوة من الدراسة، اعتمدت على تطبيق **المنهج التاريخي المقارن** وذلك لمقارنة سياسة السلطان عبد الحميد الثاني، وسياسة الإتحاد والترقي، وعلاقاتهما مع العرب وموقف النخبة المقدسية ازاء التطورات التاريخية، بين فترة حكم 1876-1917م، ومقارنة الوضع الإقتصادي في العهدين.

هذا بالإضافة إلى تطبيق **المنهج التحليلي**، القائم على تحليل مواقف النخبة المقدسية من سياسة السلطان عبد الحميد الثاني، تجاه فلسطين والحركة الصهيونية وعلاقته بالعرب، ومن جهة أخرى تحليل مواقف النخبة من الإتحاد والترقي وسياستها تجاه العرب والحركة الصهيونية.

يأتي ذلك من خلال رصد وتحليل مواقف أفراد النخبة المقدسية الواردة في الصحافة الفلسطينية المعاصرة مثل الكرمل وفلسطين، وفي كتب الأعلام والمذكرات والسير الذاتية. هذا بالإضافة إلى تحليل محاضر اجتماعات، وقرارات مجلس بلدية القدس والمحفوظة في الأرشيف الصهيوني في القدس، وفي مؤسسة إحياء التراث في أبو ديس.

ولعل أبرز **الصعوبات** التي واجهتني أثناء إعداد الدراسة، هي أن مدينة القدس كانت جزءا لا يتجزأ من بلاد الشام، ومن الصعب فصل دور النخبة المقدسية في تلك الفترة عن باقي النخب التي ظهرت في بلاد الشام.

كذلك كان هناك صعوبة في الوصول إلى مدينة القدس والوصول إلى سجلاتها ووثائقها للإطلاع عليها بسب الحواجز والظروف الأمنية الخاصة بها.

لا توجد **دراسات** تخصصت في هذا الموضوع، موقف النخبة المقدسية من عهدي السلطان عبد الحميد وجمعية الإتحاد والترقي. فغالبية هذه الدراسات ركزت على النخبة وتعريفها وتكوينها ومعناها وعناصرها ولم تتطرق إلى مدى تأثير هذه النخبة على الوضع السياسي والإقتصادي والإجتماعي والثقافي، ومن هذه الدراسات دراسة بعنوان **التاريخ**

الإجتماعي الفلسطيني بين غابة الأرشيف وأشجار الحكايات. والمنشورة في جامعة بيرزيت بواسطة معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية في تموز 004 2 م واقتصرت هذه الدراسة على أدب الحياة الإجتماعية، وتجربة الإنسان الفلسطيني في اللجان القومية، وكذلك ربطت بين حداثة القدس في المخيلة العامة، في صيرورة انتقال سكانها خلال القرن الماضي، من داخل أسوار البلدة القديمة إلى أحيائها الحضر في غرب المدينة وشمالها، وحملت هذه وجهتين، هروب من التقاليد الإجتماعية، وهروب من الطقوس الدينية .

كذلك دراسة حسن خضر بعنوان **خصوصية ونشوء وتكوين النخبة الفلسطينية** والمنشورة في جامعة بيرزيت، بواسطة معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية عام2003م، واقتصرت هذه الدراسة على توضيح مفهوم النخبة وتكوينها، وما طرأ على تشكيلها من بداية القرن العشرين، سيما أن الوضع الفلسطيني والمقدسي بشكل خاص، قد مر في مراحل وتقلبات عديدة، ولم يتطرق إلى النخبة المقدسية بشكل واضح.

كما ركزت بعض الدراسات مثل دراسة عادل مناع، **أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني**، الذي تحدث فيها عن أعلام فلسطين في تلك الفترة، وتناول أحد أفراد النخبة، وهو "يوسف ضياء" محمد الخالدي (1842-1906م) موضحا الدور الذي لعبه الخالدي، كونه رئيسا لبلدية القدس، ومترجما ومتصرفا ومعارضا للهجرة الصهيونية إلى فلسطين، واهتماماته بالطوائف الدينية.

وكذلك دراسة باللغة الإنجليزية للمؤرخ رشيد الخالدي[8] جاءت بعنوان :

Palestinian Identity- The construction of Modern National Consciousness-

Rashid khalidi

[8]Rashid,Khalidi .**Palestinian Identity**.
The Construction of Modern National Consciousness Amajor contribution to Historical Palestinian Foreign Affairs . Newyork, Colombia University , 1997, P. 50.

CONTENTS

Preface

Chapter 1	Introduction
Chapter 2	Contrasting Narratives of Palestinian Identity
Chapter 3	Cultural Life and Identity in Late Ottoman Palestine: The Place of Jerusalem
Chapter 4	Competing and Overlapping Loyalties in Ottoman Jerusalem
Chapter 5	Elements of Identity I: Peasant Resistance to Zionist Settlement
Chapter 6	Elements of Identity II: The Debate on Zionism in The Arabic Press

كذلك هناك دراسة ركزت على القدس تحت حكم تركيا الفتاة بقلم عصام نصار، حيث تناولت توجهات حركة تركيا الفتاة، المتعلقة بالمواطنين العرب في الدولة العثمانية، في الفترة الزمنية عام 1908م حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، تطرقت بإيجاز إلى علاقة الشخصيات المقدسيه بتركيا الفتاة، وركزت هذه الدراسة على النشاط الصهيوني وعلاقة اليهود بسكان فلسطين، والأحداث المرتبطة بالدولة العثمانية خاصة فيما يتعلق بإدارتها وأنشطتها السياسة.

من هنا يظهر لنا جليا أن هذه الدراسات رغم تعددها، لم تعالج بشكل واضح وجلي موضوع النخبة المقدسية في عهدي السلطان عبد الحميد الثاني والإتحاد والترقي، خاصة وأن هذه الدراسات لم تستخدم بمجملها المصادر الأولية الهامة لدراسة مثل هذا الموضوع،

وبذلك تكون هذه الدراسة متميزة في طرح الموضوع، معتمدة على الصحف والأعلام والمذكرات، التي تغطي الفترة الواقعة بين عام 1876-1917م، التي شهدتها القدس خاصة وفلسطين عامة، وموقف النخبة من هذا الصراع.

وعليه تتكون الدراسة من أربعة فصول، الفصل الأول يحمل عنوان"**النخبة المقدسية خلفية تاريخية**"، وفيه تم الحديث عن مفهوم ومكونات النخبة المقدسية، مكانة وقوة النخبة المقدسية في المجتمع المحلي العثماني، والعلاقة بين النخبة المقدسية والإدارة العثمانية .

أما الفصل الثاني فيحمل عنوان "**مواقف النخبة المقدسية من عهد السلطان عبد الحميدالثاني**"، وفيه سنتناول مواقف النخبة المقدسية من تولي السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة، و مواقف النخبة المقدسية من سياسة عبد الحميدالثاني الإصلاحية و عزله.

أما الفصل الثالث فيحمل عنوان "**مواقف النخبة المقدسية من ثورة الإتحاد والترقي 1908م**". وفيه سنتناول مواقف النخبة المقدسية من ثورة الإتحاديين، ومواقف النخبة المقدسية من سياسة الإتحاديين الإصلاحية، ومن الجمعيات والحركات الإصلاحية العربية .

أما الفصل الرابع فيحمل عنوان "**الثابت والمتغير في مواقف النخبة المقدسية من العهد الحميدي والترقي**"، ويضم أولويات ومحددات مواقف النخبة المقدسية من النظام السياسي العثماني، والتوافق والتباين في مواقفها من التحولات السياسية 1908م، ومواقفها من العهدين بين المصالح الشخصية والإنتماءات الأيدلوجية .

الفصل الأول

النخبة المقدسية: خلفية تاريخية

المقدمة

تعتبر ظاهرة النخبة ومكوناتها، من الظواهر التي ارتبطت بالمجتمعات البشرية عبر التاريخ، والنخبة في أواخر العهد العثماني، هي امتداد لوضع طبيعي، تكونت عبر العهد العثماني، وتطورت في نهاية الدولة العثمانية، وقد تغلغلت النخبة بكل مستوياتها في كافة النظم المجتمعية.

تتمثل النخبة بالأعيان والعلماء وأصحاب القلم، الذين تعلموا في مدن مختلفة مثل إسطنبول، القاهرة، بيروت وباريس، وزادهم قوة إنتسابهم للأشراف[9]، وشغل أبنائهم مراكز إدارية محلية وخارجية.

وسنتحدث في هذا الفصل، عن النخبة المقدسية من حيث: الدلالة، المكونات والإنتماءات العائلية. هذا بالإضافة إلى، مكانة النخبة في المجتمع المحلي العثماني، والوظائف والمراكز والمناصب التي شغلتها، والعلاقة بين النخبة المقدسية والإدارة العثمانية.

كما سيتم التطرق إلى الدور الذي قامت به هذه النخبة، كوسيط بين فئات المجتمع، والنظام السياسي خلال عهدي السلطان عبد الحميد الثاني(1876-1908م) وعهد الإتحاد والترقي بين عامي (1908-1917م).

مفهوم ومكونات النخبة المقدسية

النحبة مفرد، وجمعها النخب ، وتعني يختار أي العنصر المختار، ففي البداية أشار المفهوم إلى السلع وجودتها، وفي العصر الحديث تغيرت الدلالات.والمصطلح عندما استخدم في العلوم الإجتماعية، أصبح يشير إلى السمو والرفعة في المكان والسلم الإجتماعي، مثل كبار العسكريين والنبلاء[10].

أمّا التعريف اللغوي، ففي معجم لسان العرب لإبن منظور، يرجع كلمة النخبة إلى انتخب الشيء، أي اختاره ونخبة القوم خيارهم[11].أمّا التعريف الإصطلاحي فكلمة النخبة تدل على الشيء الأفضل الذي يستحق الإختيار، والأفضلية تدل على الفئات الأكثر ثقافة في المجتمع والأكثر قدرة على إدارة هذا المجتمع وخدمته[12].

---

[9].عوض، عبد العزيز."متصرفية القدس في أواخر العهد العثماني". **شؤون فلسطينية**. العدد4، 1971، ص126-141.

[10].عمير، ميسون محمد أحمد. **النخب السياسية وأثرها على الوحدة الوطنية،(نخبة المجلس التشريعي الثاني نموذجا)**. نابلس: جامعة النجاح الوطنية،2012، ص13.

[11].ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم .**لسان العرب**. بيروت: دارالفكر، 1956، ص751.

[12].ذبيان، سامي. **قاموس المصطلحات ا لسياسية والإقتصادية والإجتماعية**. لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1990، ص242.

أمّا معجم المصطلحات السياسية والدولية، فقد أشار إلى أن Eilte، يقابلها بالعربية الصفوة، وتلعب هذه الصفوة دورا قياديا وسياسيا، في إدارة جماعاتهم من خلال الإعتراف التلقائي بهم[13].

ومما ذكر نقول أن مفهوم النخبة يشير إلى جماعة من الناس، الذين يحتلون مكانة مميزة في المجتمع. وهو مفهوم قديم ارتبط ظهوره تاريخيا بالحاجة إلى تنظيم وممارسة السلطة، وعملية صنع القرار والتأثير عليه، بما تملك النخب من أدوات السيطرة على الجيش، والمكانة الدينية والتفوق العرقي أو القبلي، مما يؤهلهم لتمثيل المصلحة العامة[14].

وأخيرا النخبة هي الفئة التي تصوغ وعي الأمة وتحولها إلى إرادة وتحقق الإرادة في إنجازات، وفي نهاية المطاف فإن أداة النخبة في المجتمع هي زواج المال بالقوة، بمعنى انه يجب أن تتوافر لدى النخبة، من أجل أن تكون صاحبة قرار إقتران المال بالقوة .

مكونات النخبة المقدسية:

يشير الباحثون إلى أن النخبة ظاهرة اجتماعية ظهرت وتبلورت في معظم المجتمعات الإنسانية، ولا ينطبق هذا المفهوم على شخص واحد، وإنما على مجموعة من الأفراد الذين يمتلكون قدرات تميزهم وتمكنهم من صنع القرار أو التأثير عليه، وقد يتجاوز القرار أحيانا المصلحة الفردية إلى المصلحة العامة.

وكانت النخبة المقدسية لقرون عدة خلال العهد العثماني، تتكون من العلماء ورجال الدين والقلم الذين وصفوا بالأفنديات، وأطلق عليهم بعض الباحثين:

> *" العلماء والأعيان وهم الممثلون التقليديون لمصالح سكان المدينة الذين لم تكن الوظائف العسكرية والإدارية محط أنظارهم حتى لو شغلوها أحيانا "*[15] .
>
> على عكس أغاوات نابلس وبيكاتها الذين تولوا حكم اللواء عدة أجيال، على حد تعبير إحسان النمر في كتابه " تاريخ جبل نابلس والبلقاء" الذين أسماهم " *بالأمراء أحيانا* "[16].

---

[13]. بدوي، أحمد زكي. **معجم المصطلحات السياسية الدولية**. القاهرة: دار الكتاب المصري،1989، ص52.

[14].خضر، حسن. **خصوصية نشوء وتكوين النخبة الفلسطينية**.ط1. رام الله: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، مؤسسة الناشر للدعاية والإعلان، نيسان،2003، ص11.

[15].مناع، عادل . النخبة المقدسيةعلماء المدينة وأعيانها"**حوليات القدس**. العدد4، القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، شتاء 2006، ص10.

[16].النمر،أحسان. **تاريخ جبل نابلس والبلقاء.** ط1. نابلس: مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، 1975م، ص85.

والنخبة لا تقتصر على طبقة أوفئة معينة من المجتمع، وتكون على تواصل بالعملية السياسية ولهم ركائز في المجالات الإقتصادية والفكرية والاجتماعية، ولهم من التمايز في المواهب والكفاءة والامكانيات الوظيفية والاجتماعية والمالية ما يمكنهم من صنع القرار وتنفيذه .

ونرى أفنديات القدس قد تنافسوا على الوظائف الهامة في المدينة المقدسة كالإفتاء ونقابة الأشراف ورئاسة البلدية. وأما الوظائف الإدارية والعسكرية فتركت لأبناء الدرجة الثانية[17].

وامتازت النخبة الفلسطينية عموما والمقدسية خاصة، بالولاء للعائلة والعمل في إطار مصالحها وأهدافها ومقتضيات تنافسها مع العائلات الأخرى. واستطاع بعض أفراد النخبة الحصول عل فرمانات ومناصب سلطانية، منحوا من خلالها، الحق في تسلم وظائف دينية، خاصة الأوقاف أو حكومية أو جمع الضرائب والأعشار مما سمح لهم بالسيطرة على مزارع وقرى فلسطينية الأمر الذي مكنهم من زيادة نفوذهم الإجتماعي والمالي.

ورغم تمكن النخبة المقدسية من تجاوز الانقسامات الطائفية من مسلمين ومسيحيين وانسجامهم في نشاطاتهم ومؤسساتهم وتشكيلاتهم المرجعية والإدارية، إلاّ أنها فشلت في تجاوز الإنقسام العائلي.

وعلى أي حال كانت الدولة العثمانية هي المرجعية السياسية لهذه النخبة، وقد أثرت علاقات الدولة العثمانية الخارجية على تلك النخبة، والتي بدأت منذ أواخر العهد العثماني بالانفتاح على الغرب. مكن هذا الإنفتاح من اطلاع بعض أفراد النخبة المقدسية، على جوانب الحضارة الغربية، وأخذت تنقل هذا التأثير للمجتمع الفلسطيني والمقدسي فيما بعد. وكان من نتائج هذا الإنفتاح، أن شهدت النخبة عموما إنقساما بين فئة تقليدية، تلقت تعليمها في المدارس الإسلامية التقليدية، وسعت جاهدة للحفاظ على الطابع الإسلامي للمجتمع، وفئة أخرى تلقت التعليم في المعاهد العلمية التبشيرية الأوروبية، وآمنت بالتغير والتقدم من خلال الإقتباس من الثقافة الأوروبية[18].

مكانة وقوة النخبة المقدسية في المجتمع المحلي العثماني:

كانت القدس منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر مركزا للمتصرفية، وحظيت نخبتها من الأفنديات نفوذا واهتماما وتأثيرا واضحا، واستفادت هذه النخبة كذلك من سياسة التنظيمات فعززت مكانتها وتأثيرها[19].

---

[17] مناع، عادل. **"النخبة المقدسية" مصدر سبق ذكره.** ص59.

[18]. حموده، سميح .**مصدر سبق ذكره**. ص63.

[19]. تماري، سليم. **عام الجراد والحرب العظمى ومحو الماضي العثماني في فلسطين**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2008 م، ص5.

حافظت النخبة على قنوات إتصال مفتوحة بين الفئتين المتوسطة والفقيرة من المجتمع، فالنخبة يحتاجون إلى كسب الشرعية، والأهالي يتقربون منهم من أجل قضاء حاجاتهم وكسب حمايتهم أمام الدولة، واستطاع أفراد النخبة من تحصين مكانتهم العالية، ووصولهم إلى الوظائف دون الإحتكام إلى السلاح، بل إلى قوة المال والجاه والسلطان، وشبكة العلاقات المتينة برجال الدولة في دمشق والأستانة[20].

وخير مثال على عائلات النخبة المقدسية في القدس**آل الخالدي**الذين اهتموا بالعلم، محتلين مكانة مهمة من بين علماء القدس وأعيانها وأفندياتها، خلال أجيال متعاقبة، فنجحوا في احتكار وظائف المحكمة الشرعية وتوريثها لأبنائهم من خلال كونهم قضاة، ونوابا للشرع وكتابا في المحكمة الشرعية. حيث كانت الدولة العثمانية تشترط فيمن يعمل في المحاكم الشرعية، الحصول على شهادة من المدارس العثمانية في إسطنبول، وكانوا يشغلون وظائف المحكمة الشرعية ومنافسة عائلات الأشراف مثل آل الحسيني[21] .

حافظ آل الخالدي رغم الصعود والهبوط، على علاقات وطيدة مع كبار رجال الدولة العثمانية في دمشق واسطنبول، واندمجوا في المناصب الحكومية المهمة في داخل فلسطين وخارجها، الذي أصاب مكانتهم خلال العهد العثماني، واندمجوا في المناصب الحكومية المهمة داخل فلسطين وخارجها. وكذلك برزوا أيضا كمؤيدين للإصلاحات العثمانية خلال فترة التنظيمات وما بعدها، وصعد نجمهم إثر تراجع الإدارة العثمانية في القرن التاسع عشر، وتقربوا من زعماء الحركة الإصلاحية ورجالاتها، وأصبحوا مؤيدين ومناصرين للإصلاح والتغير، وظهر هذا بصورة واضحة أيام رئيس بلديتها ومبعوث القدس الشريف "يوسف ضياء"محمد الخالدي[22].

ومن العائلات المقدسية المشهورة في القدس **آل الحسيني** الذين تربعوا على رأس عائلات النخبة المقدسية، ونجحت هذه العائلة في شغل منصب مفتي الحنفية ونقابة الأشراف ومشيخة الحرم القدسي الشريف. بالإضافة إلى تولي وقف النبي موسى وتنظيم الموسم والزيارة لهذا المقام سنويا، وكذلك إمامة الشافعية في المسجد الأقصى، رغم اعتناق بعض أفراد العائلة الحنفية، تقربا من الدولة، من أجل الوظائف المدنية والإدارية[23].

---

[20]. مناع، عادل. **أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني1800-1914م.** ط3. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية،1997 ،ص19.
[21]. مناع، عادل. **"لواء القدس" مصدر سبق ذكره**. ص200.
[22].عوض، عبدالعزيز. **"متصرفية القدس" مصدر سبق ذكره**. ص131.
[23]. مناع، عادل. **"النخبة المقدسية" مصدر سبق ذكره**. ص10.

ونستطيع أن نقول أن آل الحسيني، حافظوا إلى حد كبير على مكانتهم في فترة التنظيمات، واستفادوا بصورة خاصة من سياسة السلطان عبد الحميد الثاني، وكذلك حافظوا على نفوذهم في القدس، فكان ذلك الأساس الطبيعي لقيادتهما الحركة الوطنية خلال فترة الإنتداب البريطاني[24].

ولم تقتصر العائلات المقدسية على آل الحسيني والخالدي، وإنما كان هناك عائلات أخرى **كآل العلمي**، التي حافظت على مكانتها بين العائلات المقدسية وأفندياتها وارتبط اسمها بالحركات الصوفية، وأشرفت على الخانقاه الصلاحية جوار كنيسة القيامة، بالإضافة إلى وظائف أخرى في غزة واللد والرملة [25].

أمّا آل **الدجاني(الداودي)** كان لهم علاقة وثيقة بالحركات الصوفية، خصوصا في معقلها زاوية النبي داوود في القدس، حتى أن الحي سمي بالداودية، وكانت مفاتيح هذا المقام في أيدي العائلة أجيال طويلة، ورفضوا تسليم المفاتيح، حتى بعد تأسيس المجلس الإسلامي الأعلى، وكان لهذه العائلة حظا وافرا بالتجارة وهي من العائلات الأوفر ماديا [26].

وبرز **آل النشاشيبي** في وقت متأخر عن باقي أفراد العائلات المقدسية في القدس، وتمثل بروزها في انتخاب عثمان النشاشيبي عضوا في مجلس المبعوثان عام 1912م، وراغب النشاشيبي الذي عمل مهندسا لمتصرفية القدس، وتم انتخابه في مجلس المبعوثان عام 1914م ، وكانوا تجارا وأصحاب ثروة [27].

وكذلك ظهر آل الجماعي وعرفوا فيما بعد **بآل الخطيب**، إحتفظوا بوظيفة إلقاء خطبة الجمعة في المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة. وهنالك أيضا عائلة **الإمام** التي اهتمت بإمامة المصلين في الصلوات. وعائلة جار الله التي مارست وظائف التدريس وخدمة المساجد، وعرفت بمهنة المحاماة، وعرفت باسم جارالله بعد أن سقط عنها الإسم القديم أبو اللطف وكنيته الحصكفي[28].

وظهرت عائلة **الأنصاري** الذين اهتموا بسدانة الحرم القدسي الشريف، حتى أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال البريطاني. وعائلة **البديري** حديثة العهد في المدينة وهي من أصل مغربي ولم تنافس العائلات الأخرى على المراكز والمناصب الهامة.

---

[24]. مناع. عادل. **"لواء القدس" مصدر سبق ذكره.** ص200.
[25].مناع، عادل. **"تاريخ فلسطين" مصدر سبق ذكره.** ص211.
[26].صالح، جهاد أحمد. **"الرواد" مصدر سبق ذكره**. ص289.
[27].مسعود، قدري جمال جميل.**عائلة الحسيني في مدينة القدس ودورها الإجتماعي والإقتصادي والسياسي 1918-1939.** جامعة اليرموك: رسالة ماجستير، 1998 م، ص40.
[28].مناع، عادل. **"لواء القدس" مصدر سبق ذكره.** ص209.

وامّا عائلات **الجاعوني والعفيفي والعسلي والقطب**، بعضهم انخرط في الأجهزة العسكرية المحلية، وبعضهم اكتفوا بالوظائف البسيطة مثل نسخ الكتب وتدريس الأولاد وخدمة المساجد مثل **الفتياني والموقت وجوده**[29].

فرغم إهتمام العثمانيون بأن يكون حاكم القدس موظفا عثمانيا غير محلي، حيث حرم أبناء العائلات المحلية من حكم لواء القدس، وكانوا جلهم من الأتراك، إلاّ أن النخبة حافظت على مكانتها ودورها الريادي في القدس[30]. فعند تأسيس بلدية القدس في العقد السابع من القرن التاسع عشر، وما ترتب عنها من مناصب سياسية وإدارية، إستغلت النخبة هذا المؤسسة الجديدة في تدعيم نفوذها. فكان أول رئيس لبلدية القدس عبد الرحمن الدجاني، وتقلب على هذا المنصب الكثير من آل الخالدي والحسيني ، وشغلوا رئاسة البلدية في فترات مختلفة إلاّ أن آل الحسيني كان لهم النصيب الأوفر بتسلم البلدية مثل سليم الحسيني وحسن سليم الحسيني وموسى كاظم الحسيني[31].

واستطاعت النخبة من الأشراف المحافظة على نقائها العائلي فلم يزوجوا الإناث والذكور إلاّ زواجا داخليا. ونستطيع القول أنهم اعتبروا أنفسهم من أقدم الأسر، التي سكنت وعاشت في فلسطين وسيطروا على الحياة الإجتماعية في متصرفية القدس. والمفيد أن فئة الأفنديات في القدس لم تشمل علماء وأعيان من أصول فلاحية، فالحدود الإجتماعية بين الريف والمجتمع المقدسي كانت حادة وواضحة، وشكلت النظم الإجتماعية فيها حاجزا عاليا يصعب تخطيه والقفز عنه. وقد حاول مشايخ القرى والنواحي، في النصف الأول من القرن التاسع عشر،أن يلعبوا دورا سياسيا واقتصاديا مهما تعدى المناطق الجبلية، إلاّ أن هذا الدور تم القضاء عليه من قبل الدولة وبالتعاون مع أعيان المدينة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[32].

وتباهت بعض العائلات المقدسية بميزة اتصالها بالسلالة النبوية الشريفة، واستمدت مكانتها وقوتها ونفوذها ضمن النسب لآل البيت كعائلة الحسيني وأبو السعود، واستقرت هذه النخب في مدن المتصرفية، وشغلت منصب الإفتاء ونقابة الأشراف وهما أهم منصبين في متصرفية القدس، وكاناغير وراثيين، وكان لنقيب الأشراف نقيب نقبائهم ومقره إسطنبول، وكان لكل منطقة نقيب ويصدر تعين النقيب من إسطنبول ويصادق عليه نقيب نقباء الأشراف.

---

[29].مناع، عادل. **"لواء القدس" مصدر سبق ذكره.** ص213.
[30].مناع، عادل. **"لواء القدس" مصدر سبق ذكره.** ص288.
[31].تماري، سليم .عصام نصار. **مدينة الحجاج والأعيان والمحاشي**. القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية ،2005م، ص75.
[32].مناع، عادل. **"لواء القدس" مصدر سبق ذكره.** ص17 .

ومنصبي الإفتاء ونقابة الأشراف لم يكن للمتصرف حق التعين والعزل لهذين المنصبين، والنقيب يبقى لمدة سنة قابلة للتجديد، ولا يسمح بوضع العمامة الخضراء إلاّ بموافقة النقيب، فقد جاء في فرمان تولية أحد النقباء الأشراف:

"فواجبكما إقرار واحترام من ينتمون إلى السلالة النبوية الطاهرة وبيدهم إنسان طاهر، وزجر ومنع من يضعون العمامة الخضراء بلا نسب طاهر، وكل من يدعي النسب يجب إحالته لطرفنا لتأديبه مع حماية الأشراف من أي مداخلة أو تعدي أو تحيز من الحكام وأن لا يكلفوا بدفع قرش واحد"[33].

وتجدر الإشارة إلى الإمتيازات التي منحتها الدولة العثمانية، لبعض أفراد النخبة المقدسية خاصة الأشراف، منها كالإعفاء من الضرائب وعدم المشاركة في الحملات العسكرية، وعدم المساهمة في التكاليف الحربية حين يفرضها السلطان أو الولاة[34].

وقد تحولت بعض هذه العائلات إلى أسر إقطاعية في فلسطين والقدس، وامتلكت بأثمان زهيدة قرى بأكملها تقريبا مثل آل الحسيني وعبدالهادي والغصين وأبو خضر والفاهوم، وأسر أصبحت من كبار التجار مثل آل العلمي والدباغ والنمر والنشاشيبي التي مثلت الجيل الأخير لطبقة الإقطاعيين، الذين سيطروا على أراضي واسعة في متصرفية القدس. وأخذت عائلة **النشاشيبي** تحتل موقعها التجاري والنخبوي منافسة عائلة الحسيني على بعض المراكز والمناصب[35].

وهذا التنافس العائلي أمر طبيعي، محوره المركز والمنصب والقيادة و الزعامة والتقرب من رجال الدولة والإدارة العثمانية في دمشق والأستانة. مع هذا كان التنافس أدبيا ، ولم يصل الى حد التصارع فمثلا لم تتنافس أسرتي الخالدي والحسيني على الوظائف نفسها، وإنما حافظت هاتين العائلتين على علاقات التعاون، وتعززت العلاقة بينهم عن طريق المصاهرة أوائل القرن التاسع عشر[36].

وكان لبعض العائلات علاقة وثيقة الصلة بالطوائف كالروم واللاتين والأرمن، ويتصدرون الدفاع عنها وعن المؤسسات الأجنبية في القدس كالقنصليات وغيرها، ورغم كل الظروف فقد كانت النخبة تلعب دور الوسيط بين الدولة والأهالي، فهذه الفئة أقامت علاقات التعاون مع رجال الدولة

---

[33].مسعود، قدري جمال جميل. **"عائلة الحسيني"مصدر سبق ذكره**. ص38.

[34].مسعود، قدري جمال جميل. **مصدر سبق ذكره** . ص44.

[35].شبيب، سميح. **الأصول الإقتصادية والإجتماعية للحركة السياسية في فلسطين من عام 1920-1948م**. ط1. عكا، رام الله: مؤسسة الأسوار، بالتعاون مع وزارة الثقافة الفلسطينية، 1999 ، ص15 .

[36]. مناع، عادل. **"لواء القدس" مصدر سبق ذكره.** ص214.

العثمانية، ومن جهة أخرى حافظت على كونها جزءا عضويا من السكان المحليين وثقافتهم، الأمر الذي مكنها من أداء دور الوسيط والتأقلم وفق المتغيرات السياسية وتجييرها لمصلحتها [37].

وبعد الفترة الدستورية بين عام 1876-1878م، تأقلم كثيرون من أفنديات متصرفية القدس، وعلى رأسهم آل الحسيني وفق تغيرات العصر وسياسته، فحافظوا على مكانتهم المتقدمة، منذ أواسط القرن العشرين، واستطاعت أفنديات متصرفية القدس الإستفادة من سياسة الإصلاحات العثمانية التي سمحت ببسط نفوذهم إلى المناطق المجاورة من غزة جنوبا إلى نابلس وجنين شمالا[38].

واستفادت هذه النخبة من تأخر حالة الدولةالعثمانية، وإدارتها التي أصبحت أقل مركزية، فسمحت لعلماء هذه المدن وأعيانها بحيز أكبر من المشاركة، وهكذا تبلورت هرمية اجتماعية لم تتبدل، ولم تتغير كثيرا على الرغم من رياح الإصلاح والتنظيمات التي هبت على المنطقة. فقد عايشت هذه النخبة فترات صعود وهبوط في مكانتها ونفوذها، لذا فإن بعض المحاولات التي جرت من الولاة لتعين بعض المشايخ لا يرضى عنهم الأهالي، كانت تؤدي إلى نزاعات وعدم الاستقرار، إلاّ بعد عودة مرشح الأهالي وظيفته وزعامته[39]. وبعد عودته يلوح بالدعم الإجتماعي الذي يحظى به وبقدرتهم على مساعدة السلطان في تمرير سياسته بين الأهالي. وكانت النخبة تؤدي دورا مميزا في الحياة السياسية وقيادة المجتمع وحركته الوطنية، مستغلة سوء الأحوال الإقتصادية، وضعف الدولة وشدتها في تحصيل الضرائب والتجنيد الإجباري، لتمارس نفوذها على الفلاحين وأصحاب الحرف والعمال والتجار الصغار، لتدافع عنهم لدى الدوائر الحكومية مقابل الهدايا النقدية والعينية وتزويد منازل النخبة في المدينة بالزيت والحبوب، وفي نهاية المطاف تضع النخبة يدها على أراضي الفلاحين، وتسجيلها بأسمائهم وبذلك تمكنت من جمع مقومات العلم والمال[40].

وأخيرا نشير إلى أن النخبة المقدسية اكتسبت خبرة أكثرمن غيرها من الشرائح الإجتماعية، في العقود الأخيرة من العهد العثماني، فكانوا على رأس التمثيل السياسي والمناصب الدبلوماسية في العاصمة العثمانية في اسطنبول، وفي المدن الأوروبية "كيوسف ضياء"محمد الخالدي، وكذلك استفادت هذه النخبة، من وجود القنصليات الأجنبية وقدوم الوفود السياسية رفيعة المستوى لزيارة

---

[37].مناع، عادل. **"لواء القدس" مصدر سبق ذكره**. ص183.
[38].مناع، عادل. **"لواء القدس" مصدر سبق ذكره.** ص295.
[39].مناع، عادل. **"لواء القدس"مصدر سبق ذكره.** ص243.
[40].عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره**. ص132.

القدس، حيث اكتسبت خبرات جديده وحيوية رفعتها قريبة من مستوى القيادة القومية وتحدياتها في أعقاب الحرب العالمية الأولى[41].

العلاقة بين النخبة المقدسية والإدارة العثمانية:

إعتنت الدولة العثمانية بمتصرفية القدس، وأعطتها اهتماما خاصا، وميزتها عن باقي ألوية سوريا نظرا لأهميتها المستمدة من وجود الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، والإهتمام الأجنبي بها[42]. وكان هدف الكثير من أعضاء النخبة المقدسية الوصول إلى المناصب الهامة من مراكز دينية ومدنية، وتمثيل الدولة العثمانية في الدول الأجنبية، كحالة بعض أفراد عائلة آل الخالدي. فكان الوكلاء القادمون من إسطنبول، والعائدين إليها من القدس يشكلون قنوات اتصال مع رجال الدولة.

بقيت القدس تحت حكم متسلمين، يعينهم عادة ولاة دمشق أو حكام الأستانه، من العسكر الأغراب عن المدينة، في حين برزت في ألوية فلسطين الأخرى عائلات محلية تسلمت مناصب الحكم والإدارة، حتى أن الحاكم الشرعي كان يعين مباشرة من إسطنبول ومن غير علماء القدس.

وكان من أبرز رجال النخبة المقدسية الذين لعبوا دورا سياسيا في الدولةالعثمانية"يوسف ضياء" محمد الخالدي، وكان والده قاضيا في مرعش[43]، ومن أبرز المعارضين لسياسة السلطان عبد الحميد في متصرفية القدس. سكن "يوسف ضياء"محمد الخالدي مدينة القدس، وهو أول أفراد العائلة الذين تعلموا اللغات الأجنبية، فشاهد إفتتاح المدارس الحربية، ونمو الحركة الإصلاحية والتطوير في الأستانة، فأنشأ أول مدرسة في القدس عام 1867، بمساعدة والي سوريا راشد باشا، وسماها الرشيدية، وكان طموحه أن يشغل منصب المدير فيها، إلاّ أن الباب العالي عينه رئيسا لبلدية القدس، كما عمل مترجما في الباب العالي، وعين أيضا قنصلا عاما في بوتي[44]، وبعد إقصائه عن منصبه عام 1875م، زار أوروبا وكيف[45] وموسكو، وعاد أخيرا إلى القدس، حيث انتخب عضوا في مجلس المبعوثان العثماني عن متصرفية القدس في عام 1877م[46]، الذي أنشأه السلطان بعد إقرار

---

[41] .تماري، سليم.عصام نصار. **"مدينة الحجاج" مصدر سبق ذكره.** ص73.

[42] .عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره**. ص10.

[43] مرعش: مدينة بين قيلقية والأناضول جنوب تركيا، وتقع المدينة عند أقدام جبال طوروس، إلى الشرق من نقطة إلتقائها بجبال الامانوس، وكانت تتبع تجاريا إلى حلب.

[44] .بوتي: مدينة جورجية، تقع غرب البلاد على ضفاف البحر الأسود، وتعتبر ثالث أهم ميناء في البلاد.

[45] .كييف: عاصمة أكرانيا، تقع في شمال وسط البلادعلى نهر الدنيبر.

[46] .العارف، عارف. **المفصل في تاريخ القدس**.ط4. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2007، ص483.

الدستور. وكان "يوسف ضياء"محمد الخالدي، النائب الوحيد عن فلسطين، من بين أربعة عشر عضوا عربيا في مجلس المبعوثان، الذي بلغ عدد أعضائه مائة وعشرين عضوا[47].

وخلال دورة مجلس المبعوثان عام 1878/1877م،أثبت "يوسف ضياء " محمد الخالدي، أنه أحد الأعضاء النشطين المتحمسين لفكرة الدستور والإصلاح، وبرز في مقاومة ونقد سياسة السلطان عبد الحميد الثاني، والحكومة تجاه مواد الدستور، بداعي أن كل تبديل في مواد الدستور، يجب أن يتم عن طريق مجلس المبعوثان. وسانده في فكرته هذه ستة عشر عضوا من بينهم أعضاء ترك وأرمن، فضلا عن الأعضاء العرب، كنافع الجابري مبعوث حلب، وخليل غانم مبعوث بيروت، والأمير أرسلان، وغيرهم من الأحرار العرب الناقمين على حكم السلطان عبد الحميد الثاني.

وفي 13 شباط من عام 1878م قرر السلطان حل المبعوثان، وبعد يومين نفى عشرة من أعضاء المبعوثان البارزين في المعارضة، وعلى رأسهم "يوسف ضياء " محمد الخالدي، وكان يعتبر من أخطر ثلاثة في قيادة المعارضة لحكم السلطان عبد الحميد العثماني، وأبعد "يوسف ضياء" محمد الخالدي عن بلدية القدس، وعين بدلا منه عمر فهمي الحسيني. ولكن السلطان عبد الحميد الثاني، عمل على استقطابه وعينه عام 1881م قائم مقاما في مرجعيون، وفي السنة التالية عين حاكما لمقاطعة موطكي[48].

ونستنج أن "يوسف ضياء " محمد الخالدي، كان شخصية وطنية إنسانية متنورة بعيدة عن التعصب، ويظهر أنه كان عثمانيا مسلما مخلصا، ولكن إصلاحيا يريد بناء الإنسان الحر، بمحاربته الجهل بغض النظر عن عقيدته الدينية، لذا نراه متحمسا لتأسيس المدارس الحديثة في مسقط رأسه، وايضا متحمسا لفكرة الدستور والإصلاح، ومعارضا لسياسة السلطان عبد الحميد الثاني، الذي كان يزدري الدستور. حيث كتب في وصفه:

> *" إن "يوسف ضياء" محمد الخالدي شاب متحمس، تمتع بتجربة سياسية واسعة في البرلمان، فقد نقد الدولة ا لعثمانية وسياستها، وكان هذا الشاب الصريح يرد على مسامع عزت باشا العابد، الحديث عن شرور النظام السلطاني دون خوف ولا وجل "*[49].

وكان"ليوسف ضياء "محمد الخالدي، موقفا واضحا من الصهيونية عبر رسائله لزعماء الحركة، فكان من أوائل الذين تنبهوا إلى هذا الخطر واهتم به وقاومه، وقد بعث

---

[47].صالح، جهاد أحمد. **مصدر سبق ذكره** ، ص74.

[48].موطكي: مقاطعه تقع في الشمال الغربي من تبليس، في الشمال الشرقي من تركيا، يسكنها الأكراد .

[49].صالح، جهاد أحمد. **مصدر سبق ذكره** . ص25 .

برسالة إلى صاؤول كاهون رئيس الطائفة اليهودية حينذاك، ومن المقربين من زعماء الحركة الصهيونية، طالبا منهم الإبتعاد عن فلسطين والبحث عن بلاد أخرى[50].

وفي نهاية المطاف يبدو أن "يوسف ضياء " محمد الخالدي، قد تصالح مع السلطان عبد الحميد الثاني والباب العالي، فعاد وعاش في الأستانة، إلى أن توفي عام 1906م.

وكان من السائرين على درب ونهج"يوسف ضياء "محمد الخالدي، إبن أخيه روحي الخالدي، الذي عاش بين عام 1864-1913، وإنتخب عضوا في مجلس المبعوثان في عام 1912م، وكانت تجربته أكثر عمقا من عمه، حيث درس في معهد الإدارة والعلوم العسكرية في اسطنبول، ثم سافر إلى باريس ودرس في السوربون، فلسفة العلوم الإسلامية والآداب الشرقية، وعين قنصلا عاما للدولة العثمانية في مدينة بوردو الفرنسية، وبقي فيها عشرة أعوام وتم اختياره رئيسا لجمعية القناصل العثمانية في مدينة بوردوالفرنسية[51].

وكان موقف روحي الخالدي الآخذ بالتبلور تدريجيا، بين إمكانية التوفيق في المسألة الشرقية، وميله عموما للتسامح الجزئي مع الأتراك، مقابل التشدد مع القوى الغربية الساعية لدفع الرجل المريض إلى حافة القبر، وموقفه من التذبذب التركي إزاء الهجرة اليهودية وعدم اصدار التشريعات الكفيلة بردعها[52].

وفي ظل هذه الظروف القاسية تلقى المسلمون الضربة تلو الضربة، بحزن وألم لأن دولتهم الإسلامية أخذت تتداعى للسقوط، وليس لها مجال أن تستعيد شبابها، وتقمع أعدائها، بعد أن كان العالم الإسلامي يتحكم في شرق أوروبا وغربها، وتدوي صيحاتها في آذان الأوروبين وأصبحت أثرا بعد عين[53] .

وفي ظل هذا الوضع السياسي المتأزم، كان الكثير من النخبة المقدسية، يتقربون من السلطان ورجاله، ويتنافسون على المراكز والمناصب والقيادة، مثل عارف باشا الدجاني، الذي عين متسلما لمتصرفية دير الزور واليمن والأناضول، ومنحته الدولة رتبة الباشا، تقديرا لخدماته ووظائفه في الحكم والإدارة العثمانية[54].

---

[50].الناصر، معتصم حسن أحمد. **الحياة السياسية العربية بالقدس 1918-1934م**. ط1.القدس: مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ،2009، ص13.

[51] .بوردو: مدينة فرنسية عرفها العرب باسم برديل، تقع على نهر غارون، في جنوب غرب البلاد، بالقرب من مصب النهر، عند خليج غاسكونيا على المحيط الأطلسي.

[52].دراج، فيصل. "روحي الخالدي والمسألة الصهيونية: القدر الفلسطيني واستبداد القوة "**مجلة الكرمل**. العدد56/55 ،1998م، ص329-350.

[53].البرغوثي، عمر الصالح. **المراحل**.ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2001م، ص115.

[54].مناع، عادل ."**أعلام فلسطين" مصدر سبق ذكره** . ص174.

وبقيت النخبة سواء أكانوا أعضاء أوقادة في المؤسسة الدينية أو موظفين في الدولة، يدينون بولائهم للإمبراطورية العثمانية، والتزموا بهذا الولاء حتى عام 1914م، رغم الاعتراض في بعض الاحيان على سياسة السلطة العثمانية. ووقعت النخبة في حيرة من أمرها، بين التضامن الإسلامي والوطنية العثمانية والعروبة والإنتماء للحزب السياسي، والولاء المحلي والروابط العائلية، وجميعها ولاءات متداخلة تكمل بعضها بعضا، في ظل انتشار التجاذبات القومية والوطنية والإسلامية، التي عبرت عنها الأحزاب والجمعيات والمؤتمرات التي رفع بعضها شعار العروبة مقابل العثمنة. وحتى تلك اللحظة، كانت المعارضة السياسية للسلطان عبد الحميد الثاني، في أغلبها ليست بدافع القومية أو الإنفصال، وإنما خوفا على الخلافةالإسلامية، وحفاظا على مصلحة الدولة العثمانية[55].

ورغم الإفتخار بالتراث العربي الذي يصبغ النخبة المقدسية محتوى تقافي أكثر منه سياسي، لم يكن حائلا ولا حاجزا أمامها بأن يصبحوا أعضاء في جمعية الإتحاد والترقي ذات التوجهات القومية التركية، حيث نظر بعض أفراد النخبة إلى جمعية الإتحاد والترقي، منقظة الحركة الدستورية متأملين منها تطبيق التحديث الإداري، لإعادة قوة الإمبراطورية وجعلها قادرة على مقاومة الضغوط الخارجية، وخاصة المشاريع التي تستهدف الولايات العربية. ومن أنصار جمعية الإتحاد والترقي راغب النشاشيبي، والذي أجاب حين سئل:

" أأنت إتحادي"؟ و"إذا صرت مبعوثا، هل تكون في صف الإتحاديين وتطيعهم في كل ما يريدون؟"أجاب نعم. أنا من صميم الإتحاديين وأفتخر بالنسب إليهم لأنهم خدام الحقيقة ورواد الهدى والمنفعة العمومية ولا يعملون للأمة إلاّ الخير" .

وأردف قائلا: *"خطتي هي خدمة أمتي المطابقة لمصلحة دولتي"* . وقال راغب في رده على رئيس تحرير الاقدام الذي ألح على العمل دون القول قائلا :

"لا تحرجوا الحكومة فلو كانت كالجبال، فالنائبات التي نابتها في الأيام الأخيرة، لنسفتها نسفا فموقعها حرج، لا تلوموها وأحسنوا الظن بها وشجعوها على عملها، وساعدوها بالأموال والأرواح لتستطيع الإصلاح "[56].

كما كان أيضا جواب فيضي العلمي ردا على ما ذكره الشنطي، من سعي الإتحادين لدعم العناصر العثمانية، واستئثارهم بالحكم والسلطة" قائلا:

"أنا لا أرض بضرر بلادي ولا أشك في إخلاص الإتحاديين "[57].

---

[55].صالح، جهاد أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص156.
[56].القاسمية، خيرية. "**الحملة الإنتخابية "مصدر سبق ذكره.** ص390.
[57].القاسمية، خيرية."**الحملة الإنتخابية" مصدر سبق ذكره.** ص391 .

وفي خضم هذه المواقف، بين المؤيد والمناصر والمستفيد من سياسة السلطان عبد الحميد الثاني، وبين الناظر والمتأمل في الحركة الإصلاحية في الشمال، ومركزها بيروت وحركة اللامركزية ومركزها القاهرة، جعل أهل فلسطين يشاركون ويتفاعلون مع الحركتين، ليس بدافع القومية أو الإنفصال، وانما بدافع الإصلاح والتحديث، وحماية الإمبراطورية من التفكك والتقسيم. وفي هذا المجال نشرت صحيفة المفدى ببيروت برقية السيد حافظ السعيد جاء فيها :

"إن ضياع الأقسام الواسعة، وانفكاكها عن جسم مملكتنا السيئة المنبت، المبتلاة بسوء الإدارة، وعدم الإصلاح قد آلم طبعا عموم أبنائها، ويحقق لهم أن من الواجب المحتم عليهم أن يتوسلوا بأسباب حسن المحافظة على الباقي بيدهم من تلك المملكة الواسعة" [58].

ولكن منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى تعزز في بلاد الشام عامة وفلسطين والقدس خاصة، جناحا آخرا للنخبة المقدسية تمحورت فيه العلاقة بين الحركة الوطنية والدولة العثمانية على البعد القومي العروبي. حيث بدأ يتعزز الشعور المعادي للحكم العثماني. وزاد التذمر العربي وتنامى وعزز هذا الشعور بالغبن والظلم وتردي الأوضاع الإقتصادية، وسوء تصرف الجهاز الحكومي وإلغاء الدستور وتعليق البرلمان وطرد أعضائة العرب من إسطنبول[59]. وعم الفساد كافة مناحي الحياة، كما عم الترهل في معظم جوانب الحياة، وانتشرت البطالة إلى حدّ لا يطاق، وأشار إلى ذلك نجيب عازوري، الذي وصف حالة الفساد الإداري قائلا:

"إن الموظفين المنصبين على رأس الإدارات الفلسطينية، كانوا حكاما أو نواب حكام مزودين بعقلية واحدة تنبع من الأهداف الثلاثة، إستغلال الشعب وملء الجيوب، وإرسال المال إلى اسطنبول حتى يرقوا، وبكل بساطة ليستمروا في مراكزهم المحترمة، ويقول مونتسيكيو فيما يشبه ذلك: "*حين يريدون متوحشو لويزيانا قطف الثمار فإنهم يقطعون الشجرة من جذعها ويقطفون ثمارها وهكذا تفعل الحكومة المستبدة"* [60].

كذلك خاب أمل القوميين العرب من تركيا الفتاة، في برامج وسلوكيات الإنتخابات التي جرت تحت إشرافهاعام 1908م، إذ تجاهلت التعهدات العربية التي قطعتهاعلى نفسها قبل تسلمها السلطة في اسطنبول، والمرشحون لم يعبروا عن تطلعات قطاعات الشعب العربي والنواب المنتخبون كانوا

---

[58].القاسمية، خيرية. **"الحملة الإنتخابية" مصدر سبق ذكره.** ص386 .

[59].شوفاني، إلياس. **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى 1949م**.ط1. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996، ص289.

[60]. دراج، فيصل . **مصدر سبق ذكره** . ص340.

أكثرحرصا على مسايرة تركيا الفتاة، وزاد الطين بله، سوء الأوضاع الإقتصادية، وتكاليف الحرب ومطاردة الوطنيين والقوميين العرب وإعدامهم، والعمل على تتريك العناصرغير التركية، ومحاكمة من يخالفهم ولا ينقاد إلى تعليماتهم مثلما حصل مع أحمد عارف الحسيني، حيث أعدمه الأتراك ونجله مصطفى لعدم إنقيادهم للدولة [61].

[61]. مناع ، عادل ."**أعلام فلسطين" مصدر سبق ذكره** . ص102.

الخاتمة

نستطيع القول أن النخبة بجميع معانيها ومفاهيمها وتعريفاتها، تشير إلى أنها ظاهرة إجتماعية، وجدت بوجود المجتمعات والحكام، ولا يطلق هذا المفهوم على شخص واحد، وإنما على مجموعة من الأشخاص، الذين يملكون من القدرات ما يمكنهم من القيادة، وصنع القرار والتأثير عليه وتنفيذه، خدمة لمصالحهم الفردية.

وكانت النخبة المقدسية لقرون عدة خلال العهد العثماني، تتكون من العلماء ورجال الدين والقلم، الذين تسلحوا بالعلم والمال والشرافة، والذين لهم صلة بالعملية السياسية ويرتكزون على الجوانب الإقتصادية والفكرية، ويلعبون الدور الأساسي في الوساطة بين فئات المجتمع ورجالات الدولة في القدس ودمشق واسطنبول، مقابل القيادة والوجاهة والزعامة والهدايا النقدية والعينية المقدمة لهم من فئات المجتمع.

ومن الملاحظ أن النخبة المقدسية فهمت الدور الذي قامت فيه، فتجاوزت الخلافات الطائفية، وعززت الإنسجام والتوافق بين كبار العائلات المقدسية كآل الخالدي والحسيني، رغم التنافس العائلي هنا وهناك على المناصب الهامة كالإفتاء ونقابة الأشراف .

وكانت النخبة في أواخر العهد العثماني في حيرة من أمرها، بعضهم ساند وأيد سياسة السلطان عبد الحميد الثاني، تقربا وحبا في تولي المراكز والمناصب والنياشين، ومنهم ايضا من انتقد سياسته الدكتاتورية خاصة بعد الغائه الدستور عام 1878. ونظر البعض الآخر وتأمل بجمعية الإتحاد والترقي وسياستها، على أنها الحركة الإصلاحية الدستورية، التي تعيد للمواطن العربي حقوقه وإنسانيته. ومنهم أيضا من انتقد وعارض سياستها التي تقود الدولة إلى التتريك.

وأخيرا، إن النخبة المقدسية اكتسبت خبرة ودراية أكثر من غيرها في أواخر العهد العثماني، فعمل بعضها على رأس التمثيل السياسي والمناصب الدبلوماسية "كضياء يوسف" محمد الخالدي، وابن أخيه روحي الخالدي، واستفادت النخبة من إحتكاكها مع القنصليات الأجنبية، والوفود الرسمية رفيعة المستوى في القدس، هذا صقلها وجعلها قادرة على أن تبقى في القيادة وتحدياتها، حتى في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقادة الحركة الوطنية كالحاج أمين الحسيني.

وفي السنوات الأخيرة للإدارة العثمانية، أصبح بعض الأعيان يرسلون أبنائهم للدراسة في المدارس الأجنبية والجامعات، في بيروت والقاهرة واسطنبول وباريس، بسبب سمعتها العائلية، وعملوا هؤلاء بعد عودتهم على إيقاظ الحركة الأدبية وتنبيه الوعي كالمعلم نخله زريق وخليل السكاكيني.

الفصل الثاني

مواقف النخبة المقدسية من عهد السلطان عبد الحميد الثاني

مواقف النخبة المقدسية من تولي السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة

مولده وحياته

ولد السلطان عبد الحميد يوم الخميس في الثاني والعشرين من شهر أيلول عام 1842م، وهو الولد الثاني للسلطان عبد المجيد، وأمه تير يموجكان قادين شركسية الأصل، وتوفيت وعمرها 33سنة بمرض السل، ودفنت بمقبرة مراد الخامس، وكان السلطان عبد الحميد الثاني عمره 12سنة، ورعته برستو قادين افندي والتي اعتبرها كوالدته[62].

كان متوسط القامة أحدب الأنف، ذكيا صوته جهوريا قويا قادرا على شرح أفكاره، يحب الإنزواء كتوما قليل الكلام كثير الإصغاء، يمحص أخلاق الآخرين، حتى وصفته والدته بأنه شكاكا صامتا. كان يحب التفكير بالكون والوجود، وكان جادا بعيدا عن اللعب واللهو، لم يتلق تعليما كافيا ولكنه ثقف نفسه، كان يطالع الصحف بإستمرار خاصة صحيفة الحوادث، له شغف بالتجارة كوالده، إهتم بركوب البحر والسباحة[63].

عاصر السلطان عبد الحميد الثاني ثورة الهند عام 1875م، وعاصر الثورة الأهلية الأمريكية والنمساوية الألمانية وافتتاح قناة السويس، وعندما تولي الحكم بدأت الحوادث بفتنة بلغاريا وحرب الصرب.

كان السلطان عبد الحميد الثاني من رجالات الإمبراطورية العثمانية المشهورين، حكم الإمبراطورية العثمانية ثلاثون عاما ونيف، إستلم الحكم في أوائل شهر أيلول عام 1876م، وعندما أصبح سلطانا بعد أخيه مراد في 31آب عام 1876م، وحضر البيعة الوزراء وكبار الموظفين. وأطلقت المدافع وأقيمت الزينات والأفراح بهذه المناسبة في جميع جهات الدولةالعثمانية[64]، في ظل قوة ونفوذ رجال الإصلاح بزعامة مدحت باشا، الذين إستطاعوا أن يفرضوا عليه ثلاثة شروط: إعلان القانون الأساسي، واستشارة الوزراء في أمور الدولة، وتعين ضياء بك وكمال بك، وسعد الله بك كتابا للسلطان، لأنهم الحريصون على إجراء أحكام القانون الأساسي [65].

وإستجابة لمطالب رجال التنظيمات، وفي آذار عام 1876م، أعلن السلطان عبد الحميد الثاني عن الدستور، ومن الجدير بالذكر أن الدستور العثماني، نص على وجود مجالس محلية، إدارية

---

[62].عمر، يوسف حسين. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد1876-1909**.الأردن: إربد: دار المتنبي للنشر والتوزيع، 2005، ص10.
[63].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره**. ص16.
[64].الصلابي ،علي محمد. **الدولة العثمانية عوامل النهضة واسباب السقوط**. ط1. بيروت: دار البيارق،1999 ، ص63.
[65].آصاف، يوسف. **تاريخ سلاطين آل عثمان**.دمشق: دائرة البصائر،1985م، ص159.

منتخبة ومعينة على مستوى الولاية والسنجق والقضاء، بينما تمتعت المستويات الإدارية الدنيا بنظام من الإدارة الذاتية المحلية [66].

وأعلن السلطان عبد الحميد الثاني عن إفتتاح مجلس المبعوثان العثماني الأول، وكان أعضاء المجلس 115مبعوثا منهم 69 مسلما و46مسيحيا وبقية الطوائف، وأما مجلس الأعيان فكان مكونا من 25 عضوا فقط.[67] وعين أحمد وفيق رئيسا لهذا المجلس، وكان سفيرا لبلاده في بلاط نابليون الثالث، ولكنه كان متغطرسا ومستبدا حتى أنه قال في إحدى جلسات المجلس، بعد أن أخذ أحد أعضاء المجلس يتكلم بموضوع ما، فقاطعه رئيس المجلس قائلا له:

"*سوس أشيك* " وتعني إخرس يا حمار، فسقط الرجل عن مقعده كأنه مصعوقا[68].

وفي ظل هذه الظروف، ومع بداية حكم السلطان عبد الحميد الثاني، وفي صيف عام 1876م، بدأت أخبار الثورة في الجبل الأسود تطغى على ما عداها، وأرسلت الدولة العثمانية أربعون ألفا لتعزيز الأمن ورد الإعتبار والقضاء على التمرد، ورد قرية مستار إلى حظيرة الدولةالعثمانية، وحاولت روسيا التدخل وإستغلال الوضع لصالحها ولمصلحتها، إلاّ أن الدول الأوروبية عارضت ذلك، وتطورت الأمور وأعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في نيسان 1877م، وفي عام 1878 تقدمت القوات الروسية على الجبهة الرومانية، وسقطت صوفيا وتلتها أدرنة حتى أخذ الخطر يهدد الأستانة، مما اضطر العثمانيون الى توقيع الهدنة مع روسيا وأجبر السلطان على الموافقة على الشروط الروسية في معاهدة سان ستيفانو.

وفي الفترة بين عامي 1897-1909م شهدت البلادعلى المستوى الدولي والفلسطيني والمقدسي مولد حركتين أحدهما، حركة سياسية وعسكرية وهي جمعية الإتحاد والترقي[69]، وأخرى سياسية وهي الحركة الصهيونية التي ولدت عام 1897م كمنظمة سياسية لها طابعها الخاص، وهوإيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين، وكان موقف السلطان عبد الحميد الثاني معارضا، وتجسد هذا الموقف في إصدار فرمانات سلطانية متلاحقة تمنع اليهود الأجانب من الدخول إلى فلسطين إلاّ للزيارة ولمدة محدودة.

---

[66].الكيالي، عبدالوهاب. **تاريخ فلسطين الحديث.** ط10. بيروت: ألمؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1990م، ص37.

[67].أبوعزة، محمد. **عصر السلطان عبد الحميد وقائع عصره، تفاصيل عهده وإدارته وسياسته، أسرار وخفايا قصور بنى عثمان**. بيروت: المنارة الحمراء ،1997م، ص224.

[68].جمعة، محمد لطفي. **حياة الشرق، دوله وشعوبه وماضيه وحاضره**.القاهرة: دار إحياء الكتب العربية،1932م، ص241.

[69].حلاق، حسان علي. **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909.** ط2. دار الهدى ،1990م، ص 9.

ولخص عارف العارف موقف الدولة العثمانية من الهجرة اليهودية الى فلسطين بقوله :

"أصدرت الدولة العثمانيةعام 1882، قانونا حرمت فيه الهجرة اليهودية وشراء الأراضي في القدس".[70]

إلاّ أن الدولة العثمانية عدلت في هذا القانون، بفضل تدخل القنصل ستراوس الوزير الأمريكي المفوض في اسطنبول، ومنحت لليهود حق الدخول إلى فلسطين والبقاء فيها ثلاثة شهور بقصد العبادة[71].

وفي عام 1881م أغتيل الكسندر الثاني قيصر روسيا وهو عائد من قصره الشتوي، وشارك اليهود في إغتياله، ووقعت مذابح تلتها هجرة واسعة من روسيا وأوروبا الشرقية نحو الشرق ومنهم شباب من حركة بيلو التي تأسست في الأستانة[72]. وعلى أثر فشل الثورة الروسية لحقتها موجة أخرى من الهجرة بسبب الإضطهاد، وكانت أولى المستعمرات دجانيا بالقرب من طبريا[73].

واتخذ السلطان الطابع الجدي في معارضة الهجرة اليهودية، وعندما طلبت جمعية أحباء صهيون في عام 1882م، من القنصل العثماني في أوديسا إعطاء إشارات دخول إلى الدولة العثمانية بغرض الإستيطان في فلسطين، ردّ الباب العالي في 28 نيسان من نفس العام، بعدم السماح لليهود بالإستيطان، ولكن في وسعهم الإستيطان في ولايات أخرى، شريطة أن يكونوا رعايا عثمانيين وأن يطبق في حقهم القانون العثماني وفي 1882/6/26م، أبرقت الأستانة إلى متصرف القدس، بعدم السماح لليهود الذين يحملون جنسيات روسية وبلغارية ورومانية من الدخول إلى المتصرفية [74].

وفي عام 1887 وصلت الأوامر من الباب العالي إلى متصرفية القدس، بمنع اليهود من الإقامة في القدس خاصة وفلسطين عامة ويسمح لهم بالدخول بقصد الحج ولفترة محدودة، وزاد الطين بلة أن الوضع الإقتصادي أصبح سيئا، فقد انتشر الضنك والضيق والفقر وعم الجوع، واحتكر تجار الحبوب حبوبهم، ورفعوا الأسعار وتوقفت الأشغال والأعمال في القدس التي تعد من بلاد الفقر .

والوصف التالي الوارد في إحدى المراسلات يعبر عن حالة المدينة المقدسة المزري: " منذ تأليف بلدية القدس وأهل القدس صامتون، منتظرون ما سيحدث من الإصلاح والتنظيم، غير أنه خاب

---

[70].عوض، عبد العزيز. **"متصرفية القدس" مصدر سبق ذكره.** ص133.

[71].الموسوعة الفلسطينية ".**فلسطين في عهد العثمانين من مطلع القرن الثالث عشر هجري – القرن التاسع عشر الميلادي الى العام 1336-1918م**. عبد الكريم رافق. مجلد2. ط1. بيروت:1990 م، ص873.

[72].حركة بيلو: إختصار لجملة في التوراة (يا بيت يعقوب تعال ودعنا نسير).

[73].عوض، عبد العزيز محمد. **مصدر سبق ذكره** ، ص133.

[74]عوض، عبد العزيز محمد. **مصدر سبق ذكره** . ص134 .

أملنا، فشوارع المدينة غاصة بالأوحال والأوساخ وتفوح رائحتها والأسعار مرتفعة جدا، والمأكولات تباع بأسعار عالية حتى أنه وصل رطل اللحم بثلاثة بشالك، وقد زادت أكثر من عشرة أضعاف"[75].

وفي نهاية المطاف تعتبر فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني، من أهم العهود التي عاشتها الدولةالعثمانية وأشدها خطورة. ففي عهده حدثت تغيرات داخلية وأخرى خارجية، وكان أثرها واضحا على الدولة العثمانية في الفترة بين عامي 1876-1908م.

فعلى الصعيد الداخلي، كان يصرف الكثير من الموازنة على موظفي الدولة ورجال قصره وحرسه، والملفت للنظر أن السلطان عبد الحميد الثاني لم يجعل حدودا بين ماله الخاص والمال العام، على طريقة: "*أنا الدولة والدولة أنا*"[76].

كما تعامل السلطان عبد الحميد الثاني مع مناوئيه بيد من حديد، مستبدا صارما معهم، حيث راح يسجن وينفي ويقسو على الشعب، المثقل بالضرائب والتكاليف الحربية والتجنيد الإجباري، فعم الفقر وساد الجوع وشحت الموازنات حتى أن الجنود أحيانا لم يقبضوا رواتبهم، كما فسدت الإدارة لدرجة لا تجد قضية حكومية لا تجري بدون رشوة، بالإضافة إلى إعتبار اللغة التركية اللغة الرسمية، مع العلم أن العرب كانوا أكبر الجاليات في الدولة العثمانية عددا[77].

ولقد اتبع سلاطين الدولة العثمانية سياسة الحكمة، والمحافظة على كيان البلادالعربية لعلمهم بأهميتها، فقد كان السلطان عبد الحميد على رأس هؤلاء السلاطين، يقدر أهمية البلادالعربية ويدرك اليوم الذي، ينفصل فيه العرب عن جسم الدولة العثمانية، سيكون نذيرا للدولة العثمانية، لأنهم يشكلون أساس دعامتها، وهي التي تمد الدولة بالقسط الأوفر من المواد والرجال والمال وفيها من أملاك الأوقاف الكثير[78].

وقرب السلطان عبد الحميد أحمد عزت العابد الكاتب الثاني في الديوان وبلغ نفوذه آفاق الصدارة، وعين شفيق بك الكوراني رئيسا للشرطة، والكثير من السوريين واللبنانين حراسا لقصره، وألبس بعضهم العمائم الخضراء، وعمد إلى تزويج الأميرات إلى غير الأتراك، ورفعهم إلى رتبة داماد أي صهر ومنهم علي حيدر، وأنشأ مدرسة العشائر في اسطنبول لتوثيق عرى الأخوة بين العشائر ودار الخلافة[79].

ونتيجة لما ذكر ومن سوء الطالع، وسوء الأحوال الإقتصادية والفساد الإداري، وتعليق الدستور وإغلاق المبعوثين، وفقدان الكثير من المدن والولايات والأقاليم، وانفكاكها عن جسم الدولة العثمانية،

---

[75].الحسيني، سعيد ابراهيم ."من أخبار القدس وفلسطين في أواخر العهد العثماني "**حوليات القدس** .العدد15، ربيع2013 م، ص65.

[76].كروم، حسنين ."حول مذكرات السلطان عبد الحميد" **مجلة القضايا العربية** . مجلد6. عدد1. كانون ثاني1979م، ص93-112.

[77] .طنوس، عزت.**الفلسطينيون ماض مجيد ومستقبل باهر.** ط 1. بيروت: مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، أيار1982م، ص23.

[78].نيازملا، محمد قربان. **السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية** .ط1. مكة المكرمة: المنارة ،1988م، ص22.

[79].مسعود، قدري جمال جميل. **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ الدولة العثمانية من 1299-1924** .ط2. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر ،1995، ص56.

انحدرت الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني إلى أدنى مستوى من الإنحطاط والإنحلال. وبناء عليه أدركت الغالبية من رواد القومية العربية والأتراك أحرار أنهم لا يستطيعوا الوصول إلى أهدافهم، إلاّ بخلع السلطان عبد الحميد الثاني والقضاء على سياسته في نهاية المطاف إذا فشلت الإصلاحات وكلت السبل[80].

مواقف النخبة المقدسية من سياسة عبد الحميد الإصلاحية

عندما تسلم السلطان عبد الحميد الثاني الحكم، وتربع على عرش الدولة العثمانية، كانت الأحوال سيئة من جميع جوانبها، السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، والدولة كذلك تعاني من الأزمة المالية الحادة وقد أعلن الإفلاس في الدولة من قبل، فلم يكن أ مام السلطان عبد الحميد الثاني، إلاّ القيام بمجموعة من الإصلاحات لتحسين وَضع الدولة العثمانية، والخروج من المأزق ووضعها على المسار الصحيح.

وكان على السلطان القيام بالعمل الجاد للنهوض في جميع الأحوال، معتمدا على الإصلاحات التي عرفت باسم التنظيمات، والتي لم تكن بمعزل عن تدخل القوى الأوروبية. **والتنظيمات** هي إجراءات تشريعية تقوم بتقنين حركة الإصلاح هذه، أي صدورها بقوانين رسمية من أعلى سلطة في الدولةالعثمانية، إلى باقي المؤسسات البسيطة المنتشرة هنا وهناك، واعتمد السلطان عبد الحميد الثاني على ما اعتمد عليه آبائه وأجداده، من محاولة لتطبيق ما جاء بخط كلخانه عام 1838والخط الهمايوني عام 1856، ونهاية بدستور مدحت باشا 1876م، المقتبس من بنود الدستور البلجيكي والفرنسي والسويسري .

وشملت التنظيمات"وعد السلطان بتنفيذ الإصلاحات التي تهدف إلى إصلاح الإدارة والقضاء، وإجراء القرعة العسكرية وجباية الأموال، بموجب أحكام الشرع والقوانين، وإلغاء أصول الإلتزام والقضاء على الرشوة وتنفيذ التنظيمات والقوانين التي وعد بإحترامها وعدم مخالفتها"[81].

ونصت أيضا على التأكيد، على مبدأ المساواة القانونية والمدنية لكافة رعايا الدولة، وحقهم في خدمتها والسماح للطوائف غير الإسلامية، بالحرية في ممارسة شعائرها الدينية، وبناء معابدها بشروط تتوفر فيها مبادىء التسامح الديني، وإعلان المساواة في المعاملة بين جميع الطوائف، ومنع استعمال الألفاظ التي تحط من قيمة غير المسلمين، وتأمين الحرية الدينية لأهل كل مذهب، وفسح

[80].الغامدي، سعيد سعد سفر. **موقف العلماء والمفكرين في الدولة العثمانية من جمعية الإتحاد والترقي**. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ص151.

[81].عوض، عبد العزيز .**مصدر سبق ذكره** . ص128 .

المجال أمام رعايا السلطان، للمساهمة في خدمة الدولة عن طريق تعميم الوظائف والإستفادة من الخدمات، وإنشاء محاكم مختلطة للفصل في القضايا المدنية والجنائية، والسماح للأجانب بالتملك في الدولة، وتنظيم موازنة الدولة وارداتها ومصروفاتها بدقة وعناية في دفاتر خاصة، ووعد بإشراك الجماعات والطوائف في مناقشات المجلس العالي المتعلقة بشؤونهم، ووعد بإجراء إصلاحات شاملة في المجالات المالية والمواصلات والمصارف الزراعية والتجارية[82] .

وكانت هذه الإصلاحات كي تنجح لا بد من بنائها البناء الصحيح، القائم على الدستور، **والدستور**هو الحكم النيابي القائم على الطراز الحديث، حيث تحكم الدولة نفسها بنفسها، مع حفظ حقوق الخليفة الأعظم وسمى العثمانيون الدستورب القانون الأساسي، كما إصطلحوا على تسميته بالعهد الدستوري (بعهد المشروطية)[83].

وقد أعلن السلطان عبد الحميد الثاني الدستور في 3 1 كانون أول من عام 1876م، وذلك بسبب عدة ضغوط تعرض لها السلطان عبد الحميد الثاني خاصة من مدحت باشا الصدر الأعظم والذي كان يمثل العثمانين الجدد، قائلا للسلطان عبد الحميد:

" لم يكن غرضنا من إعلان الدستور، إلاّ قطع دابر الإستبداد، وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق، وما عليها من واجبات، وتعيين وظائف الوزراء وتأمين جميع الناس على حريتهم وحقوقهم، حتى تنهض البلاد إلى مدارج الرقي وإني أطيع أوامركم إذا لم تكن مخالفة لمنافع الأمة" [84].

وبعد مدة قصيرة قال السلطان عن مدحت باشا:

"لقد نصب نفسه آمرا ووصيا علي وكان في معاملته بعيدا عن المشروطية الديمقراطية وأقرب إلى الإستبداد" [85].

وكان الدستور ينص على تشكيل مجلس برلماني من مجلسين، مجلس المبعوثان ينتخبه الأهالي، والآخر مجلس يعين أعضاؤه من طرف الدولة ويسمى مجلس الأعيان[86].وتقرر أن تكون اجتماعات هذا المجلس في الفترة بين تشرين الثاني- آذار إلاّ إذا قرر السلطان عبد الحميد الثاني تمديد أو تقصير المناقشات[87].

---

[82].عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره** . ص129

[83]. نيازملا، محمد قربان. **مصدر سبق ذكره**. ص48.

[84].الصلابي، علي محمد. **مصدر سبق ذكره .** ص634.

[85]الصلابي، علي محمد. **مصدر سبق ذكره.** ص632.

[86]. فريد ، محمد. **تاريخ الدولة العلية العثمانية**. بيروت: دار الجيل ،1977م، ص328.

[87].مناع ، عادل. **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1799-1918م.** بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،1999م، ص199.

وفعلا أنعقد المجلس في دورتين أحدهما بدأت في 19 آذار وانتهت في 28 حزيران من عام 1877م، وكان يرأسها أحمد وفيق، وتناولت الجلسة الكثير من القضايا منها قطع دابر الرشوة وتحسين أحوال الحكم، والجلسة الثانية بدأت في 31 كانون أول من عام 1877م واستمرت إلى 14 شباط من عام 1877م.

وفي 11 شباط من عام 1877 شكل السلطان مجلسا مكونا من خمسة أشخاص، هم رئيس المجلس ووكيلاه، وأحد مبعوثي الأستانة وآخر إسرائيلي، للمداولة في الحالة الحاضرة، وأثناء النقاش طلب النواب أن يمثل ثلاثة من الوزراء أمام المجلس للدفاع عن أنفسهم من الإتهامات الموجهة إليهم، فما كان من السلطان إلاّ أن عطل المجلس، وأغلقه وأمر النواب بعودتهم إلى بلادهم وقام بإبعاد الآخرين[88].

إن هذا المجلس الممتد من عام 1877-1878 كان قصير العمر، وكان تمثيل العرب فيه قليلا، وأعضاؤه جرى تحديدهم كما ورد في التنظيمات الإنتخابية المؤقتة، من قبل مجالس إدارية إقليمية منتخبة من قبل، بدلا من الإقتراع الشعبي. وبعد إفتتاح المجلس مباشرة جرت الحرب الروسية العثمانية، وما جرّته من هزائم شلت الحكومة، وقام النواب القادمون من ولايات الدولة، بتوجيه النقد للحكومة على سوء إدارة الحرب وكذلك توترت المناقشات إلى حد شمل إنتقاد السلطان نفسه. وكذلك توترت المناقشات بين النواب المسلمين والمسيحين، وأدت أحيانا إلى إصطدامات وصلت إلى حد تهديد وحدة الدولة، مما اضطر السلطان الى أن يستخدم صلاحياته في حل هذا المجلس وإبعاد بعضهم، وتم نفي مدحت باشا الى سجن الطائف[89].

وعلى أثر إنهزام الدولة في حربها مع روسيا، فوجىء السلطان بوجود خيانة في الإدارة والجيش، وتعب هو ورجاله من العناصر المتمردة التي إنتقدته، فاعتقد أن إدارة هذه الدولة بحاجة إلى حزم مطلق، فبدل رجال الشورى وعلق الدستور وحل البرلمان وقال السلطان: *"إن البرلمان هو السبب"*[90]، وضايق السلطان وطارد منتقديه، فذهب الكثير منهم إلى أوروبا وأسسوا الصحف والمجلات والجمعيات، وأخذوا يكتبون المقالات ضد الدولة وسوء تصرف الحكم والحاكمين منتقدين تعليق الدستور منذ 1878-1908م، وتدخل السلطان حسب رأيهم في كل صغيرة وكبيرة[91].

---

[88] .آصاف، يوسف. **مصدر سبق ذكره**. ص164.

[89] .أوغلي، الأميرة عائشة عثمان. **والدي السلطان عبد الحميد.** نقلها إلى العربية صالح سعيد وافي صالح. ط1. العبدلي، دار البشير جوهر الصقلي التجاري ، ص21.

[90] .مناع، عادل. **"تاريخ فلسطين" مصدر سبق ذكره**. ص214 .

[91] . دروزة، محمدعزت. **مذكرات محمد عزت دروزة سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمان 1887-1948م**. ج4. ط1.بيروت: دارالغرب الإسلامي1933م، ص176.

هذا هو الدستور الذي أقره السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1876م وعلقه بعد سنتين، وفي هذا الخصوص قال السلطان عبد الحميد الثاني، عن إعلان الدستور وتعليقه:

"تعلمون أنني أنا الذي أعلنت الدستور، وظللت دائما من أنصاره، غير أننا لسنا كاليابان أمة متجانسة، وكنا نخشى خطر الإنهيار، إنهيار إمبراطوريتنا التي تضم عناصر مختلفة ولهذا السبب رأينا ضرورة إلغائه لمدة من الزمن"[92].

ومن الجدير بالذكر أن السلطان، أبقى على القانون الأساسي يدرج في صدر الحولية الرسمية، التي كانت تصدر كل سنة وتسمى سالنامة الدولة العثمانية، ولكن بقيت أحكامه مهملة بصورة فعلية [93].

وأعلن السلطان الدستور ثانية بالرغم عنه، في 1908/7/24م، ثم سرعان ما ندم على ذلك وأسس الحزب الحميدي، وانتشر في الأقطار وألغى الدستورثانية، فانتفض الجيش وهب الجيش بقيادة محمود شوكت زاحفا إلى العاصمة، واستولى عليها وبطش برجال السلطان، بفتوى من شيخ الإسلام واعتقلوه ونفوه إلى سالونيك، وبايعوا ولي العهد محمد رشاد سلطانا[94].

ومن الواضح أن السلطان لم يكن مقتنعا بالدستور، وإنما كان إعلانه في عام 1876م، إستجابة لضغوط العثمانيين الجدد برئاسة مدحت باشا، وسرعان ما أوجد الذرائع لتعليقه، وهو ما صرح به عندما طالبوه بحكم دستوري في البلادالعثمانية قائلا:

"إن الأتراك قوم خياليون، فإعلان الدستور وتشكيل حكومة نيابية في بلادنا يعني حدوث الفوضى والإنقسام، إنقسام الناس شيعا وأحزابا يقاتل بعضها بعضا"[95].

أعاد السلطان الدستور ثانية في 7/24من عام 1908م، إستجابة لمطالب جمعية الإتحاد والترقي، وذلك من خلال المظاهرات الحاشدة، خصوصا أنه كان قليل الإطمئنان إلى عسكر العاصمة، وساعد الإتحاديون وتم التهديد بالزحف إلى العاصمة، فلم ير السلطان بدا من الإذعان، خاصة والجو السياسي الدولي المناهض لسياسة السلطان عبد الحميد الثاني .

---

92. أوغلي، الأميرة عائشة عثمان. **مصدر سبق ذكره** . ص224.
93. نيازملا، محمد قربان. **مصدر سبق ذكره** . ص56 .
94. البرغوثي، عمر صالح. **مصدر سبق ذكره.** ص11.
95. فريد، محمد. **تاريخ الدولة العلية العثمانية.** بيروت: دار الجيل،1977، ص50 .

السلطان عبد الحميد الثاني وإصلاحاته الداخلية

ومن جوانب إهتمام السلطان عبد الحميد الثاني بالإصلاحات الداخلية إصلاحات **البناء**، ففي عهد السلطان عبد الحميد الثاني، انتشرت البيوت والعمارات خارج أسوار القدس، وأخذت البلدة تنمو نموا سريعا، فأنشأ المستشفى البلدي في الشيخ بدر، المعروف باسم روميما والمدرسة الرشيدية، وبرج الساعة والسبيل المجاور لها، وعمرت قناة السبيل وسالت منها مياه عيون أرطاس. كذلك سعى السلطان عبد الحميد الثاني إلى إصلاح **النظام القضائي** لكسب ثقة الأهالي، وأدرك السلطان أن هناك نقصا كبيرا في عهده بالمثقفين، فأنشأ المدارس والكليات واهتم بالمدارس العسكرية والمدنية[96]، وأنشأ جامعة إسطنبول عام 1900م، وتطورعدد المدارس بشكل ملحوظ، حيث أن عدد المدارس قد تضاعف بشكل واضح في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. وأنشأ المدارس العلمية وأخذ بنظام القياس المتري، واهتم بتطوير المعاهد العلمية والتعليم الزراعي وأرسل الطلاب إلى الجامعات الأوروبية كباريس وبرلين، وعلمت المدارس الآداب والفنون. واهتم بالتجربة العلمية وافتتح المدرسة الطبية في حيدر باشا، وأنشأ المدرسة السلطانية للشؤون المالية، ومدرسة الفنون والهندسة والطب البيطري، ومدارس الصم والبكم، ومن أشهر المدارس السلطانية، (غلاطة سراي)، وأنشأ مدرسة العشائر في اسطنبول لتعليم أبناء الزعماء وتربيتهم على روح الولاء للدولة وكان تدريس اللغة العربية إجباريا[97].

ومن أجل الحفاظ على تماسك الدولة العثمانية المترامية الأطراف، إهتم السلطان عبد الحميد الثاني**بالطرق**، فشق الطرق بين يافا والقدس، وبين القدس وبيت لحم ورام الله ونابلس، وأصبح شارع يافا خارج باب الخليل من أهم شوارع القدس التجارية[98]. وتم إفتتاح السكك الحديدية بين يافا والقدس، وسكة حديد الحجاز وسكة حديد B.B. وسكة حديد بيروت دمشق وسكة الحديد الحجاز التي أكسبت السلطان سمعة طيبة بين المسلمين.

وكذلك إهتم السلطان عبد الحميد الثاني بالجيش، واشترى قطعا حربية للإسطول وأوجد طوابير في الجيش، وحث على بناء الثكنات العسكرية والمدارس العسكرية. واستقدم السلطان عبد الحميد الثاني جنرالات من المانيا مثل فون درغورت لتدريب الجيش العثماني وأصبح الجند في تقدم مستمر.

---

[96].أوغلي، الأميرة عائشة عثمان . **مصدر سبق ذكره** . ص22.

[97].مانتران، روبير. **تاريخ الدولة العثمانية**. ترجمة بشير السباعي. ط1.القاهرة: دار الفكر،1993م ، ص244.

[98]. تماري، سليم .عصام نصار. **مصدر سبق ذكره. ص68 .**

واهتم السلطان عبد الحميد الثاني **بالجانب الديني**، حيث عمل على تسهيل قوافل الحج إلى بيت الله الحرام، ليجعل نفوذه يمتد إلى الحرمين الشريفين، وكسب عواطف المسلمين، ونجح في تحقيق الجامعة الإسلامية واستطاع أن يستثمرها طويلا[99] وقرب إليه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده واهتم السلطان عبد الحميد الثاني بالحرم القدسي الشريف، فجدد عمارته وجدد عمارة السبيل المعروف بسبيل قايتباي وزود الحرم بوافر من السجاد والثريات الثمينة، وكتب سورة يسن بالخط الثلث على مسجد الصخرة، وفي عهده وضع الهلال الحالي على قبتها.

وكان من سياسة السلطان عبد الحميد الثاني، تقريب رجال الدين والعلم والعلماء، فقرب إليه عزت باشا العابد والشيخ ابو الهدى الصيادي الرفاعي، والشيخ طاهر الجزائري وخير الدين التونسي، وكما ذكرنا كذلك جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وقد وصف جمال الدين الأفغاني السلطان عبد الحميد قائلا:

"*لو وزن بأربع من عظماء عصره لرجح عليهم*"[100].

ومن الملاحظ أن الدولة العثمانية والسلطان على رأسها يحاول أن يرمم كل صدع، وأن يمد يد التعمير والإصلاح في كل ركن من أركان الدولة العثمانية، ولكن الذي كان يغل يديّ السلطان عبد الحميد الثاني، ويمنعه من تنفيذ الإصلاحات، هي الضائقة المالية التي كانت من أهم مشاكل الدولةالعثمانية، حيث أعلنت الدولة العثمانية عن إفلاسها في تشرين من عام 1875م.

حاول السلطان عبد الحميد الثاني معالجة هذا الموضوع بالدستور وإعادة مجلس المبعوثان، وفيه تم المصادقة على تخفيض الرواتب، وإصلاح القطاع الزراعي والصناعي والتجاري، وتخفيض المخصصات الشخصية وتم القضاء على الإسراف واستلم المالية رجل على درجة عالية من الكفاءة وهو هاكوب باشا[101].

ولكن لم تنجح هذه السياسة، بسبب الحروب والفتن وعظم القروض والإمتيازات الأجنبية، فقد أثرت سلبا على الإقتصاد العثماني، واستغلت المواد الخام بأسعار زهيدة، وأدت إلى ظهور نظام الحماية، الذي أدى إلى تهرب جزء من الرعايا من الضرائب، حتى أن صناديق البريد للدول الأوروبية، كانت معفاة من التفتيش والمراقبة من قبل الدولة العثمانية، فهي في الحقيقة مواثيق مذلة مهينة، وسمحت بتشكيل حكومة داخل حكومة[102].

---

[99]. بيهم، محمد جميل. **فلسفة التاريخ العثماني**. بيروت: شركة فرح للطباعة ،1954م ، ص179.
[100]. النمر،إحسان. **تاريخ جبل نابلس والبلقاء**. ط1. نابلس: مطبعة جمعية المطبعة التعاونية ،1975م، ص97.
[101].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره** . ص52.
[102].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره**. ص60 .

السلطان عبد الحميد الثاني وإصلاحاته الخارجية

كانت معظم الدول الأوروبية لها أطماع مباشرة وغير مباشرة في أملاك الدولة العثمانية، وبعضها مارس مثل هذه الأطماع على أرض الواقع مثل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، فما كان أمام السلطان عبد الحميد الثاني إلاّ التقارب مع المانيا، واتصل مع الإمبراطور الألماني غيليوم، الذي استجاب ورد عليه بزيارة الدولة العثمانية أكثر من مرة، وزار دمشق والقدس، واستقبل استقبالا حافلا، وحصلت ألمانيا على إمتياز مد سكة الحديد المعروفه بخط بغداد عام 1902م، والذي يبدأ من حيدر باشا بالأستانة إلى بغداد إلى الخليج العربي وعرف الخط B.B .B[103].

ومنذ أن استلم السلطان عبد الحميد الثاني الحكم، زاد التوتر بين الدولة العثمانية وروسيا، ففي نيسان من عام 1877، أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية نصرة للبوسنة والهرسك، وقد تمكن الجيش الروسي خلالها من الوصول إلى مشارف إسطنبول. قادت هذه الحرب إلى هزيمة الدولة العثمانية، وإجبارها على توقيع هدنة عسكرية في 19 كانون أول من عام 1878م. ونتج عنها إستقلال الصرب ورومانيا والجبل الأسود ومنح بلغاريا الاستقلال الذاتي، وجعلت الإدارة في البوسنة والهرسك مستقلة، وفرضت على الدولة العثمانية غرامة حربية عالية ولحقت بها معاهدة سان ستيفانو في آذار من عام 1878م، ونصت بعض بنودها على توسيع حدود بلغاريا، ومنح الاستقلال لإمارة الصرب والجبل الأسود وتوسيع روسيا، حدودها ومساحتها على حساب أراضي الإمبراطورية العثمانية.

عارضت بريطانيا والنمسا المعاهدة، خوفا من أطماع روسيا، وخوفا على المستعمرات البريطانية في الهند. وجاءت معارضة النمسا بسبب عدم تحقيق إنضمام البوسنة والهرسك لها، في حين وقفت فرنسا على الحياد، ثم نتج عنها مؤتمر برلين في 13/حزيران من عام 1878م برئاسة بسمارك، خفضت الغرامة على الدولة العثمانية، وتم ضم البوسنة والهرسك للنمسا. واحتلت بريطانيا قبرص عام 1878م ومصر 1882م. وأمّا فرنسا فاحتلت تونس 1881م.واستغل السلطان عبد الحميد الثاني هذه الحرب وما نتج عنها من خسائر مادية وروحية وهزائم متكرره، لوقف الدستور وتعليقه بحجة انشغاله فيما هو أهم من الدستور وتطبيقه[104].

أمّا وضع القدس إبان تلك الفترة، وعلى الرغم من السلسلة الإصلاحية التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني، لتحسين الوضع وتثبيت الأمن، ونشر روح الطمأنينة بين الناس، إلاّ أن الدولة العثمانية ورغم زيادة عدد أفراد القوة العسكرية في القدس، لم تتخذ إجراءات ناجحة لتوطيد الأمن،

---

[103].دروزه، محمد عزة. **مصدر سبق ذكره**. ص145.
[104].نيازملا، محمد قربان. **مصدر سبق ذكره**. ص56 .

فكانت أعدادهم غير كافية ودون مرتبات لأكثر من ثمانية عشر شهرا، دون أن يدفع لهم شيئا إلاّ في الحالات النادرة، حتى أن الجنود لم يتمكنوا من علف خيولهم، فنهبوا الفلاحين بدل حمايتهم[105].

ورغم هذا كان المقادسة كإخوانهم في باقي المدن والولايات العثمانية، قد شاركوا في الحروب وساهموا في تكاليفها، وشمل ابناءهم التجنيد الإجباري في الجيش العثماني، وقد أشار إلى ذلك مبعوث القدس الشريف "يوسف ضياء "محمد الخالدي، في رسالة أبرقها لزميله المستشرق النمساوي فارموند قائلا فيها:

" إن*العثمانيين خسروا في الحرب الروسية العثمانية نحو مئة ألف عسكري، وأن نصف هؤلاء من العرب وأن حصة فلسطين وجارتها البلقاء أكثر من عشرة آلاف قتيل في ساحات المعارك"* [106].

مع هذا تجلى الموقف من خلال ساحة مجلس المبعوثان، الذي كان ساحة من ساحات التأمل والتداول لأحداث وتطورات حول قضايا الدولة العثمانية، وكان المبعوثون القادمون من الولايات العربية، والقدس خاصة أكثر النواب رفعا للصوت والنقد، وكان النواب العرب الصغار السن، ممن حصلوا على التعليم الحديث، المطلعين على النظام الأوروبي الجديد مثل نافع الجابري وخليل غانم و"يوسف ضياء" محمد الخالدي، الذي تخلى عن رئاسة بلدية القدس للذهاب إلى إسطنبول وكان في الخامسة والثلاثين من عمره. وقد شن الخالدي هجوما عنيفا على مبدأ القوم المتجذر بعمق التراث الإجتماعي والسياسي والثقافي وفي إحدى جلسات المجلس الأولى مما قاله:

"*إن الأكفأ والأقدر لا الأكبر سنا هو الذي يجب إيصاله إلى مواقع القيادة داخل* البرلمان"[107].

حذى حذو "يوسف ضياء" محمد الخالدي، كل من نافع الجابري وخليل غانم، وبرزوا الثلاثة بمواقفهم في تأييد النظام البرلماني الجديد، وحاولوا توطيد وترسيخ مكانة مجلس المبعوثان في مواجهة مجلس الوزراء. واقترح "يوسف ضياء"محمد الخالدي، إستبدال الأكثرية المطلقة بأكثرية الثلثين المعتمدة، لتمكين المجلس من استجواب الوزراء، وقال خليل غانم :

"إن الصلاحيات العرفية لم تعد إلّا في تمكين الحكومة، من تحييد المعارضة" [108].

وشكى "يوسف ضياء" محمد الخالدي، من المعاملة التعسفية التي تعرض لها وغيره من النواب، في رسالة وجهها إلى الصدر الأعظم، ورئيس المبعوثان أحمد وفيق، كونه من المساهمين

---

[105].عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره**. ص129.
[106].مناع، عادل." **تاريخ فلسطين" مصدر سبق ذكره**. ص215.
[107].قيالي، حسن. **الحركة القومية بعيون عثمانية 1908-1922م.** ترجمة فاضل حتكر، مراجعة زياد مني. ط1. دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، 2003م، ص58.
[108]. قيالي، حسن. **مصدر سبق ذكره**. ص59.

في الحركة الإصلاحية العثمانية، وكان صاحب نفوذ في الباب العالي وله إحترام في الأستانة وله موقف واضح من الحركة الصهيونية، وقد عبر عنها في رسائله مع أحد زعماء الحركة الصهيونية وهو هيرتزل.

لكن الملاحظ أن الكتلة العربية في مجلس المبعوثان لم تتصرف ككتلة متجانسة واحدة، ولم يكن لها فكر عربي موحد ومميز، ولم يكن الفكر القومي العربي قد ظهر، وإنما كان الهدف من كل هذا هو المحافظة على مصلحة الدولة العثمانية، والحفاظ على الخلافة الإسلامية، التي كانت تمثل رمزا دينيا تحافظ على الدين وتحمي الديار.

وجملة القول، أن الإصلاحات التي قامت بها الدولةالعثمانية، تمت في ثلاث مراحل الأولى أعقبت فترة المجد والشموخ التي عاشتها الدولةالعثمانية، وهي محاولات الإصلاح في التدهور الحاصل في الشؤون الإدارية والضريبية للدولة، وهي محاولات فرضتها الحاجة الداخلية للإصلاح، والثانية عبرت عنها النخبة العثمانية، اعتماداعلى نموذج إصلاح أوروبي للتطور، بتحديث عسكري وتحديث جهاز الدولة على النظام الأوروبي، والثالثة مفروضة على الدولة بإتفاقيات دولية من قبل الدول الأوروبية وهي التي سميت بالتنظيمات.

هذه المحاولات حسنت من الأوضاع قليلا، ولكن سرعان ما تدهورت الأوضاع في مختلف الجوانب، بسبب الحروب وكثرة الفتن والثورات والقروض والإمتيازات والأزمة المالية، ولأن هذه الإصلاحات جاءت مفروضة على الدولة العثمانية من الدول الأوروبية، ولم يكن هناك قناعة تامة من قبل النظام الحاكم في الدولة بالإصلاح، حيث تفشت روح الكسل والتقاعس في نفوس الموظفين وحب الرشوة وعدم الإنتماء، ودبت الروح الإنهزامية بين صفوف الجنود، وأدى ذلك إلى الفشل وانهيار النظام السياسي الحاكم.

مواقف النخبة المقدسية من عزل السلطان عبد الحميد الثاني

عندما استلم السلطان عبد الحميد الثاني الحكم في عام 1876م، كانت الأوضاع في البلاد تسير من سيء إلى أسوأ، وكان على السلطان وحاشيته القيام بمجموعة من الإصلاحات لوقف التدهور، فبدأ في تطبيق ما بدأه آبائه وأجداده من تطبيق لخط شريف كلخانه و خط همايون وإعلان دستور مدحت باشا، ولكن كما ذكرنا سابقا، أن كثرة الفتن والثورات والحروب التي خاضتها الدولة العثمانية، والحرب الروسية العثمانية، أدت إلى تعليق الدستور وإغلاق المجلس واتهام مدحت باشا بمقتل السلطان عبد العزيز، وحكمت عليه محكمة يلدز في 1881/6/27م بالإعدام، ثم خفف الحكم ونفي إلى سجن الطائف المركزي. ولكن تم قتله على أثر محاولة تهريبه في 1884/8/6م، مما جعل السلطان أكثر حذرا ويقظة[109].

بعد ذلك انتقل السلطان لحكم البلاد حكما فرديا، ورغم أن السلطان نجح في استقطاب شخصيات عربية وإسلامية لمساعدته، إلاّ أنه في عهده شهد انفصال كثير من الولايات والأقاليم عن جسم الدولة العثمانية على أثر الحرب الروسية العثمانية، وانهزمت الدولة في الكثير من الحروب باستثناء الحرب اليونانية العثمانية.

وقد سيطر على البلاد الخوف والرعب من اليد الحاكمة، ولكن مع هذا كله ظهرت الأصوات المنادية بعزل السلطان عبد الحميد الثاني في 1878/5/20م، أي بعد سنتين من إعتلائه العرش، حينما اتفق علي سعداوي الذي كان زعيما للشبان الأتراك، مع أنصاره على عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وإعادة السلطان المخلوع مراد الخامس إلى العرش، وذلك بعد إنتشار إشاعة أن مراد قد تعافى من مرضه. وعليه تم مهاجمة قصر الجراغان من جهة البر والبحر ودخلوا القصر وقتلوا حراسه، ودخلوه عنوة وسلم مراد الخامس المسدس، ولكن سرعان ما جاءت قوات السلطان عبد الحميد الثاني من قصر يلدز، وقتلوا علي سعداوي وعشرين آخرين من أنصاره، وجرح أكثر من ثلاثين، ويقال أن المخابرات الإنجليزية كانت وراء هذه العملية، لأن علي سعداوي كان متزوجا من فتاة إنجليزية تعمل في المخابرات الإنجليزية. ولكن كان هذا مؤشرا على عدم الرضا من تسلم السلطان عبد الحميد الثاني الحكم بدلا من السلطان مراد [110].

كان الجهاز الإداري والعسكري في الدولة ضعيفا، وامتد الضعف إلى انحاء الإمبراطورية، واصطدمت الدولة في كثير من العقبات في البلاد، منها العصبيات المحلية، مثل عصبة أبو غوش وعصبة عبد الرحمن في قضاء الخليل والبدو، وتدخل القناصل الأجانب، الذين بحثوا عن ركائز

---

[109].عمر، يوسف حسن. **مصدر سبق ذكره** . ص28 .
[110].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره** . ص26 .

لهم في هذا اللواء وكل لواء، هذا بالإضافة إلى عدم استطاعة الحكومة، توفير الأمن والأمان للناس وسوء الأوضاع الإقتصادية مما جعل الناس يكرهون الحكم ويقاومونه[111].

هذا كله دفع السلطان أن يكون دائم الحذر والخوف من المستقبل، وطبق سياسة الإعتماد على النفس، حيث كان يسمع ويسأل كثيرا، ولا يتكلم إلاّ القليل، يستشير مستشاريه ومرافقيه ولكن القرار الأخير له.

إن ضياع مناطق واسعة من أراضي الدولة العثمانية، تحت إهمال وعدم إهتمام وضعف الدولةالعثمانية، أدى إلى ردود فعل ثورية عند الضباط والسياسين العثمانيين، نجم عن هذه الردود تشكيل حركتين هما حزب تركيا الفتاة، وجمعية الإتحاد والترقي، وانتشرت فروعهما في جهات عديدة من الدولة العثمانية.

وبدأ التغيير في الرأي العام نحو الحكم، وزادت الكراهية للنظام السياسي الحاكم، ونتج عن ذلك إغتيال شمس الدين باشا أحد المقربين لدى السلطان، وهي رسالة هادئة للسلطان، فأشار المفتش الثاني على السلطان عبد الحميد الثاني، بضرورة إعلان الدستور واضطر السلطان إذعانا لذلك، الموافقة على إعلانه تحت تهديد المتظاهرين الزاحفين نحو الأستانة، وأعلن الدستور في 1908/7/24م، ولم يتم عزل السلطان في ذلك العام بسبب أحداث 31/آذار من ذاك العام[112]. ابتهج الجميع لذلك وزينت الدولة العثمانية، وعمت الفرحة والإبتهاج كافة أنحاء الدولة، وأبقوا الصدر الأعظم كامل باشا، وأعاد ما تم تعليقه في عام 1878م بعد ثلاثون عاما من الحكم الفردي وكبت الحريات[113]. إلاّ أن جماعة السلطان عبد الحميد الثاني وبطانته ومرافقيه والمنتفعين منه، فقدوا بعض نفوذهم وتخوفوا على مستقبلهم، فهبوا يهللون ويكبرون ويدعون إلى الحكم الشرعي ضمن الشريعة الإسلامية المحمدية[114]، طالبوا بإصرار بإلغاء الدستور لأن معظم مواده من دساتير أوروبية[115].

فاضطرب الإتحاديون أنصار الدستور، وتعاظمت فيهم الروح الدستورية، وحب التغير والتأمل بمستقبل واعد وتسلحوا بقوة من الجند وأنصار الدستور، وانتهى الأمر بإستعمال القوة، واتخاذ قرار بخلع السلطان عبد الحميد الثاني[116].

---

[111].عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره** . ص129 .
[112].النمر، إحسان. **مصدر سبق ذكره** .ص99 .
[113].عوض، خالد. **القدس في سجل مصور 1886-1948 من أواخر العهد العثماني حتى نهاية الإنتداب البريطاني**.ط2.الناصرة: اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والعلوم، 2012، ص316 .
[114].النمر، إحسان. **مصدر سبق ذكره** . ص199 .
[115].النمر، إحسان. **مصدر سبق ذكره** . ص200.
[116].فريد، محمد. **مصدر سبق ذكره** . ص411.

وفي يوم الثلاثاء في 1909/4/27م، اجتمع 240 عضوا من المجلس في سان ستيفانوس، في جلسة مشتركة وقرروا خلع السلطان عبد الحميد الثاني من عرشه، واستصدروا فتوى من شيخ الإسلام "محمد ضياء" الدين أفندي، ووافق مجلس المبعوثان بالإجماع، متخذين قرارا يقضي بخلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش[117].

وبعد سنة من إعلان عبد الحميد الدستور، فقد داسوا على صورته بأرجلهم، وأهانوا رجاله وأنصاره وكل من له صلة به، واعتقلوه ونفوه إلى سالونيك. وكان ذلك لأن السلطان عبد الحميد الثانيقد أسس الحزب الحميدي وأخذ يعمل ضد جمعية الإتحاد والترقي، واتهم أعضاء الإتحاديين بالكفر والإلحاد، فما كان من محمود شوكت وعلى رأس جيش من الروملي ومقدونيا إلا أن إتجهوا نحو اسطنبول محاصرين محتلين للمدينة، وقبضوا على الثائرين. وفي يوم السبت في 1905/7/24م، استيقظ المواطنين القاطنين في اسطنبول على دوي المدافع من جهة يلدز، وحوصرت السراي، ثم أرسلوا إليه إنذارا، على شرط طلب التأمين على حياة وأسرة السلطان عبد الحميد الثاني، فأجيب طلبه ونقل إلى قصر طولمه بغجة، وأعلن محمد شوكت الأحكام العرفية في الأستانة بصفته حاكما لمدينة اسطنبول، وقائدا لجيش الفدائيين، وقائدا للأسطول والفيلق الثاني والثالث وقال:

"إننا لنعفوا عن المسيئين النادمين، أمّا الذين يصرون على عنادهم فيستوجبون الحكم"[118]. واستمر الزحف، وانضم إلى جيش الحركة اليهود والبلغار والصرب والأرمن، وحوصر قصر يلدز- وكانوا ثلاثين ألف جندي، وعندما وصل الأمر إلى السلطان قال:

" لا أستطيع بعد هذا العمر أن اقتل المسلمين بالمسلمين"[119].

في هذا السياق السريع، عرض السفراء الأوروبين على السلطان عبد الحميد الثاني استضافته وحمايته وأسرته لكنه شكرهم قائلا:

"سيكون قبري حيثما وجد قبر أجدادي، إنني أفضل الموت على الإهانة "[120].

عقد محمود شوكت المحكمة العسكرية وطبقت أحكامها على خلفية أحداث 31 آذار وأطلقت المدفعية مائة مدفع ومدفع من المواقع المعتادة، وذهب كل من عارف حكمت الفريق البحري وآرام أفندي أرمني، وعضوا في مجلس المبعوثان العثماني وعمانوئيل قره صو، مبعوث سالونيك وأسعد الأرناؤوطي، دخل الوفد القصر ووقف أمام السلطان عبد الحميد، وقام كل منهم بتحية السلطان عبد

---

[117].نيازملا، محمد قربان. **مصدر سبق ذكره**. ص109 .
[118].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره**. ص364.
[119].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره**. ص369.
[120].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره** . ص269 .

الحميد الثاني، ورد عليهم التحية، وكان أسعد الأرناؤوطي يحمل قرار الخلع الصادر من المجلس المشترك، ومصادق عليه من شيخ الإسلام "محمد ضياء"الدين أفندي، ثم بادر أسعد الأرناؤوطي للسلطان قائلا:

"لقد عزلتكم الأمة"

رد السلطان عبد الحميد الثاني بصوت جهوري قائلا:

"إنكم تريدون القول إنها خلعتني".

ثم قرأ عارف حكمت باشا صورة فتوي شيخ الإسلام وما أن وصل عارف حكمت إلى حرق الكتب الشرعية قال السلطان عبد الحميد الثاني بصوت عال:

"*حسبنا الله* "

قال السلطان عبد الحميد:

"مم صدر القرار؟ " فقالوا: *"من رئيس مجلس الأعيان سعيد باشا"* ثم قال لعارف حكمت باشا:

" إن أرواحكم وأموالكم وأولادكم تحت سيطرتنا "

فقال السلطان عبد الحميد الثاني: *"ذلك تقدير العزيز العليم"*، والتفت السلطان نحو عمانوئيل قره صو وقال بشكل عصبي: *" لكن ماذا يفعل هذا اليهودي في هذا المقام مقام الخلافة؟ "* ثم قال: *"يا رب عاقب هؤلاء المسؤولين عن هذه المصيبة"* [121].

وقال السلطان عبد الحميد كلماته الأخيرة في هذا المقام:

إن ما يحزنني ليس الإبعاد عن السلطة ولكن *سوء المعاملة غير المحترمة التي ألقاها بعد كلمات أسعد باشا التي خرجت عن حدود الأدب"* [122].

ووجهت للسلطان عبد الحميد الثاني تهمة إحراق المصاحف، والإسراف والتبذير والظلم وسفك الدماء. وخلع السلطان واعتقل ونفي إلى مدينة سالونيك، وبقي هناك تحت الإقامة الجبرية، وقد تعرض السلطان عبد الحميد الثاني في مقره، وقبل وفاته إلى محاولة إغتيال من قبل ضابط في سلاح المدفعية، وهو يوزي باشا حيث أطلق عليه الرصاص، فأخطأه وارتطمت بالحائط فوق رأسه[123].

هذا مؤشر على مدى كراهية الناس والجنود لحكم السلطان عبد الحميد الثاني، حتى وبعد خلعه عن العرش، إنتقاما وخوفا من الرجوع مرة أخرى كما فعل سابقا. وأخيرا نقل إلى أحد

---

[121].نيازملا، محمد قربان. **مصدر سبق ذكره**. ص88 .

[122].الصلابي، محمد. **مصدر سبق ذكره**. ص722.

[123].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره**. ص279 .

القصورالنائية في اسطنبول، حتى توفي في 1918/2/10م على أثر نزيف داخلي وعمره 76عاما، وتم دفنه في مقبرة بكلربكي بإحتفال رسمي إلى جانب جده محمود الثاني.

ونستطيع القول أن ما حدث في الدولة العثمانية، من إنقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني وخلعه، كان موضع إعجاب لدى المنصفين وغيرهم من العالم، فكانت الخسائر البشرية قليلة إذا ما قورنت بعظمة الحدث، واستبشر العثمانييون بالإنقلاب وعلقوا آمالا على الإتحاديين وبرنامجهم الإصلاحي، حيث درسوا أحوال الدولة العثمانية وعملوا على إصلاح أسباب الفساد.

وابتهج العرب واليهود من عزل السلطان عبد الحميد الثاني، حيث اعتبر اليهود هذا اليوم عيدا لهم[124]، وبذلت الحركة الصهيونية جهدا واضحا في تغيير النظام السياسي العثماني، بسبب موقف السلطان عبد الحميد الثاني، من هجرة اليهود إلى فلسطين والإستيطان في القدس، وعندما تحركت عناصر الإتحاديين، ساندوهم ودعموهم بالمال والفكر، خاصة يهود الدونمة ونجحوا في الأمر وقد دفع هذا العمل الصهيوني في فلسطين إلى الأمام[125].

وأمّا القوميون العرب فكانوا أسعد شعوب الدولة العثمانية بسقوط السلطان عبد الحميد الثاني، لأنهم كانوا ينتظرون إصلاحا دستوريا جديدا، يمنح شعوب الدولة العثمانية حقوقا متساوية وكانوا يتأملون أن يتمثلوا في مجلس المبعوثان الجديد كالأتراك على الأقل، رغم أن العرب أكثر من الأتراك، إذ كان عدد العرب عشرة ملايين ونصف، مقابل سبعة ملايين تركي، وكان عدد ممثلي العرب أقل من النصف، بمعنى أنه كان في المجلس ستون عربيا مقابل مائة وخمسون تركيا، وثلاثة من أربعون عضوا في مجلس الأعيان، الأمر الذي زاد من حدة النزعة القومية عند العرب خاصة المثقفين منهم[126]. والذين كانوا يحبذون الإدارة اللامركزية وهي نوع من الحكم الذاتي عن حكومة فيدرالية إتحادية[127].

أمّا في فلسطين عامة والقدس خاصة، فإنهم لم يختلفوا كثيرا عن إخوانهم باقي شعوب الدولةالعثمانية، ولكن هناك تفاوت في الحماس والتشجيع والتأييد، لعزل السلطان عبد الحميد الثاني بين سالونيك ومقدونيا والقدس، فلم تقابل أخبار خلع السلطان عبد الحميد الثاني بحماس من قبل الشعب الفلسطيني والمقدسي بشكل خاص.

وكان هناك فئات لم ترتح لما حدث من أحداث في العاصمة العثمانية، من إعلان الدستور وخلع السلطان، الذي كان ينظر إليه غالبية المسلمين على أنه عامل وحدتهم، والمدافع عن

---

[124] .الصلابي، علي محمد. **مصدر سبق ذكره** . ص723.

[125] .قاسمية، خيرية ."نجيب نصار في جريدة الكرمل 1909- 1914أحد رواد مناهضة الصهيونية " **مجلة شؤون فلسطينية** .العدد22، تموز1973م، ص101.

[126] . رافق، عبد الكريم .**العرب العثمانيون** .دمشق: مكتبة ومطبعة السروجي ، 1978م ، ص525.

[127] . طنوس، عزت . **مصدر سبق ذكره** . ص24 .

ممتلكاتهم وغالبيتهم من العلماء والزعماء ومعظم العشائر المقتنعين، أن مواد الدستور غريبة ولا مكان لها، ما دامت الشريعة الإسلامية قائمة، خاصة القائمين على الدستور، وكذلك كانوا يخشون من المستقبل غير الواضح[128].

وأخيرا تم عزل السطان عبد الحميد الثاني عن العرش، وتم تعين محمد رشاد سلطانا باسم السلطان محمد الخامس، وبدأ عهد جديد من الدستور والبرلمان وسيادة الأحزاب والجمعيات، ودام هذا العهد حتى عام 1914م، حيث نشبت الحرب العالمية الأولى، ودخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، وتغير العالم كله ومنه تركيا فكان السلاطين أشباح وأشباه سلاطين بعد السلطان عبد الحميد الثاني، إلى أن محا مصطفى كامل الخلافة وأسس جمهورية أنقره .

[128].الغامدي، سعيد سعد سفر . **مصدر سبق ذكره**. ص162 .

الخاتمة

على إمتداد ما يزيد على ثلاثة عقود، وبعد تعطيل مجلس المبعوثان وتعليق الدستور، والإنتقال إلى الحكم الفردي، ولم يواجه السلطان عبد الحميد الثاني، إلاّ القليل من المعارضة السياسيةالداخلية، بسبب قبضته الفولاذية في الحكم، وجهازه الأمني المركزي، ونظرة الناس إلى السلطان عبد الحميد الثاني، أنه خليفة المسلمين وحامي الدين والديار.

وما إن أخفق النظام البرلماني، حتى خبا نور سلسلة من المحاولات الحماسية، الرامية إلى الإطاحة بالنظام، فالفارون المقيمون في أوروبا، تابعوا الكفاح ضد السلطان عبد الحميد الثاني بالكلمة المكتوبة، إلاّ أنها كانت جهودا فردية إلى حدّ ما، وكان النظام يسعى جاهدا لتقويض هذه الأصوات والقضاء عليها.

ورغم محاولات الإصلاح التي قامت في الدولة العثمانية لتقييم الوضع وتقويمه، ووضع الدولةالعثمانية على الطريق الصحيح، إلاّ أنها كانت إصلاحات مفروضة على الدولة العثمانية بإتفاقات دولية أوروبية، زادت من تقهقر البلاد وتراجعها وتفككها، لأنها سعت جزئيا لخدمة مصالحها وتحقيق أطماعها[129].

وكانت فلسطين والقدس بحكم موقعها الجغرافي بين تيار الحركة الإصلاحية ومركزها بيروت، والحركة اللامركزية ومركزها القاهرة ، جعلتهم يشاركون في تلك الحركتين بين المد والجزر، وظهر هناك جناح آخر لا مع هذا ولا مع ذاك، بزعامة مبعوث القدس عثمان النشاشيبي الذي إنتقد كلا الحركتين في برقية أرسلها للصدر الأعظم يقول فيها :

" الدولة في إضطراب لتوالي الحروب عليها وأن أي تغير يهدد وحدة الدولة العثمانية "[130]

وتبنى بعض أفراد النخبة المقدسية توجهات وأفكار جمعية الإتحاد والترقي، والتي دعت إلى تحقيق المساواة والعدالة بين كافة أبناء الدولة، والعمل على إصلاح شأن البلاد والعباد .

وما أن إنقضت بضع سنوات على عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وتولي محمد الخامس سلطانا على البلاد، حتى دخلت الدولة العثمانية الحرب العظمى وخسرت في هذه الحرب الكثير وانتهى العهد العثماني على القدس، وبإنتهائه دخلت البلاد العربية وفلسطين والقدس تحت مظلة إستعمار أوروبي جديد عام1917[131].

---

[129].الغزاوي، قيس جواد. **الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الإنحطاط**. ط2 .بيروت: دار النهار العربية للعلوم،2003م، ص35 .

[130] .القاسمية، خيرية. **"الحملة الإنتخابية" مصدر سبق ذكره.** ص387.

[131].عوض، خالد. **مصدر سبق ذكره** . ص316 .

الفصل الثالث

مواقف النخبة المقدسية من ثورة الإتحاد والترقي

1908

المقدمة

في ظل الوضع السياسي، والتخبط الإجتماعي والإقتصادي والثقافي، وفي ظل هذا الواقع المزري، الذي عاشته الدولة العثمانية، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، من تعليق للدستور، وحلّ مجلس المبعوثان، والحكم الفردي وكبت الحريات، والتضييق على الصحافة والجمعيات والحركات الإصلاحية، والتأخر في مختلف مناحي الحياة واضطراب الأمن وقلة الهدوء وسوء الأوضاع الإقتصادية. في ظل هذا كان ثلة من الشباب العسكريين والمدنيين، الذين إستاؤا مما عانى منه الوطن والمواطن، طيلة الحقبة السابقة، التي سبقت إعلان الدستور والإنقلاب الإتحادي على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908م، لقد هب هؤلاء الشبان لإنقاذ ما يمكن إنقاذه حسب ادعائهم، وإصلاح ما يمكن إصلاحه، من خلال تشكيل جمعية الإتحاد والترقي، على غرار جمعية الكاربوناري الإيطالية، رافعة شعار الحرية والمساواة والإخاء والعدالة.

تظاهر السلطان عبد الحميد الثاني، أنه مع الدستور وإعادة تطبيقه، وأعلن أنه مع الإتحاديين، وقدم لهم الدعم المادي والخيل والقصر، وأعلن أنه مع الإصلاح والقضاء على الفساد، ولكن سرعان ما نقض العهد والوعد، وحاول من جديد الإنقلاب على الدستور، فما كان من أعضاء جمعية الإتحاد والترقي، بزعامة محمد شوكت من دخول اسطنبول، والقت القبض على السلطان عبد الحميد الثاني، وعزلته ونفته إلى سالونيك، ووضعت بدلا منه أخيه محمد الخامس سلطانا على البلاد كما تم ذكره سابقا.

لقد بذلت جمعية الإتحاد والترقي جهودا كبيرة في إصلاح النظام، وإزالة أسباب الفساد، في نظام الإلتزام والأمور الإدارية والمالية والتعليم والجيش وغيرها، وقد نجحوا في بعضها ولم ينجحوا في البعض الآخر، بسبب التضخم المالي وزيادة المصروفات على الوردات.

وعلى أثر سياسة التتريك التي إتبعتها الدولة العثمانية بقيادة جمعية الإتحاد والترقي، إنتشر الوعي القومي العربي، وتأسست الجمعيات والحركات ألإصلاحية العربية في عواصم باريس وبيروت والقاهرة وإسطنبول، سرا وعلانية مثل جمعية الإخاء العربي، والجمعية القحطانية والعهد والعربية الفتاة، التي دعت إلى المساواة بين العرب والترك، وتحسين الأوضاع حتى الحرب العظمى.

مواقف النخبة المقدسية من ثورة الإتحاديين

في الفترة الممتدة بين عامي1897- 1909 شهدت البلاد ، مولد حركتين أحدهما سياسية وهي الحركة الصهيونية، وأخرى عسكرية سياسية وهي حركة الإتحاد الترقي، وإن ولادة حركة الإتحاد والترقي تعود إلى فترة متقاربة من ولادة الحركة الصهيونية، إلاّ أنهما إتفقتا على التخلص من حكم السلطان عبد الحميد الثاني في ثورة عام1908م[132].

وسنتطرق في هذا الفصل الى الحديث عن **جمعية الإتحاد والترقي**، بدأت هذه الجمعية في التشكل في عام 1865م، حيث كان ستة من الشباب العثمانين المثقفين، يسرون على أنفسهم في حديقة تسمى غابة بلغراد – في إحدى ضواحي باريس – كان موضوع حديث هؤلاء الشباب في موضوعات سياسية، وخرجوا بفكرة تأسيس جمعية سرية على نمط جمعية إيطاليا الفتاة الكاربوناري، أطلق هؤلاء الشباب على جمعيتهم إسم اتفاق الحمية ومن بينهم الشاعر المشهور نامق كمال[133].

وبعد أربعة وعشرون عاما من المد والجزر، بين السر تارة والعلانية تارة أخرى، تأسست جمعية إمتداد لجمعية إتفاق الحمية، وهي جمعية الإتحاد العثماني عام 1889م، وكانت جمعية سرية خوفا من بطش وقساوة نظام حكم السلطان عبد الحميد الثاني، وحملت إسم آخر إتحاد عثماني، من قبل طلاب في كلية الطب العسكرية Harbiye في اسطنبول، برئاسة إبراهيم تيمو الرجل الماسوني الأ لباني الأصل، وهو الذي كان وراء هذا التشكيل كما تشير المصادر.

كان يدعى أحيانا بالأدهم[134]وإسحاق سكونيكان شركسيا، وحسين زاده، ومحمد رشيد وعبد الله جودت من أصل كردي. وكان يسيطر على هذه المنظمة الفكر الثوري، وكانت هذه النواة الأهم والأقوى من الحركات المعارضة للسلطان عبد الحميد الثاني، وسرت أفكار جمعية الإتحاد والترقي إلى مختلف المدارس العليا، معتمدة في تشكيلاتها على السرية التامة، خوفا من نظام السلطان عبد الحميد الثاني، وكانت تدعى في البداية الترقي والإتحاد لا الإتحاد والترقي، وكان أعضاؤها يعرفون بعضهم بعضا بأرقام كسرية فرقم العضو بسط ورقم الخلية مقام[135].

فانضم إليها الكثير من تلاميذ المدارس وأرباب الأقلام، الذين إستساغوا أفكار الثورة الفرنسية ومبادئها، وتأثروا بلغة وآداب أوروبا خاصة اللغة الفرنسية ومبادئها، ودخلت المفاهيم الليبرالية إلى النفوس ولعب نامق كمال دورا كبيرا، خاصة وأنه كان يعمل مترجما في الباب

---

[132].حلاق، حسان. **مصدر سبق ذكره**. ص9.
[133].الصلابي، علي محمد. **مصدر سبق ذكره**. ص707.
[134].رامزور، أرنست. **تركيا الفتاة وثورةعام 1908م**. ترجمة صالح أحمد علي. راجعه نقولا زيادة. بيروت: دارمكتبة الحياة، ص51.
[135].الصلابي، على محمد. **مصدر سبق ذكره.** ص711.

العالي. وبدأت هذه الأفكار تتسلل وتقرأ ليلا، وحقيقة الحال أن نامق كمال هو الزعيم الروحي، وساعده مصطفى فاضل وعلي سعاوي، معلنين عريضة مستكبرين فيها الإستبداد وعورات الدولة، ولأنهم تعرضوا للمضايقة والمتابعة من قبل جواسيس السلطان، سافروا إلى باريس ولندن وكان مصطفى فاضل المنسق بينهما، وزار نامق كمال بيروت ويافا والقدس من أجل توسيع قاعدته، بحجة إجراء تدريبات عسكرية، وأسس لهذه الجمعية فروعا في هذه المدن وأسس لها فرعا في سالونيك وجعله مقرا لهذه الجمعية، بسبب وجود عدد كبير من يهود الدونمه المنافقين، الذين أبطنوا يهوديتهم وتظاهروا بإسلامهم، وأنشأت الجمعية لها فروع في مختلف أنحاء الإمبراطورية، وسمي عناصرها باسم – يني عثمانلي لر- وتعني العثمانيون الجدد أو الشباب الجدد وأصدروا أول مجلة لهم أسموها حرية تحت إشراف رفعت بك [136].

كما قاموا باصدار صحيفة المشورت Mesueret الناطقة باسم معارضة تركيا الفتاة في أوروبا، وتولى أحمد رضا وخليل غانم قيادة التنظيم الإتحادي في أوروبا، كما أصدروا أيضا مجلة عثمانلي في جنيف لمحاربة السلطان عبد الحميد الثاني وتأليب الرأي ضده.

وتعتبر جمعية الإتحاد والترقي، الجناح العسكري لتنظيم تركيا الفتاة، حيث أن تركيا الفتاة ظهرت في زمن السطان عبد العزيز، وهي تمثل الحركة البرجوازية التركية، وهدفها إقامة حكم دستوري في البلاد، تستطيع بموجبه الصمود في وجه الأطماع العربية وإرضاء القوميات الثائرة[137].

وكان مدحت باشا قائدا لهذه الحركة، وبعد أن تنكر السلطان للحكم الدستوري عام 1877م، وفشلت حركة العثمانييون الجدد، بقيادة مدحت باشا في تحقيق نظام حكم دستوري، في السلطة العثمانية، وهم الذين أوصلوا السلطان عبد الحميد الثاني، إلى سدة الحكم وكان مدحت باشا أول ضحايا السلطان عبد الحميد الثاني[138].

على أثر هذا الفشل للعثمانيين الجدد، تحولت تركيا الفتاة إلى حركة سرية داخل البلاد وعلنية خارج البلاد، ثم إندمجت مع جمعية الحرية، التي وجدت في سالونيك عام 1899م، سالونيك أوتسالونيكي مقر لولاية تبعد عن اسطنبول 520كم وهي ثغر تجاري ويسكنها اليهود الدونمه الذين طردهم الإسبان فرديناند وإيزابيلا. وفي سالونيك قام طلعت باشا مع سبعة من أصدقائه بتشكيل أول خلية لجمعية الإتحاد والترقي في سالونيك، وأحس المحفل الماسوني كما تشير بعض الدراسات بأن طلعت باشا سيكون له شأن عظيم في الدولة، فقاموا بإحتضانه وسجلوه في عداد الماسونين، وكان

---

[136].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره.** ص105.
[137].نيازملا، محمد قربان. **مصدر سبق ذكره**. ص59.
[138].شوفاني، إلياس. **مصدر سبق ذكره**. ص290.

الرأس المدبر لهذا ألمحفل عمانوئيل قره صو اليهودي، الذي استطاع أن يحتضن طلعت باشا أكثر فأكثر[139].

بقيت جمعية الإتحاد والترقي على تواصل مع اسطنبول، واستطاعت أن تبني صلات وعلاقات مع عدد من الموظفين الليبراليين في النظام الحميدي، ومن الإنخراط في المعارضة النشطة المنطلقة من ما أورده تحت إسم جمعية الإتحاد والترقي المعروفة أكثر بإسم لجنة الإتحاد والترقي، بزعامة أحمد رضا، وفي عام 1899م إلتف تيار حول الأمير صباح الدين إبن شقيقة السلطان عبد الحميد الثاني، وصهره الغاضب على السلطان عبد الحمد الثاني محمود جلال الدين وعرفت حركته بإسم حركة المبادرة الشخصية غير الأعيان التي ما لبثت ان أصبحت منافسة لجمعية الإتحاد والترقي، واحتفظ العسكريون باسم الإتحاد والترقي .

وفي عام 1909م تم تحويل الجمعية من منظمة سرية إلى حزب سياسي علني، أخذوا على عاتقهم تصفية دولة الخلافة الإسلامية، وإسقاط نظام الخلافة الإسلامية، كما يرى أصحاب الرؤى الإسلامية - وأن يكون للأمة دستور معتمدا على القوانين الأوروبية ومجلسا على النمط الأوروبي يراقب ويحاسب السلطة التنفيذية.

وأخيرا تعتبر جمعية الإتحاد والترقي هي المسؤول الأول عن إسقاط السلطان عبد الحميد الثاني، وهي الجمعية التي تمردت على حكم السلطان عبد الحميد الثاني، وأصبحت بعد ذلك الحزب السياسي المهم في الدولة.

حاولت الجمعية القيام بأكثرمن محاولة إنقلابية على السلطان عبد الحميد الثاني، ففي آب 1896م، كان موعدا لخلع السلطان عبد الحميد الثاني، ولكن لم يتم ذلك بسبب ثورة الأرمن عام 1894م، وما أعقبها من ثورات أخرى في كردستان ومقدونيا، وتدخل أوروبا في تعزيز جمعية الإتحاد والترقي[140]، والسبب الرئيسي في فشل هذه المحاولة هو إكتشاف الخطة عن طريق نادر بك ناظر المدرسة، الذي إحتسى الخمر في إحدى الجلسات والإحتفالت إبتهاجا وسرورا، وقال آه لوعلم السلطان ما ذا سيحدث غدا- *باشم بلسن يارن نيلراد لجلق*- نقل إسماعيل المعلومات للأجهزة الأمنية، فانقض عليه السطان وأعوانه وتم إعتقالهم وفشلت المحاولة لبساطتها وعدم التخطيط الدقيق لها[141].

وبعد ذلك تم دمج جمعية وطن وحرية ومؤسسها مصطفى كمال وجمعية ألأحرار العثمانيون التي تأسست قبل الإنقلاب ونشطت هذه في الداخل وأخذت تسوق فكرة تأخر الرواتب للجيش سببا

---

[139].نيازملا، محمد قربان. **مصدر سبق ذكره**. ص61.
[140]. بيهم، محمد جميل. **مصدر سبق ذكره**. ص164.
[141].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره**. ص119.

ظاهرا للإحتجاج، وعلم السلطان عن هذا التحالف من خلال الوثائق والأخباروكان معظم قواده وجنوده من الإتحاديين. ضيق عليهم السلطان وأصبحت حركاتهم تخضع لمراقبة أجهزة السلطان عبد الحميد الثاني.

ويوم 1908/7/23م يوم إعلان الثورة، ثورة أحداث الضباط، وكان أبطالها طلعت ونيازي وأنور وجمال، وكانت قوية في الروملي وسالونيك، وجميعهم ينتمون إلى حزب تركيا ألفتاة وجمعية الإتحاد والترقي، كما كان ينتمي لهاتين الحركتين ضباطا من العرب وهدفهم ألأسمى إسقاط السلطان عبد الحميد الثاني[142].

وقد انتشرت لهذه الجمعية فروعا مختلفة في المدن الفلسطينية في يافا والقدس، ويذكر خليل السكاكيني في يومياته "كذا أنا يا دنيا"، كان يوم الخميس 1908/10/8م، وبينما أتنزه بالقرب من باب الخليل، إذ بصوت يناديني ويقول:

"*خليل أفندي*" فإذا هو ضابط يدعى جلال من جناح المنتدى العسكري التابع لجمعية الإتحاد والترقي، فرجعت ونزلت حيث هو موجود وقال لي:

" إن جمعية الإتحاد والترقي لها الشرف العظيم أن تكون عضوا فيها، فقبلت"[143].

كان لجمعية الإتحاد والترقي التي سرعان ما تحولت، إلى حزب سياسي علني وأصبحت من أهم الأحزاب السياسية في الدولة، وقادت الدولة فترة من الزمن، وكان الفكر السياسي للجمعية يؤكد على المفاهيم على المستوين الداخلي والخارجي، وكان شعارهم عدم التدين وإهمال الجامعة الإسلامية، إلاّ إذا خدمت القومية الطورانية، تشيرإلى وطن الأتراك نسبة إلى جبل طوران / توران الواقع في شمال شرق إيران[144].

وأن هذه الجمعية رفعت شعار (حريّات،مساوات، أخوّت،عدالت)، وكتبها المتحمسون على شرائط حريرية بلون أبيض وأحمر وعلقها المتحمسون على صدورهم، إفتخارا وتيمنا وإعلانا وانضماما إلى جمعية الإتحاد والترقي[145].

وعندما قامت الثورة ضد السلطان عبد الحميد الثاني، كان من أبرز قيادتها أعضاء ينتسبون إلى جمعية تركيا الفتاة، وجمعية الإتحاد والترقي والتي كان **هدفها الاساسي**،إعادة دستور مدحت باشا عام 1876، هذا بالإضافة إلى العديد من الأهداف الأخرى مثل المقاومة المسلحة لأعمال الظلم، والمقاومة بالإضرابات السياسية والإقتصادية، والمقاومة السلمية في دفع الضرائب

---

[142]. طنوس، عزت. **مصدر سبق ذكره.** ص22.
[143]. السكاكيني، خليل. **"كذا" مصدر سبق ذكره.** ص39.
[144]. الصلابي، علي محمد. **مصدر سبق ذكره.** ص713.
[145]. دروزة، محمد عزة . **مصدر سبق ذكره**. ص181.

والتصدي للسلطان عبد الحميد الثاني، وعدم محاربة الجمعيات الثورية، والهدف الأسمى هو إسقاط السلطان عبد الحميد ونظامه، وتحرير السجناء السياسيين وتسريح آلاف الجواسيس الذين كان يستخدمهم السلطان عبد الحميد الثاني وتشكيل حكومة يكون شعارها الحرية والمساواة والإخاء والعدالة[146].

كان لهذه الجمعية وجه إيجابي وآخر سلبي، حيث كان أعضاء الجمعية في إختلاف في الآراء ووجهات النظر في تحقيق الأهداف، فأحمد رضا ورفاقه كانوا أتراكا قبل كل شيء، يدافعون عن سيادة العنصر التركي في الدولة، في حالة عودة الدستور، وأمّا الأمير صباح الدين، يعتقد أنه لو ترك للشعوب حق الإختيار لاختارت الولاء للإمبراطورية، وأن الأتراك يريدون دولة دستورية موحدة، بينما الأرمن لم يكونوا يرغبون في منح الإمبراطورية فرصة أخرى لإستمرار الحياة وأعلنوا ذلك في مؤتمر 1902م. بينما المسيحيون لا يعارضون في الحماية الأجنبية المستترة أو الظاهرة، إذ كانوا يأملون أن يؤدي إلى الإصلاح، وكان العرب وهم الشريحة الأكبر سائرين على الطريق التي تؤدي بهم إلى القومية العربية، ويكون العامل الذي دفع بهم إلى هذا الإتجاه، وهو تمسك الأتراك بالخلافة في منتصف القرن التاسع عشر، أمّا دعاة الإصلاح فيريدون خوض الصعوبات والوصول الى ما بدأ به الإسلام الأول كما يتصورونه.

وزاد الطين بله، أن أعضاء جمعية الإتحاد والترقي كانت تنقصهم الخبرة الكافية، ولهذا لم يشتركوا في تشكيل أول حكومة بعد الإنقلاب، واكتفوا بالمراقبة والمتابعة من بعيد، وكذلك ظن الإتحاديون أن الحكم الدستوري هو همهم وأن مساواة العناصر العثمانية سيكسبهم عطف الدول الأوروبية، ولكن ما إن مارسوا الحكم حتى بدت لهم خطيئاتهم وبطلان نظرياتهم وأنهم ساروا على الطريق التي أدت بهم إلى انفصال الولايات عن جسم الدولة العثمانية واضطرهم في نهاية الأمر للدخول في الحرب العالمية الأولى، التي حملت في ثناياها الهلاك والدمار[147].

ثورة الإتحاد و الترقي عام 1908م

كان السلطان عبد الحميد الثاني وتحت ضغط جمعية الإتحاد والترقي وأنصارها، أن أعلن الدستور من جديد، الذي أوقفه وعلقه قبل ثلاثين عاما وأكثر، ما لبث أن تحين الفرصة للسلطان عبد الحميد الثاني للرجوع عما أعلن، وأنشأ السلطان عبد الحميد الثاني جريدة الميزان وألهب حماس العلماء وطلاب العلم والمدارس الدينية الإسلامية وحرض الإتحاديين، وإزاء هذه المعارضة الشديدة ضعف أعضاء جمعية الإتحاد والترقي واستطاع أن يتحين الفرصة، في نيسان عام

[146].طنوس، عزت. **مصدر سبق ذكره.** ص23.
[147].بيهم، محمد جميل. **مصدر سبق ذكره.** ص187.

1909م، لينقض على الإتحاديين وعلى الدستور، إستاء الإتحاديين وفرح أنصار السلطان عبد الحميد وسموه انقلاب شرعي[148].

وحقيقة أن الإتحاديين نجحوا في تجنيد أكبر عدد ممكن من المؤيدين لحركتهم في يافا والقدس، وبرز التأييد في السياسة الحميدية في نابلس ويعود هذا الإختلاف في الإتجاهات السياسية التي تأثرت بالإنفتاح على العرب اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا في كل من يافا والقدس، وغيرها من مدن الساحل، وبقي هذا الخلاف في البيئة الإجتماعية بين المدن الساحلية والداخلية في فلسطين[149]. وأخيرا أعلن متصرف القدس أكرم بك الدستور، ففرح الناس فرحا شديدا واحتفلوا وأقاموا الزينات في باب العمود وباب والخليل وصاروا يهتفون بأعلى صوتهم حرية، مساواة وعدالة، وأخذوا يغنون وينشدون بفرح عظيم، حتى أنه يصعب القلم عن الوصف، وذكر واصف جوهرية الذي كان وأخيه في المدرسة الألمانية، كيف أن الدولة أقامت أربعا من أقواس النصر في المنطقة الواقعة بين باب العمود والنوتردام الفرنسي، وذكر واصف جوهرية قائلا :

"كانت القدس شعلة من الأنوار، لم يبق منزلا ولا دكانا ولا عمارة ولا شارعا إلاّ منارا بالشموع، والرصاص يضرب في كل مكان إحتفالا وسرورا وابتهاجا بنشوة النصر التي تطغى على كل شيء، وبراميل الليموناده الطازجة المعطرة بماء الورد توزع على المحتفلين، هذه صورة رائعة من جملة صور لن أنساها ما دمت حيا" [150].

وكان من مظاهر التعبير عن الفرح في القدس، عندما جاء الدستور، ما عبر عنه محمد اسعاف النشاشيبي، لذلك كتب قصيدة بهذه المناسبة بعنوان "ذكرى فتاة مقدونيا" التي رمز فيها إلى الحرية، وأثنى على رجال الإنقلاب ودعى الشرق بعامة إلى النهوض وطلب العلم وحثه على الوحدة، ووصف محمد اسعاف النشاشيبي في قصيدته الحكم السلطاني الزائل بالظالم، الذي سرعان ما ذهب وشبه الإتحاديين بالعدل الذي ملأ الدنيا إختيالا وعظمة.

وعلى الرغم من أن محمد إسعاف النشاشيبي تقليدي ويحب القديم في مختلف الجوانب، إلاّ أنه أحب الدستور رغم أنه جديد ومع التحديث، وندد بحكم السلطان عبد الحميد الثاني وأعوانه ويصف ما لحق أهل البلاد من ذل، ويشيد بالإتحاديين الذين طهروا البلاد من فسادهم ويدعوا إلى التخلص من آثارهم ويفضح تبرير محاربة البلقان باسم الدين فيقول:

---

[148].الغامدي، سعيد سعد سفر. **مصدر سبق ذكره**. ص154.
[149]مناع، عادل. **"تاريخ فلسطين" مصدر سبق ذكره.** ص148.
[150]. جوهرية، واصف. **مصدر سبق ذكره**. ص108.

"هلك الظلم يوم راح وولى وأتى العدل باهرا مختالا"[151].

وعلى أثر انتصار الدستور وعودته وتطبيقه في الأستانة عام 1908م، وفي كافة أنحاء الإمبراطورية، وعاد مجلس المبعوثان الجديد للإلتئام، وأن متصرفية القدس انتخبت ثلاثة من الممثلين وهم روحي الخالدي، سعيد الحسيني من القدس وحافظ السعيد من يافا، وكان الحسيني والخالدي عضوان في جمعية الإتحاد والترقي.

واعتبرت فلسطين جزءا مكملا للإمبراطورية العثمانية، لكن مع عام 1911م، أصبحت الصهيونية عامل خلاف مع الحكومة العثمانية، فمع أن الدولة كانت رسميا معارضة للهجرة اليهوديةعلى فلسطين، إلاّ أن الجالية اليهودية قد أصبحت ظاهرة للعيان بازدياد وبلغ عددهم ستون ألفا وكان بينهم تسع وثلاثون ألف مواطن عثماني، فيما جاء الآخرون من مناطق مختلفة. وزادت الأمور توترا حتى أن محمد إسعاف النشاشيبي، أرسل في تشرين الثاني عام 1911م برقية لجريدة الكرمل الحيفاوية، أبدى فيها أسفه من حفلة لنادي صهيوني أجرى الإحتفالات بمناسبة إعلان الدستور، ورفع علم الحركة الصهيونية في يافا، وصرح اليهود بوجوب تمثيلهم في مجلس المبعوثان ليتمكنوا من عرض قضيتهم، وذكر أن الحاخام باشي كبير الخامات في الأستانة من شدة فرحه بالدستور والحرية، أخذ يدوس برجليه أوراقا قد انتزعت من كتاب الإنجيل[152].ونستطيع القول أن اليهود كانوا أسعد شعوب الإمبراطورية، لأنهم نالوا مكانة عالية على أيدي الإتحاديين، وكانت جمعية الإتحاد والترقي من بين أعضائها عددا من اليهود ، وكان أحد القواسم المشتركة، والذي جمع هذه العناصر، هو إنتسابها للجمعية الماسونية السرية[153].

كذلك حصل اليهود على حق المساواة مع غيرهم وأعطاهم حق المواطنة الكاملة وفتح الطريق واسعا أمامهم إلى بيت المقدس، وأصبح منهم الوزراء مثل جاويد بك الذي اصبح وزيرا للمالية، وطلعت بك وزيرا للداخلية، وعلى أثر ذلك شهدت فلسطين تدفق مجموعات صغيرة من أوروبا الشرقية من أفرادها أحباء صهيون ليس بدافع التقاليد الدينية بل بدعوى أن فلسطين هي أرض ووطن لهم، هدفهم خلق جماعة متميزة عما حولها باللغة والثقافة وأسلوب الحياة، وأخذت ترسم هذه الطلائع في فلسطين بداية للصهيونية الحديثة.

---

[151].النشاشيبي، ناصر الدين. **محمد اسعاف النشاشيبي.**القدس: أخبار دار البلد،1998، ص24.
[152].الغامدي، سعيد سعد. **مصدر سبق ذكره.** ص156.
[153].رافق، عبد الكريم. **مصدر سبق ذكره** . ص872.

وتطورت هذه الحركة على يد هيرتزل اليهودي النمساوي الذي خلق الصهيونية الجديدة في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر في غرب أوروبا بأساليب سياسة للحصول على فلسطين وهو مصطلح عرف بالوطن القومي[154].

واستطاعت الصهيونية الوصول إلى الأستانة، ولعبوا دورا واضحا في عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وأسسوا لهم مكتبا في الأستانة باسم مكتب فلسطين، وعندما جاءت حكومة الحرية والإئتلاف في صيف عام 1912م، تساهلت مع الحركة الصهيونية بسبب حاجتها الماسة إلى دعم الخزينة بعد حروبها مع دول البلقان.

وعندما جاء الإتحاديون إلى الحكم عام 1913م، ألغوا القيود المفروضة على تملك اليهود للأراضي الفلسطينية، وزاد الطين بلة تدخل السفراء والقناصل الأجانب في الأستانة والقدس، وارتشاء الموظفين ومحاولة اليهود المستمرة للتخلص من القيود المفروضة[155].

ولعبت الصحافة دورا مميزا في كشف مخططات وأطماع الحركة الصهيونية، وبرز من بين هذه الصحف جريدة الكرمل التي حملت لواء المعارضة دون توقف، وتكلل هذا العمل في توجيه اللوم الشديد إلى الأمة والحكومة، لموقعهما المتفرج تجاه هذا التيار، في مقال نشرته في شهر شباط عام 1910م بعنوان إستعمار أم إستبداد ! ووجه عبد الله المخلص من صفحات المقتبس رسالة مفتوحة إلى مجلس المبعوثان حول الخطر الصهيوني على فلسطين بقوله:

"إن فلسطين أصبحت على شفا جرف من الخطر"[156].

حيث تلقفه المثقفون العرب في الأستانة، وكان بعضهم قد لمس النفوذ اليهودي في أوساط الإتحادين، ونتائجه البعيدة في تحقيق أطماع الصهيونية، واتفق الجميع على خطورة المسألة الصهيونية في فلسطين، إلاّ أنهم إختلفوا في تحديد مدى هذا الخطر، حيث كانوا يلاحظون أن نفوذا للدونمة في سالونيك، خاصة في السيطرة المالية على أجهزة الدولة، حيث كان جاويد باشا وزيرا للمالية، وثارت حوله شكوك آنذاك، بأنه يعزز أهدافا للصهيونية، من هنا شنت المعارضة هجوما على الحكومة من خلال مناقشة المعيقات حول الميزانية في آذار من عام 1911م .

---

[154]. قاسمية، خيرية."المقاومة العربية للصهيونية في أواخر العهد العثماني 1908-1917م."**دراسات تاريخية**. مجلد4. عدد 11، كانون الثاني1993م، ص53 .

[155].عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذ كره**. ص134.

[156].عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره.** ص102.

مواقف النخبة المقدسية من سياسة الإتحاديين الإصلاحية

إتخذت جمعية الإتحاد والترقي من القدس مركزا سريا، ومنه إنتشرت فروعها في مختلف أنحاء المتصرفية، وكان العمل يجري بمنتهى السرية والتكتم والحذر، وكان من أشهر رجالاتهم في القدس، أمين بك الذي شغل موظف توزيع بريد، وتبين فيما بعد أنه شقيق طلعت باشا، وزير الداخلية في العهد الدستوري، وشخص آخر يدعى كامل بك الألباني أحد أساتذة المدرسة الإعدادية في القدس، وسامي بك الحلبي قومندان الجندرمة في القدس، وانضم إليهما كل من السيد شريف إصبوح من معلمي القدس، والشيخ موسى البديري أستاذ الدين في المدرسة الإعدادية[157].

ونتيجة لظهور جمعية الإتحاد والترقي، والمظاهرات الصاخبة التي إجتاحت بعض المدن التركية، والتي أخذت تهدد اسطنبول، تطالب بالحرية والمساوة والإخاء والعدالة، تحت هذا الضغط أصدر السلطان عبد الحميد الثاني إرادته السنية، بإعلان الدستور وتطبيقه في جميع أنحاء الدولة العثمانية، وبعد مرور فترة بسيطة من إعلان الدستور، تم إنقلاب عسكري تزعمته جمعية الإتحاد والترقي برئاسة القائد محمود شوكت، وفيه تم خلع السلطان عبد الحميد ونفيه من اسطنبول إلى سالونيك كما ذكر.

في ظل هذه الظروف كانت القدس شعلة من الأنوار، حيث رفعت الزينات في كل مكان لعدة أسابيع، والشعب يمرح ويلعب فرحا وسرورا وابتهاجا بالنظام الجديد، وكانت فرقة الموسيقى التابعة للجيش ترفه عن المواطنين، وتسير في شوارع المدينة وبعد الظهر تكون في منتزه المنشية، تعزف وتغني إلى بعد الغروب[158].

هذا في القدس، أمّا في سوريا فقد استقبل الإنقلاب بحذر شديد، وأخذ السواد الأعظم من أهالي سوريا يبكون، جاعلين هذا الإنقلاب دلالة على ذل الإسلام والمسلمين، وفي نابلس وزعت منشورات مطبوعة نددت بالعهد الجديد ورجالاته، وتدعوا إلى الوقوف إلى جانب السلطان وحماية دولة الخلافة من أعدائها.

وعلى أثر ذلك تشكلت الجمعية الحميدية برئاسة بعض المشايخ وعلى رأسهم الشيخ درويش وحدتي، وأقامت لها مراكز في مختلف انحاء الإمبراطورية العثمانية، في دمشق واللاذقية ونابلس وانتظم فيها وجهاء وأعيان فلسطين وعلمائها، وكان على رأسها الحاج توفيق حماد رئيس بلدية نابلس، وضمت كل من عمر زعيتر وبدوي عاشور وعبد الهادي قاسم وآخرون ويقال بلغ عدد أعضائها سبعين ألفا، وكان لهم جريدة "ولقان" أي البركان وضمت أنصار عهد ما قبل الدستور،

---

[157].النمر، إحسان. **مصدر سبق ذكره**. ص105.

[158].نصار، عصام. "القدس كمدينة عثمانية"**حوليات القدس**. العدد 7، ربيع/صيف2009م، ص53.

الذين صمموا على مهاجمة ومحاربة الإتحاديين، ولو إقتضى الأمر حمل السلاح، واتهموهم بالكفر والإلحاد والماسونية، وثار الجنود في وجه ضباطهم في أدرنة، وأجبروهم على إرسال وفد باسمهم إلى إسطنبول، ليأكدوا للسلطان عبد الحميد الثاني، أنهم على ولائهم، وكتب سليمان نظيف وهو من ولاة العثمانيين سلسلة مقالات في مجلة "إجتهاد التركية" يرد فيها على دعاة القومية الطورانية ومدح العرب والخلفاء الراشدون وقال عنهم:

"إنهم أساتذتنا المحدثون، بل هم كل شيء بالنسبة لنا، حتى إذا أعدنا للعرب كل ما أخذناه ، فلم يبقى لدينا إلاّ جبة ذات أكمام طويلة " [159].

وأخذوا أعضاء هذه الجمعية يحلفون الناس على الإخلاص للخليفة وتأييد الشريعة واللعنة على الإلحاد والملحدين.

واستمر نمو الشعور المعادي للإتحاديين بين الجنود والضباط، حتى ثارت مجموعة من الضباط، سمت نفسها بعصبة ضباط الإنقاذ، جماعة الخلاص-خلاصكادان - وذلك في تموز 1912م، وكان هؤلاء ينتمون إلى الحزب المعارض، حزب الحرية والإئتلاف مستغلين الظروف، ظروف حكم الإتحاديين حيث كانت مرتبكة بسبب حرب البلقان، حيث إنهزمت فيها جيوش الدولة في المرحلة الأولى، وتشكلت حكومة إئتلافية رأسها في البداية أحمد مختار باشا، رجل سياسي مخضرم، ثم تولى الحكم كامل باشا فحكمت باسم الحرية والإئتلاف واستمرت حتى كانون الثاني عام 1912م، حيث عاود الإتحاديون، بخطف الحكم من جديد بقوة السلاح[160].

لم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد إستمرت الصحافة في نقد الإتحاديين، مثل "صحيفة سربستي" لسان حزب الأحرار، الذي يقوده صباح الدين ابن أخت السلطان عبد الحميد الثاني، وعلى أثر ذلك أغتيل رئيس الصحيفة حسين فهمي، على جسر غلاطة وبلباس ضابط جمعية الإتحاد والترقي، وفر القاتل وزادت المعارضة الصحفية مثل نيري وسنجو ويومبا والأخيرة كانت تصدر في سالونيك.

ولعبت الصحافة دورا محرضا، حرضت فيه الجماهير على المظاهرات في اسطنبول، وامتدت إلى ولاية أرضروم وإلى ديار بكر، وقامت المظاهرات تهتف بحياة السلطان عبد الحميد الثاني، وهدم المتظاهرون قوس النصب التذكاري الذي أقامته جمعية الإتحاد والترقي، حيث وصف آرمسترونج جمعية الإتحاد والترقي قائلا:

---

[159].الغامدي، سعيد سعد سفر. **مصدر سبق ذكره**. ص165.
[160].دروزة، محمدعزة. **مصدر سبق ذكره.** ص19.

"يهود ماسونيون وليسوا أتراكا ولا مسلمين، وهم يهدفون القضاء على الإسلام والمسلمين".[161]

وامتد التمرد إلى مدينة إسطنبول، وأعلنوا ولاءهم للسلطان واستولوا على اسطنبول وطردوا أعضاء جمعية الإتحاد والترقي، واتسمت الأحداث بالعنف وهدموا نادي الإتحاديين وصحيفتي طنين وشوراي، وهجموا على المدرسة الحربية، وأرسل منشور في1909/4/15م،إلى جميع الحكام العثمانيين، يطلب منهم المحافظة على مبادئ الشريعة الإسلامية،ومن أجل حقن الدماء قال السلطان عبد الحميد الثاني:

"إنني واثق أنهم لايريدونني، إنني مستعد للإنسحاب،غير أنه يجب أن يظهر أولا أنه لا دخل لي في أحداث 31آذار، ودعى كل الفرق العسكرية بأرقامها وكتائبه إلى ساحات الثكنات"[162].

رغم كل الظروف، إسترجعت جمعية الإتحاد والترقي أنفاسها وسيطرت من جديد على الحكم، وأعلنت فورا عن برنامجها السياسي، وفيه مساواة المواطنون أمام القانون، في الحقوق والواجبات، دون النظر إلى الدين والجنس، وحرية التعليم وتأليف الجمعيات. ولكن في حقيقة الأمر، لم تلتزم جمعية الإتحاد والترقي بما قطعته على نفسها، من حرية وتعبير وتغير في الحكم، وإرساء الحريات الفردية واحترام الأديان والأقليات والقضاء على الإستبداد.

وتحولت جمعية الإتحاد والترقي إلى المزيد من الحكم الدكتاتوري، والإضطهاد القومي للأقليات داخل الدولة، وقامت الجمعية بإجراءات فعلية تجسد هذا الفكر المتطرف حيث طردت أنصار السلطان عبد الحميد الثاني، أنصار الظلم والإستبداد كما يسميهم أعضاء جمعية الإتحاد والترقي دون أي تعويض، وكذلك سرحوا من الوظائف العسكرية والمدنية الكثير، كما فرضوا الخدمة العسكرية على طلاب المدارس الشرعية، التي كانوا معفيين منها سابقا، وبهذا كسبوا عداء طلاب المدارس الدينية. واحتكر رجال جمعية الإتحاد والترقي المراكز المهمة مثل أركان حرب جمال باشا والبكباشي أركان حرب أنور بك.

وأخيرا سيطرت جمعية الإتحاد والترقي على سدة الحكم، ولكن كانوا يفتقرون إلى عناصر القيادة الحقيقية، وأخذت تنظر جمعية الإتحاد والترقي إلى كل شخص لا يقدر خدماتها ونصائحها، ليس فقط ناكرا للجميل بل خائنا للوطن والحكومة، فقامت جمعية الإتحاد والترقي بإبعاد الموظفين غير الإتحاديين، وأظهرت جمعية الإتحاد والترقي الإبتعاد عن الدين الإسلامي، بل المجاهرة

---

[161].عمر، يوسف حسين. **"اسباب خلع" مصدر سبق ذكره**. ص251.
[162].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره**. ص249.

بالعداوة للإسلام وإعلان الإلحاد، حتى أنه يقال أن أحمد رضا رفض أن يقسم بالله في مجلس المبعوثان.

سلك الإتحاديون سياسة عنصرية متطرفة، نادوا من خلالها بتفوق العنصر التركي، وضرورة سيادته فوق جميع العناصر، ونظروا باستخاف إلى العناصر الأخرى، خاصة العنصر العربي، وظهر ذلك في أول إنتخابات مجلس المبعوثان في عهدهم، عندما قصروا أكثر المقاعد المجلسعلى العناصر التركية، وذلك على حساب العناصر الأخرى. كما تشدد الإتحاديون أكثر من أي وقت مضى، في فرض اللغة التركية في المدارس والمعاملات الحكومية والوظائف الرئيسية والثانوية. واعتبر بعض متطرفيهم اللغة العربية لغة ميتة، وعندما أدلى وزير الأوقاف وكان عربيا في جلسة نيابية ببيان باللغة التركية، وختمه بالدعاء باللغة العربية، ضج نوابهم وثاروا لأنه لا يجوز الكلام في المجلس بغير اللغة التركية.

وسعت جمعية الإتحاد والترقي، إلى تتريك العرب فأدخلوا اللغة التركية في الأقسام الإبتدائية، وفرض على العرب التحدث بها حتى أن علم النحو والصرف العربي، كان يدرس فيها بالتركية. فمثلا كان المعلم إذا اراد أن يعرف ألافعال والأسماء يقول فعل ماضي نه در؟ أي ما هو الفعل الماضي[163]؟.

غير أن جمعية الإتحاد والترقي لم تلتزم ببرنامج متماسك، ولم تنجح في فرض إرادتها على الخط السياسي، وكانت تفتقر للخبرة إذاما قورنت بعهد السلطان، وما لبثت ان واجهت تحديات نشطة من جانب الداعين إلى نظام الحكم المركزي، هؤلاء الخصوم الذين اضطروا ولو لفترة وجيزة التخلي عن السلطة، وأخيرا استطاعت جمعية الإتحاد والترقي الإمساك بزمام الأمور والسلطة في كانون ثاني من عام 1913م[164].

وعلى أثر ما حصل، قامت لجان التنسيق بحجة إعادة النظر في وظائف الدولة ومستحقيها وإعادة التقييم من جديد، فأصاب العرب غبن كبير حيث أخرجوا بحجة التنسيق ثلاثة عشر متصرفا وعين بدلا منهم أتراكا، وأخرج من وزارة الخارجية إثنى عشر موظفا وهم كل الموظفين العرب فيها ولم يبق إلاّ واحدا، وأصبح موظوا وزارة المالية مائة وأحد عشر موظفا من أصل تركي، وثلاثة عشر موظفا من أصل يهودي وعشرة من الأرمن وأربعة من الأروام وواحد من العرب. وأرسل عام 1914م، طلبة إلى أوروبا لإتمام دراستهم العليا بلغ عددهم أربعمائة طالب لم يكن بينهما إلاّ عربيان.

---

[163].حوراني، ألبرت. **الفكر العربي في عصر النهضة 1798- 1939م**. ترجمة كريم عزقول، راجعه السفير أديب القنطار، بيروت: 1997م، ص53.

[164].قيالي، حسن. **مصدر سبق ذكره.** ص120.

لم يقف أمر الإتحاديين عند هذا الحد، بل تعداه إلى أن أصدر أحد أقطابهم وهو جلال نوري كتابا بعنوان – تاريخ المستقبل– دعا فيه إلى تهجير السوريين من أوطانهم، ومعاملة اليمن والحجاز والعراق كمستعمرات تركية، وتعميم اللغة التركية محل اللغة العربية، والشركسية والكردية والأرمنية والرومية، وصبغ الدولة بالصبغة التركية البحتة، وحصر وظائفها ومنشآتها بالترك دون غيرهم .

وألف أحد مواليهم عبيد الله كتابا، - قوم جديد- فيه مجموعة من خطب قد ألقاها علنا في المساجد ودعا خلالها الشبيبة التركية إلى تمجيد رجالاتهم القدماء، أمثال جنكيزخان وتيمورلينك وأنور وطلعت باشا وجمال، وتم تعليق أسماؤهم في المساجد بدلا من شخصيات إسلامية أمثال صحابة رسول الله، وكان حيث يذكر إسما من أسماء ملوك التتار والترك يردفونه بعبارة رضي الله عنه أو عليه السلام. وكثرت الأناشيد التركية القومية الممجدة للتاريخ التركي، أو الجنس التركي والتقاليد والرجالات الداعية إلى التمسك بالقومية التركية، واستعملوا اللغة التركية، وأصدر عبد الله جودت مجلة كان هدفها الحط من شأن العرب وتاريخهم .

في ظل العهد الإتحادي الجديد، ثم تأسيس جمعية طوران، وكان أيضا تسمى ترك أوجاغي أي جمعية الوطن التركي، تأسست في الأستانة وعملت على ترقية الروح العسكرية وإنشاء علاقات تجارية وتطهير اللغة التركية من الألفاظ العربية والفارسية وتتريك العرب ودمجهم على حبهم للأتراك حتى لا تبقى قومية قائمة بذاتها. وتزعمها ثلاثة من كبار كتاب الترك، مثل شناصي ونامق كمال وضياء باشا، فقد عملوا هؤلاء على ترجمة عيون الأدب العربي، ونشروا هذه التراجم بين المتعلمين وجددوا فيها كلمات مثل حكمة وطن، التي تعني البيت، فأصبحت تدل على البلاد، وبدت تظهر بشكل واضح وعلني مشاعر الوطنية الطورانية، بعد ان كانت مخفية، وظهرت على لسان محمد أمين التركي بين معاني أشعاره حيث يقول:

" أنا تركي وأن التركية هي ديني و عنصري، نحن أتراك مع هذا الدم والاسم لنعيش "

"إن الشعور الذي يدور ويجري في دمي، هوصدى ماضي وأن أعمال أسلافي المجيدة، أتحسس آثارها في الدم، الذي يجري في العروق، ويملأ قلبي".

إلى أن صرح قائلا:

"ليست بلاد الأتراك تركيه أو تركستان فحسب ولكنها طوران الخالدة" .[165]

وأصبحت القومية التركية الدعوة الرسمية للدولة، التي يسطير على أمورها رجال الإتحاد والترقي، وأصبحت فكرة تتريك العرب جزء من برنامجها الأساسي والرسمي للتعليم في المدارس

[165] .النعيمي، أحمد أنور. **"الحياة السياسية" مصدر سبق ذكره**.ص 40.

العربية، على أثر ذلك نشر الوعي العربي والعروبة في بلاد الشام والقدس وبيروت وحلب، وليس غريب أن يفيق أهالي بيروت صباحا على قصيدة معلقة على بعض الجدران، تدعو إلى الحذر والتنبيه من هذه الأعمال التي وصلت إلى الركب، وأصبح الإنسان الفلسطيني لا يستطيع التحمل .

حاول الإتحاديون إصلاح الفساد عبر إلغاء نظام إنتخاب أعضاء المحاكم النظامية، وأصبحوا يعينون من أصحاب الكفاءة والمؤهلات القانونية، وشجعوا التجارة والمهن والصناعات، إلاّ أنهم كانوا يجهلون الطريقة، التي إتبعها السلطان عبد الحميد الثاني في إدارة سياسته الخارجية[166].

وعملت جمعية الإتحاد والترقي على تخفيض العجز في الموازنة، واهتمت ، واهتمت بالنواحي الزراعية والصناعية والتجارية، والحد من الهجرة الداخلية، وكان جزء من الإصلاحات، إصلاح مجلس المبعوثان العثماني[167].

ولاقت الإنتخابات وقعا حسنا في أنحاء الدولة العثمانية، رغم أنها كانت موجهة إتحاديا، وفاز عن القدس روحي الخالدي وسعيد الحسيني[168]، وعن نابلس أحمد الخماش وعن عكا أسعد الشقيري، واقتصرت الإنتخابات على الذكور فوق سن الخامسة والعشرون، وهي غير مباشرة وهذه تعتبر أول تجربة إنتخابية في جمعية الإتحاد والترقي، حيث تم الفوز و التفاؤل والحماسة، ويظهر ذلك في توديع مندوبي القدس في محطة القطار إلى اسطنبول، حيث يقول السكاكيني في مذكراته:

> *"كانت المحطة عاصفة بالناس الذين أتوا لتوديع المندوبين، خطب الخطباء ولعب الشباب بالسيوف ونشدالشباب الأهازيج والأغاني الشعبية والحماسية، والنساء تزغرد والفرحة ترتسم على الوجوه "*[169].

وكذلك مارست جمعية الإتحاد والترقي التجربة مرة أخرى في عام 1912م، واستخدمت جمعية الإتحاد والترقي أنماط التلاعب والتخويف والعنف. وسيطرت جمعية الإتحاد والترقي على المناطق الإنتخابية بما يضمن نجاح مرشحيها. وفي هذه الإنتخابات زاد التمثيل العربي ووصلت من ثلاث وعشرين بالمئة إلى سبع وعشرين بالمئة. وزاد عدد الإتحاديين الممثلين للولايات العربية من تسع وثلاثين إلى سبع وستين بالمئة، وهذا مؤشر واضح على مدى سيطرة جمعية الإتحاد والترقي على آلية وإجراءات الإنتخابات والتدخل في سيرها. لطخت هذه التدابير سير الإنتخابات، ورغم أن

---

[166]. النمر، إحسان. **مصدر سبق ذكره.** ص112.
[167]. فريد، محمد . **مصدر سبق ذكره**. ص415.
[168]. شوفاني، إلياس. **مصدر سبق ذكره.** ص304.
[169]. السكاكيني، خليل. **"كذا" مصدر سبق ذكره.** ص47.

الكتلتين السكانيتين العرب والأتراك متكافئتين تقريبا، إلاّ ان عدد النواب الأتراك فاق نظراءهم العرب بمقدار 1:2.حيث كان لكل خمسون ألفا ناخب لهم ممثل واحد، في حين لم تورد إحصاءات دقيقة للولايات العربية.

وأجريت إنتخابات جديدة في عام 1914م، وكذلك شاب هذه الإنتخابات روح عدم التوازن والنزاهة، وأشارت إلى ذلك جريدة المقطم في 1914/2/6م، وكانت تشكك في نوايا الإتحاديين، وأن جمعية الإتحاد والترقي قد عينت مرشحيها في الولايات العربية وقد أردفت نفس الصحيفة في مقال لها في 1914/2/6م:

"أن جميع الفروع التي أجريت فيها الإنتخابات قد أسفرت عن نجاح الإتحاديين " [170].

ومثل القدس في هذه الإنتخابات روحي الخالدي وعثمان أفندي النشاشيبي، وعن غزة أحمد عارف الحسيني، وتم الإحتجاج الجماهيري على هذه الإنتخابات، وأعيدت مرة أخرى وفاز يها عن القدس، عثمان النشاشيبي وسعيد الحسيني وفيضي العلمي وعن نابلس توفيق حماد وأمين عبد الهادي وعن عكا عبد الفتاح السعيد وظل هذا المجلس حتى الحرب العالمية الأولى.

وعندما إستلمت جمعية الإتحاد والترقي الحكم، شعر العرب بالضعف في مركزهم، عما كانوا في زمن السلطان عبد الحميد الثاني، إذ كان من أولى الإستفزازات الموجهة ضدهم، بعد ثورة تركيا الفتاة، طرد المستشارين العرب، وعلى رأسهم عزت باشا العابد، وسرعان ما سيطرت القوة القومية التركية، طبقا للظروف والضغوط الطارئة بين صفوف رجال الحكم الجدد في اسطنبول، وسادت على بقية عناصر السكان في البلاد.

وكان وضع الفلاحين صعبا جدا، وهم الذين يشكلون العمود الفقري للدولة، حتى أن أحدهم أبو إبراهيم قال:

"أين الحرية؟ وماذا عمل لنا البنك الزراعي الذي أسسوه لأجلنا ؟ وبماذا ساعدنا هذا البنك؟.

وهل فكر رؤوساء هذا البنك بمساعدتنا يوما ما والحالة تعيسة يا سيدي، تتقطع لها القلوب الصخرية فلا أحد يرحمنا ولا يشفق علينا ولا من يفكر بنا اللهم إلاّحين دّفع الاعشار والويركو والضريبة فإنهم يقولون هاكو ها الملاعين الوالدين و...".

والذين ليسوا مع الدستور لسان حالهم يقول:

" ليس الدستور آلة ميكانيكية تزرع وتحصد وتطحن وتنخل وتخبز وتضع اللقمة في الفم، إنما الدستور حبر على ورق ونيل الدستور ليس امرا سهلا، بل إن دربه طويل، ولها أدبيات إجتماعية وارتقاء مدني، والدستور لا يسعد أحدا، وإنما يسعد

[170].القاسميه، خيريه."**الحملة الإنتخابية" مصدر سبق ذكره.** ص388.

بإسعاد المواطنين ويشقون بشقائه، هل سيكون الدستور أعظم من الشرائع الإلهية؟ هل يسوغ الدستور أفكارا ليكتب بها بعض الأدعية بالسلامة والنجاة والتفوق، هل هذا الدستور الذي ننتظره؟ أم هو مبادئنا ننتفع بها ونطبقها لتكون النتيجة ممارسة الحياة ".[171]

في هذه المرحلة في ظل حكم جمعية الإتحاد والترقي، فقدت الدولة الكثير من المناطق مثل احتلال إيطاليا لليبيا وتم انتهاء إرتباط مصر بالدولة العثمانية، وتهاون جمعية الإتحاد والترقي بالحركة الصهيونية، رغم أن الموقف الرسمي المعلن، أن الحكومة ضد الهجرة الصهيونية إلى فلسطين مستندين على موقف الحكومة السابق في زمن السلطان عبد الحميد الثاني، إلاّ أن اليهود دعموا جمعية الإتحاد والترقي، بالمال والإعلام، وكانت هناك علاقة حميمة بين الماسونية والإتحاديين وعليه فإن جمعية الإتحاد والترقي غضت الطرف عن قدوم اليهود إلى فلسطين والقدس والإستيطان فيهما، وتجلى ذلك في موقفين، موقف متصرف القدس رؤوف باشا، الذي وقف إلى جانب السلطان عبد الحميد الثاني، في تطبيق الفرمانات الخاصة بالهجرة اليهودية.

بينما أيّد متصرف القدس أحمد رشيد بك الهجرة اليهودية بشكل علني، غير عابئ بالقوانين العثمانية، واستكبر السكان المحليين هذه السياسة، فتم إستبداله تحت الضغط الشعبي بمتصرف آخر هو أكرم بك[172].

أمّا متصرف القدس في عهد جمعية الإتحاد والترقي مهدي بك، لم يتساهل فقط مع الهجرة اليهودية إلى فلسطين والقدس خاصة، بل زاد الطين بلة، عندما قام بزيارة مستعمرة عيون قارة. حيث أطلعتنا جريدة حيروت العبرانية والتي كانت تصدر في القدس لخدمة المصالح اليهودية فقالت:

"مساء الثلاثاء الساعة الخامسة مساء شرف عيون قاره عن طريق ديران، عطوفة متصرف القدس مهدي بك، وبصحبته مهدي سليم أفندي الحسيني رئيس بلدية القدس،والخواجة عنتابي، وقد لبست المستعمرة أحلى ثيابها، إستقبالا له، والقى الخواجا لبريفايا كلمة رحب بالمتصرف ورفاقه".

ورد المتصرف عليه قائلا:

"أيها السادة إسمحوا لي أن أقدم لكم جزيل شكري على حسن الإستقبال الباهر، نحن الأتراك نتأكد جيدا أن اليهود، لم يحضروا إلى هذه البلاد لغايات سياسية، وإنما

---

[171].الرشاد، جادة. "ماذا أفادنا الدستور" **جريدة فلسطين.** العدد 78، 5ت1-18ت1، 1911م، الموافق25 شوال 1329 هـ. ص1.
[172].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره.** ص212.

جاؤوا إليها، لأنها بلاد آبائهم وأجدادهم، فهي عزيزة عليهم ومقدسة عندهم، والحكومة ليست فقط لا تعاكسهم، بل إنها تسعى في التقرب إليهم في كل وقت وزمان".

وأضاف قائلا:

"أنصحكم أن تنشئوا دارا للبلدية، لتدير أموركم وتختاروا حراسا، وأن تربطوا مستعمراتكم وقراكم بالتلفون بمركز الحكومة"[173].

نلاحظ مما سبق أن هذا مؤشر واضح على أن سياسة حكومة جمعية الإتحاد والترقي، تنطبق مع توجهات الحركة الصهيونية، وليس ما يعلن للملأ، بالضرورة أن يتطابق مع الواقع، ولا يستطيع متصرف صغير كمتصرف القدس أن يجاهر، وأن يخالف نهج وسياسة الدولةالعثمانية، ويضرب بعرض الحائط أمل ومشاعر المواطنين في فلسطين والقدس خاصة، لولا أنه يسير في فلك وسياسة الحكومة في الأستانة.

وعلى المستوى الشعبي البسيط، تم الرد على هذه الزيارة على صفحات الجرائد، بعنوان "رسائل فلاح" قال:

"علمت أن المتصرف مهدي بك زار مستعمرة عيون قارة"

"وأخبرني بذلك صديق لي يدعى الخواجا مرقص، فرأيت أن أذكره على صفحات الجريدة "عطو فتلوا أفندم حضر ناري"

"إسمح لي يا مولاي لفلاح بسيط مثلي أن يرفع إلى مقامكم العالي هذه العريضة، منذ قدومك إلى هذا اللواء، كنت أتحين الفرصة لأكلمك شخصيا، ولكن كنت كلما عزمت أحجم مهابة، فلا أنا ولا أبي ولا جدي إعتدنا أن نكلم رجلا كبيرا مثل المتصرف، ووددت أن أرسلها بواسطة البوسطة، ولكن خشيت أن تقع في يد غيرك قبلك، فتلقى في سلة المهملات، وأخيرا قررت أن ارفعها إلى مقامكم السامي من على صفحات جريدة فلسطين".

"علمت أن صاحب عطوفتكم جئت من القدس لزيارة أرض النبي روبين، أنت تعلم أن مصدر تعاستنا الجهل، فلا مدارس ولا .....وقال لعطوفتكم أبو موسى:

"إننا نتألم من طريقة تحصيل الملتزمين للأعشار ومن حالة الطرقات وعدم وجود مرفأ، ومن حالة الأمن في القرى التي أصبحت لا تطاق.....!!!"

---

[173].العيسى، يوسف."زيارة متصرف القدس"**جريدة فلسطين**. العدد162/4، 163آب-17آب،1912م، الموافق 4 رمضان1339هـ، ص1.

"أنقذنا يا مولانا من هذه الطريقة العشرية، وأشفق على مواشينا، وحافظ على حاصلاتنا وأحفظ حياتنا من القتلة واللصوص، بذلك تحافظ على شرفنا وشرف الحكومة، تأخذ منا ألخيالة أموال المعارف فأين هي المدارس؟؟ ألا يأخذ منا الخيالة الضريبة على آخر باره، وملتزموا الطريقة رسم –بيت الكروسة- فأين هذه الطرق؟ وأين المحافظة على الأرواح، كنا نود أن تشرف ركابك قريتنا أيضا أسوة بغيرها من المستعمرات، إذا كنت محبا لوطنك وسلطانك ولله تعالى، فلا تفكر إلاّ بالإصلاح" [174].

هذه الرسالة مؤشر واضح لنبض الشارع الفلسطيني والمقدسي، فلا مدارس ولا أمن ولا استقرار، الكل في خطرحتى الإنسان والحيوان والشجر، والسكان يؤدوون ما عليهم من حقوق وينتظرون الشيء القليل من الحكومة ولكن هيهات !الحكومة تأخذ ما لها ولا تدفع ما عليها، وزاد الطين بلة دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا، حيث كانت الدولة مبرمة إتفاقية سرية مع ألمانيا لدخول الحرب على يد ثلة من الضباط الصغار العثمانين، وكان هذا يمثل إحتكار السلطة السياسية من جانب حلقة ضيقة داخل الجمعية.

وحصل النفير العسكري والتجنيد الإجباري، الذي أجبر الفلاحين على ترك أراضيهم، وخلت البلاد من الشباب، ولم يبقى سوى الشيوخ والأطفال، وقلت الأيدي العاملة وأصيبت البلاد بالشلل العام، ووضعت الحكومة يدها على الغلال وجميع أصناف المؤن، والحاجات التي بلغت حدا فاحشا من الغلاء وانقطع الكاز، فعاد الناس إلى الإنارة بالسيرج وزيت الزيتون، وأصبح الناس يأكلون خبز الذرة والشعير.

وتدفق الضباط على البلاد، وعاثوا في البلاد فسادا، وانتشر فيها الفقر والجوع والعطش، وعم التسول والإنحلال الخلقي، وبدأ التوتر وتغير المزاج العربي بين العرب والأتراك ليس فقط بسبب سوء سلوك الجنود والضباط. ولكن بسبب أن الإتحاديين لا يعاملون العرب كشركاء في الدولة[175].

وبعد عشرة أيام من دخول الدولة العثمانية الحرب، كان أنور باشا وزيرا للحربية، قد أخبر جمال باشا قائلا:

---

[174].أبوإبراهيم."رسائل فلاح". **جريدة فلسطين** .العدد164/11،165آب-24آب1912م، الموافق18 رمضان 1330هـ، ص1.

[175].حجاوي، سلافه."عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين".**حوليات القدس**. العدد7، بيروت: مؤسسة الدراسات المقدسية،2007 م، ص97.

"الأخبار الواردة من سوريا تشير إلى إضطرابات عامة في البلد، وإلى تحركات نشطة وعظيمة من جانب الثوريين العرب" [176].

وتولى جمال باشا قيادة الجيش العثماني الرابع، ووصل إلى سوريا واكتشف جمال باشا وجود تنظيمات ثورية في سوريا، وإنضمام سياسين وعسكرين داخل الجيش العثماني لهذه التنظيمات، من خلال بعض الوثائق التي حصل عليها بعد إستيلائه على وثائق في السفارة الفرنسية[177].

حاول الإتحاديون تنفيذ خططهم عن طريق القوة، واستغلوا نشوب الحرب العالمية الأولى، وعلقوا قادة الحركة الفكرية من العرب على أعواد المشانق، ونفوا عددا كبيرا من العائلات إلى الأناضول، وأمروا التدريس باللغة التركية في المدارس الحكومية، وشددوا على جمع المواد التموينية من الولايات العربية لإطعام جيوشهم، وانعدمت الحرية وسيق الالاف إلى الجندية[178].

وفي صيف عام 1915م، أخذ جمال باشا يفتك بالوطنيين الأحرار، فأرسل القافلة الأولى من "شهداء الاستقلال" في الحادي والعشرون من آب إلى الإعدام، وأرسل القافلة الثانية في السادس من أيار من عام 1916م، ومن بينهم عمر النشاشيبي وسليم عبد الهادي الأحمد، والتهمة العمل في كلا الحالتين على إستقلال سوريا وفلسطين والعراق عن الدولة العثمانية[179].

أصبحت الأحداث أكثر تسارعا، وزادت المشاكل العميقة في جسم الدولة العثمانية، وأحدثت الإنقسامات بين العرب والترك، وإن دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى نمت وعززت الروح القومية العربية، وزاد التوتر بين القوميين العرب والقوميين الترك، وبدأت الأمور تسير نحو التصعيد بين القوميتين.

ومن إجراءات جمعية الإتحاد والترقي ضد العرب، إقصاء 490 ضابطا عربيا من المناطق العربية، وعهد بقيادة الجيوش العثمانية في المناطق العربية إلى ضباط أتراك، وتم إرسال جمال باشا إلى سوريا بعد عزل القائد العربي سليمان الحلبي. وتم منحه صلاحيات واسعة للحد من نشاط هذه الجمعيات، وتم عقد محاكمات صورية وتم تنفيذ حكم الإعدام في كثير منهم في بيروت ودمشق والقدس، ومن الذين أعدموا في فلسطين علي النشاشيبي في تشرين الأول عام 1916م، وأحمد عارف الحسيني وسليم عبد الهادي من نابلس في بيروت في العشرون من أيار عام 1915م[180].

---

[176] .الكيالي، عبد الوهاب. **موسوعة السياسة**.ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1989م. ص76.
[177] .الكيالي، عبد الوهاب. **مصدر سبق ذكره** . ص77.
[178] .موسى، سليمان."الثورة العربية الكبرى، ألعوامل ألتي أدت إليها وتفاعلها" . **المجلة الثقافية**.العدد35، ايار /تموز1996، ص256.
[179] .الكيالي، عبد الوهاب. **مصدر سبق ذكره**.ص77.
[180] .العارف، عارف. **مصدر سبق ذكره**. ص555.

ويذكر أن جمال باشا رغم أنه كان سياسيا، ودعى في البداية إلى الشراكة والتعاون العربي التركي، إلاّ أنه كان يضمر مشاعر العداء للعرب وللقوميين العرب، وكان هذا بالغ الوضوح في معاملته لإؤلئك المحكومين بالإعدام وأنهم خونة وغدارون. وفي السياق نفسه العرب يتوجهون ببطء نحو الإنفصال عن الأتراك، وكان المزاج العربي في تغير[181].

وقامت عناصر جمعية الإتحاد والترقي بمصادرة أملاك والي مكة راتب باشا[182]، واتهمته باللصوصية، وتم طرده من منصبه بعد إستعادة الدستور، وظهرت مشاكل عميقة واجهت جمعية الإتحاد والترقي ، حيث كان القادة الجدد تنقصهم الخبرة في إدارة الصراع، وتطورت الإنقسامات بين العرب والترك، ودخلت الجمعية الحرب العالمية الأولى، وعززت بذلك الفجوة بينهما، إلى حد إعلان الثورة العربية الكبرى عام 1916م.

وكان للنخبة المقدسية مواقف من الإصلاحات التي قام بها الإتحاديين، فعندما أعلن الدستور كانت القدس وأهلها في أبهج حالاتها، وكان الناس في هياج وحماس شديد[183]، لسقوط السلطان عبد الحميد الثاني، وتطبيق الدستور، وعمت الفرحة أنحاء الإمبراطورية العثمانية والعرب جزء منهم كيف لا وصدى الهتافات، الحرية والإخاء والمساواة تملأ الآفاق[184].

ورحب إسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني بالدستور، ومدحا كل من أنور ونيازي ومحمود شوكت لما جاؤوا به من دستور، الذي طالما انتظروه حسب قولهما:

"نسي الأسد أنورا ونيازي وأخا المجد شوكت المفضلا ".[185]

ويلاحظ أن بعض أفراد النخبة لم يخرجوا عن الصف العثماني على الأقل حتى عام 1914م، رغم اعتراضهم على السياسة الجديدة في نظام الحكم. ولم ير التعارض الجوهري بين ولاءاتهم المختلفة، الثقافة الإسلامية، الوطنية العثمانية، الإنتماء الحزبي السياسي، الولاء المحلي المقدسي، وجميعها ولاءات متداخلة، تكمل بعضها بعضا، ولن تجد عند النخبة تناقضا بين التزامهم القوي بالعثمانية والإفتخار بتراثهم العربي، فعروبتهم وهي بطبيعتها ذات محتوى ثقافي أكثر منه سياسي، لم تكن حائلا بأن يكونوا أعضاء في أندية الإتحاد والترقي، ومن المتشيعين للإتحاديين كراغب النشاشيبي، وفيضي العلمي اللذين كانا إتحاديين فكرا وروحا.

ولكن التوسع في طلب الإصلاح ثقيل على شعوبنا، وإنه لا قدرة للولايات العربية إصلاح نفسها دون مساعدة أهل الرأي، صحيح قد يكون الأهالي مقصرين ولا ننكر ولكن سر الخراب في

---

[181] .جوهرية، واصف. **مصدر سبق ذكره** . ص107.
[182] .قيالي، حسن. **مصدر سبق ذكره**. ص102.
[183] .جوهرية، واصف. **مصدر سبق ذكره**. ص108.
[184] .طنوس، عزت. **مصدر سبق ذكره**. ص23.
[185] .ياغي، عبد الرحمن. **مصدر سبق ذكره**. ص173.

القصور والرؤوس. هذا ما عبر عنه يوسف العيسى في افتتاحية جريدة فلسطين في 23 نيسان 1913[186].

استطاعت النخبة المقدسية إيجاد الروابط بينها وبين الدولة العثمانية التي تجاوزت حدود المصلحة الإقليمية، وكان الخطر الصهيوني أحد العوامل التي زادت في تعريف هذه الروابط. حيث نقلت جريدة فلسطين خبرا يشير إلى أن جريدة The Truth اليهودية التي تصدر في القدس أن هناك مرشحين قد فازوا في الإنتخابات وهم معادين للسامية وتقصد روحي الخالدي وراغب النشاشيبي والعلمي وكلهم إتحاديين[187]لأن لديهم كرها متأصلا لليهود، ووعدوا ببذل أقسى الجهود لإعادة القيود القانونية السابقة ، التي كانت تحول دون إمتلاك اليهود أراضي في فلسطين، حيث كان اليهود من الشعوب التي فرحت بسقوط السلطان عبدالحميد الثاني، واحتفلوا اليهود بهذا النصر[188].

وكان إسعاف النشاشيبي قد أبرق لنجيب نصار، رئيس تحرير جريدة الكرمل وصاحبها، محتجا بأن اليهود رفعوا علمهم في النادي الصهيوني[189]، وباعوا الطوابع الصهيونية علنا، ونشرت البرقية في الصحف، غير أن الحكومة لم تهتم بالأمر كما أنها لم تهتم بمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين. حيث انتقلت القضية إلى الصحافة، وكانت صحيفة الكرمل، من أشهر الصحف الفلسطينية التي حملت لواء المعارضة، دون توقف في الفترة بين عام 1909-1914م، وشغلت هي وصاحبها إهتمام الدوائر الصهيونية، ونبهت إلى خطرها، وقد كرس نجيب نصار نفسه لخدمة الشعب الذي ذلته الحكومة، وكان للكرمل موقف واضح من الأملاك الأميرية والأراضي المهددة. وكان صدى شرح الكرمل لأبعاد الخطر، قد وصل إلى الخارج وقد أغلقت السلطات التركية الصحيفة مرتين بناء على تحريض يهودي، وكان لها كذلك موقف من التقارب الألماني العثماني، وطالبت أن تبقى الدولة على الحياد، وقال نجيب نصار:

"على الرغم من ذلك، إلاّ أن مفكري القدس ساهموا في تنمية وتطوير الفكر القومي والثقافة العربية".[190]

ودعم دروزة ما قاله نجيب نصار بحق الأعيان قائلا:

---

[186] .العيسى، يوسف."ألسر في الرأس"**جريدة فلسطين** .العدد332، 10 – 23 نيسان 1913م، الوافق 17 جمادى ألأولى 1331هـ، ص1.

[187] .صالح، جهاد أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص289.

[188] . العيس، يوسف."القدس – إنتخابات المجلس العمومي".**جريدة فلسطين**. العدد244، 11 حزيران -29 ايار1913،الموافق 6 رجب 1331هـ، ص1.

[189] .فشمان، لويس. "حادثة الحرم الشريف 1911م :أعيان فلسطين في مواجهة الإدارة العثمانية" **حوليات القدس**. ترجمة سميح حموده .القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية ، العدد8، شتاء/ربيع2010/209م، ص59- 70.

[190] .قاسمية، خيرية. "**أعلام فلسطين" مصدر سبق ذكره**. ص101.

"إن أرباب المبادئ الذين يعرفون ما هي المبادئ لا يحيدون عنها إلاّ أن يظفروا".

ويقول للأعيان المتقاعسين عن العمل ضد الصهيونية قائلا:

"اليوم تقررون وتبيعون وتنقصون عديدكم وثروتكم بأيديكم وتزيدون عديد الغير وثروته وملكه " [191].

وكان لخليل السكاكيني موقفا من الصهيونية والدولة العثمانية التي غضت الطرف عن الهجرة اليهودية لفلسطين قائلا:

"لا أكرهها إلاّ لأن الحكومة العثمانية ترى ذلك، وإذا كنت أكره الصهيونية، فليس لأني أكره المبدأ الذي تقوم عليه الحركة الصهيونية، لأنها تحاول أن تبني قوميتها على أنقاض الآخرين ".[192]

فاحتلالها لفلسطين،هي إحتلال لقلب الأمة العربية، بل قسموها إلى قسمين لا صلة بينهما، وهذا يضعف الأ مة وشأنها ويحول دون تضامنها، جاء هذا الحديث في فندق فاست، لتلميذ يهودي اسمها الخواجا أبري[193].

وكان من أعضاء النخبة المقدسية المؤيدون لجمعية الإتحاد والترقي حسين راغب الخالدي، الطبيب الذي التحق بالجيش العثماني وجرح ثلاث مرات في جبهات القتال، لكن لمس حسين راغب الخالدي أن الإتحاديين يسيرون في طريق دعم الصهيونية، وتنمية الوعي القومي التركي وإحياء الطورانية، فسرعان ما غير وجهة نظره متبنيا الفكر القومي العربي والتحق بالجيش العربي السوري بقيادة الأمير فيصل للانتقام من الإتحاديين ومن المعارضين للإستقلال العربي[194] .

---

[191].قاسمية، خيرية. **"نجيب نصار" مصدر سبق ذكره.** ص103.
[192] .السكاكيني، خليل. **"كذا " مصدر سبق ذكره.** ص64.
[193].السكاكيني، خليل. **"كذا "مصدر سبق ذكره.** ص64.
[194].حماده، محمد عمر. **مصدر سبق ذكره.** ص193.

مواقف النخبة المقدسية من الجمعيات والحركات الإصلاحية العربية

كانت القدس تشكل وحدة إدارية تابعة ومرتبطة مباشرة بوزارة الداخلية العثمانية، وكان للقدس أهمية واضحة بسبب موقعها ومكانتها الدينية، وبدأعرب المتصرفية بتأسيس وتشكيل الجمعيات والحركات الإصلاحية، كرد فعل لتوجه الدولةالعثمانية في عهد جمعية الإتحاد والترقي نحو الوجهة القومية، وتمجيد الأتراك وتميزه عن باقي عناصر الدولة العثمانية، ولكن يجب أن نشير إلى أنه لم يكن للقدس شخصية سياسية مستقلة بفكرها وأحزابها، عن الشخصيةالفلسطينية ولا العربية، إنما كانت جزءا من الحركة العربية في إطار الدولة العثمانية[195].

وكان بداية ظهور الوعي السياسي والتيقظ للرابط القومي العربي، والمطالبة بالتحرر والاستقلال سابقة لبداية بروز الحركةالصهيونية في طورها التنظيمي، وقد تتبع جورج أنطونيوس في كتابه –يقظة العرب- إرهاصات الحركةالعربية الحديثة[196]، منذ عام 1866م في الجمعية السورية العلمية السرية، ويتضح أن فلسطين لم تكن معزولة عن القيادات والإتجاهات السياسية الجديدة في المنطقة، في أعقاب وقفة أحمد عرابي عام 1881م، في وجه الغزو البريطاني لمصر.

وفي هذا الخصوص بعث القنصل البريطاني تقارير في عام 1882م، حول تجارب عرب فلسطين والمقدسيين بشكل خاص، مع ثورة أحمد عرابي إلى حد الهياج والإضطرابات في القدس بقوله:

"إنه من الثابت والأكيد أن المسلمين المحليين يعطفون بعمق على عرابي بوصفه مسلما يحارب ضد المشركين." [197]

وبعد سنتين بعث القنصل البريطاني، يصف ردة فعل الفسطينين لثورة المهدي عام 1881م فيقول:

" هناك تعاطفا مكبوتا مع المهدي العربي الذي يناضل من أجل جنسه العربي." [198]

وعلى الرغم من عدم توفر الظروف للفلسطينين، كما كان عند إخوانهم اللبنانيين، من إرسالات أجنبية وتبشيرية، ومجالات الثقافة والتعليم، التي ساهمت وأفضت إلى خدمة الحركةالقوميةالعربية، إلاّ أن عرب القدس، أسهموا في الإنضمام إلى الجمعيات السرية والعلنية.

---

[195] .قاسمية، خيرية."تطور القضية الفلسطينية في عهد الحكومة العربية في دمشق"**مجلة شؤون فلسطينية.** دمشق: آذار 1971م، ص56.

[196] .أنطونيوس، جورج. **يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية**. ط2. ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد، الدكتور إحسان عباس. بيروت: دار العلم للملاين،1966 م، ص102.

[197] .الكيالي، عبد الوهاب. **تاريخ فلسطين الحديث.** ط11.بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1999م، ص47.

[198] . الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره.** ص20.

وفي المقابل ساهم بعض الضباط العرب في جمعية الإتحاد والترقي منذ تأسيسهاعام 1894م وحتى إنقلاب عام 1908م[199].

صحيح أن عرب المتصرفية، قد شاركوا في بعض الجمعيات، التي تألفت قبل قيام جمعية الإتحاد والترقي، التي كانت تنادي بنهوض العرب وإستعادة أمجادهم، ومقاومة سياسة السلطان عبد الحميد الثاني، وبعضهم نادى بإعادة الخلافة، إلى أهلهاغير أن نزعة الإنفصال عن الدولة لم تظهر إلاّ في فترة متأخرة [200].

ولم ينفرد عرب متصرفية القدس بتشكيل الأحزاب والجمعيات، أو الإنضمام الى تلك التي تطالب بالإصلاح، بل اشتركوا مع غيرهم من الولايات العربية العثمانية، وذلك لأن الإحساس بالإنتماء إلى أمة عربية أقوى من الإنتماء إلى الولايات العربية أو إلى المتصرفيات، ولحق عرب متصرفية القدس من الإضطهاد والنفي والتشرد والإعدام بقدر ما طالبوا من الحقوق العربية من الإتحاديين[201].

لم يكن النشاط السياسي للنخبة الفلسطينية كافيا، ربما لإنشغالهم بالمسألة الصهيونية، لهذا وجهت جريدة المفيد البيروتية نقدا عنيفا لأعيان المتصرفية، وطلبت منهم التشبه بأهالي بيروت، وأستجاب بعض أعيان المتصرفية. ففي مطلع عام 1913م، عقدوا بعض الإجتماعات للبحث في موضوع الإصلاح، وبرزت ظاهرة على جانب كبير من الأهمية، وهي الإعلان عن تشكيل جمعيات فلسطينية في مختلف أنحاء الدولة العثمانية وأن فلسطين بما فيها من أعيان ومتعلمين تؤلف جامعة – رابطة - قوية لا يصح معها أن تكون عالة على بيروت أو دمشق أو العراق وحتى على الحكومة العثمانية[202] .

الجمعيات والحركات الإصلاحية العربية

ومن أشهر هذه الجمعيات والحركات الإصلاحية، **جمعية الإخاء العربي العثماني**، تأسست جمعية الإخاء العربي العثماني بعد إعلان الدستور بشكل رسمي عام 1908م، وهي عبارة عن تجمع لكبار الموظفين العرب في العاصمة إسطنبول، وكان من المؤسسيين لها داودالصياوي، وشكري الحسيني، عيسى العيسى، فرج الله مشبك، شبلي الحمل، جميل الخالدي، نخلة طرزي،

---

[199].الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص22.
[200].الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص23.
[201].عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره**. ص136.
[202].عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره**. ص137.

نخلة زريق، فيضي العلمي، عارف بك المارديني، صادق بك العظم، شفيق بك المؤيد، جميل الحسيني، وخليل السكاكيني[203].

وكانت عضويتها مباحة للعرب على اختلاف أدبياتهم، ولاقت أهدافها صياغة حسنة لدى الطلاب العرب في الأستانة، وكان لها فروع في المدن العربية، وكان أن كلفت الجمعية إسماعيل الحسيني بتأسيس الفرع، وإستشار العديد من الأصدقاء في مختلف أنحاء فلسطين، ودعا إلى إجتماع في بيت موسى الخالدي، وفي المساء التقى خليل السكاكيني ونخلة زريق والشيخ علي الريماوي وأطلعوا على ابلاغ جمعية الإخاء العثماني العربي ويقول السكاكيني:

> *"ثم خرجت إلى مطبعة إسماعيل حقي، فقال إسماعي حقي كلفتني جمعيةالإخاء العثماني في الأستانة أن أؤلف لها فرعا في القدس، واتفقت مع رجال القدس على اللقاء الليلة، للنظر في ذلك وقرأت قوانين الجمعية وأثارت حماستي وطربت للمشروع أيما طرب "* [204].

وتم تأسيس فرع لجمعية الإخاء العثماني في القدس عام 1908م، وانتخبوا نحو خمسة عشر عضوا لها، منهم حنا العيسى ونخلة زريق[205].إلاّ أن الجمعية لم تدم أكثر من عام، وكان نشاطهاالسياسي محدودا. أغلقتها جمعية الإتحاد والترقي لما وجدته فيها من إتجاهات قومية عربية، ذلك أن الإتحاديين بادروا إلى حلّ الجمعيات غير التركية في الدولة العثمانية في أعقاب إنقلاب عام1909م[206].

كانت هذه الجمعية تهدف إلى حماية الدستور، وتحقيق الإنسجام بين شعوب الإمبراطورية العثمانية، والعمل على نشر التعليم بين العرب وترقية أحوالهم، والعمل على وحدة الولايات العثمانية، وتحسين الأوضاع في المقاطعات العربية، على أساس بين المساواة بين الأقوام العثمانية، ونشر التعليم باللغة العربية، وتنمية الشعور الوطني بالمحافظة على العادات وإتباعها، وتأييد العدل والمساواة بين العرب والأتراك، وإصلاح شؤون الدولة المختلفة وبناء المؤسسات الزراعية، والصناعية، وتحفيز البدو على تعلم المهن والحرف، وتنظيم الطلاب العرب على استقبال الوفود العربية، داعين الى توحيد السلطة على قاعدة الجامعة العثمانية، التي تقول بوجود أمة عثمانية ، تضم عددا من الأمم، والأمة العربية واحدة منها.وعلى أثر حلّ جمعية الإخاء العثماني، تأسس بدلا

---

[203].السكاكيني، خليل. **"كذا" مصدر سبق ذكره.** ص48.

[204].السكاكيني، خليل. **يوميات خليل السكاكيني يوميات، رسائل وتأملات.الكتاب الأول نيويورك ،سلطانة.القدس1907-1912** .تحرير: أكرم مسلم .رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي،2003م، ص302.

[205].ياغي، عبد الرحمن .**حياة الأدب ألفلسطيني الحديث: من أول ألنهضة ... حتى النكبة**.ط 2. فلسطين: وزارة الثقافة الفلسطينية،2001، ص99.

[206].الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص24.

منها **جمعية المنتدى الأدبي** في 8 شباط عام 1908م في إسطنبول، واعتبر مقر جمعية المنتدى الأدبي بيت للزائرين والمقيمين لكل الأجناس والملل. وكان أعضاؤها نواب عرب وأدباء وطلاب يعملون بالخط العربي. وكانت جمعية سرية، وبرز من أعضائها ومؤسسيها عبد الكريم خليل، وعضوية جميل الحسيني، صالح حيدر، عزيز علي المصري، سليم الجزائري، وعلي النشاشيبي، وأصبح عضوا في الهيئة الإدارية لجمعية المنتدى الأدبي فيما بعد عارف العارف، أحد ضباط الجيش العثماني[207].

وكانت أهداف جمعية المنتدى الأدبي، جمع كلمة الطلاب العرب في الأستانة، وبث الفكرة العربية، والدعوة إلى توحيد التعليم الإبتدائي في الولايات العربية، وتوسيع التعليم والدعوة إلى وحدة الأمة العربية، ومنهم من رفع شعار:

"مت بخدمة أمتك تحيا أنت وأمتك".[208]

ولكن يبدو أن جمعية المنتدى الأدبي وجدت ردا على إهمال الحركة الطورانية للطلاب العرب، وللمطالب العربية الإصلاحية وعبر عن ذلك مؤسس جمعية المنتدى الأدبي قائلا:

"يجب العمل على توحيد أركان القومية وهي وحدة اللسان والتاريخ والوطن والمنفعة"[209]

استمرت الجمعية كمركز فكري عربي وسمحت بإقامة فروع لها في فلسطين وسوريا ولبنان؛ وأصبح لها دورا مميزا في بناء الحركة القومية العربية[210]. واستجاب رئيس الجمعية عبد الكريم خليل لمطالب أعيان القدس وزارها وأقام فيها مدة، وسعى إلى تأليف لجنة تقدم المساعدة والمساندة لجمعية المنتدى الأدبي، في تنفيذ مشروع – التعليم الإبتدائي في البلادالعربية - وتكونت اللجنة من عطوفة شكري بك الحسيني، فيضى العلمي، إسعاف النشاشيبي، خليل السكاكيني، نخلة زريق، جميل الخالدي، وأشار عبد الكريم الخليل باسم الوطنية إلى تنبيه الحكومة العثمانية إلى الخطر الصهيوني، الذي يهدد فلسطين والدولة العثمانية. وبقيت هذه الجمعية حتى عام 1915م وتم إغلاقها بأمر من جمعية الإتحاد والترقي[211].

---

[207] .شوفاني، إلياس. **مصدر سبق ذكره**. ص291.

[208] .دروزة، محمد عزة. **نشأت الحركة العربية الحديثة، انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى الحرب العالمية الأولى، تاريخ ومذكرات وذكريات وتعليقات**.ط2. بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1971، ص355.

[209] .دروزة، محمد عزة. **"نشأت"مصدر سبق ذكره.** 356.

[210] .دروزة، محمد عزة. **مصدر سبق ذكره**. ص356.

[211] .الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره.** ص18.

وفي عام 1908م تأسست **الجمعية القحطانية**، وهي جمعية سرية[212]، ومؤسسها كلا من عبد الكريم الخليل وشكري العسلي، اللذين انتقدا الحكومة في جلسة المبعوثان في1913/5/8م، حيث نقد الأول الحكومة على تسهيلات الهجرة للحركة الصهيونية لفلسطين والثاني نقد الحكومة على تسريب الأراضي للحركة الصهيونية في فلسطين. ويقال انها أسست لتخدم الجانب السياسي على عكس جمعية المنتدى الأدبي، شارك فيها ضباط عسكريون ومدنيون عرب، ومن القدس شارك فيها علي النشاشيبي، الطبيب البيطري والذي كان ضابطا في الجيش العثماني، ووصفه صالح موسى بأنه:

"موقد حذوة الوطنية في تنشأة القدس[213]

واتهمته المحكمة العرفية في عاليه بأنه يسوق إلى إستقلال العرب. من أبرز أعضائها عزيز علي المصري وسليم الجزائري، ومن أهدافها بث الفكرة العربية والمساواة بالحقوق بين الأمة العربية والتركية. ونادت في النهاية إلى أن يكون تاج عربي إلى جانب التاج العثماني. ويسجل لها أنها عاشت وانتهت في الحرب العالمية العظمى[214] .

وعلى أثر حل الجمعية القحطانية، تأسست **جمعية العهد** لتحمل نفس أهداف الجمعية القحطانية، حيث تأسست في 1913/10/28م، وهي جمعية سرية، أسسها عزيز علي المصري، بعد تجربته في طرابلس عام 1911م، وضمت نخبة من الضباط العرب ومعظمهم عراقيين، وكان برنامجها الخط القومي العربي والوجه الإسلامي العثماني. لكن بعد دخول الدولة العثمانية الحرب، وتنكيل جمال باشا برجالاتها، أخذت الجمعية تتجه نحو فكرة الاستقلال ومن أبرز رجالاتها المقدسيين علي النشاشيبي[215].

وكانت نتيجة للممارسات التي قامت بها جمعية الإتحاد والترقي، من تعزيز الروح القومية والخدمة الطورانية، أن ظهرت**الجمعية العربية للفتاة**، والتي أسست في باريس عام 1911م، على النمط الأوروبي حيث أسسها طلاب سوريون. بدأت الفكرة في إسطنبول في عام 1909م، عندما شعر شباب من العرب، أن رجال تركيا الفتاة متعصبون لقوميتهم التركية، ثم تطور الوضع إلى اللامركزية، وأخيرا إلى الاستقلال.

---

[212]. الصلابي، علي محمد. **مصدر سبق ذكره**. ص729.
[213].الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره** . ص25.
[214].شوفاني، إلياس. **مصدر سبق ذكره**. ص293.
[215].دروزة، محمد عزة. **مصدر سبق ذكره**. ص471.

ومن أبرز أعضائها عوني عبد الهادي، رفيق التميمي، رشدي الإمام، والأمير فيصل بن الحسين[216] . وفي عام 1913م إنتقل مركزها من باريس إلى بيروت، وأصبح أعضاؤها كثر، وانضم قسم منهم إلى غمار الثورة العربية، وأصرت الجمعية على الإستمرار بالكفاح بصورة شرعية، في إطار حزب الاستقلال، الذي كان له إمتداد في مدينة القدس على يد عوني عبد الهادي[217].

وكان للتيار الإصلاحي في الجنوب ومركزه القاهرة تأثير على تأسيس حزب اللامركزية، الذي تأسس في القاهرة عام 1912م، بإسم اللامركزية الإدارية العثمانية. وكان هدف هذا الحزب، إقناع نظام الحكم بضروة الأخذ بنظام اللامركزية وتعني أخذ الولايات غير التركية، إستقلالا ذاتيا وتبقى خارجيا تابعة إسطنبول. ومن أشهر أعضائها عوني عبد الهادي وحافظ السعيد وسليم عبد الهادي، وسعيد الحسيني ومن أبرز أعضائها في القدس علي النشاشيبي، الذي حكم عليه بالإعدام إلى جانب سليم عبد الهادي، وأصبح هذا الحزب من أهم الاحزاب نشاطا وتنظيما وإعلانا عن التعبير عن أماني الأمة العربية[218] .

شارك حزب اللامركزية، **حزب الحرية والإئتلاف** الذي أنشىء في عام 1911م، وكان أعضاؤه من العرب وغير العرب، وكان يناهض جمعية الإتحاد والترقي، التي كانت تهيمن على الدولة وتحتكر الحكم، ونهج هذا الحزب حكم البلاد حكما لا مركزيا، وشارك حزب اللامركزية الرأي والفكر في منح الاستقلال الذاتي للولايات غير العثمانية تحت التاج العثماني[219].

وساهم في تقوية الروابط بين الطلاب العرب والأتراك القائمة على العدل والمساواة، **جمعية العلم الأخضر**، التي تأسست في الأستانة عام 1912م، ومن أبرز مؤسسيها إسماعيل الصفار، مصطفى الحسيني، شكري غوشه، عصام بسيسو، مصطفى الحسيني وأصدروا مجلة – لسان العرب- واندمجت هذه الجمعية مع جمعية المنتدى الأدبي[220] .

هذا بالإضافة إلى تكوّن أحزابا داخل الإطار العثماني، وداخل إطار الإتحاد والترقي، بسب الخلاف في الفكر والعمل، ومن أبرزها الحزب العثماني الحر، وحزب الأحرار العثماني بزعامة البرنس صباح الدين في 1908/9/14م، ونتج عنه في 1909/2/6الحزب العثماني الحر الديمقراطي[221] .

---

[216].أبوحنا، حنا. **مذكرات نجاتي صدقي**.ط1. بيروت: المؤسسة الفلسطينية، أيلول2001، ص195.
[217].الناصر، حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص26.
[218].الناصر، حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره.** ص16.
[219].دروزة، محمد عزة. **مصدر سبق ذكره.** ص187.
[220].أبوحنا، حنا .**مصدر سبق ذكره**. ص197.
[221].عمر، يوسف حسين. **مصدر سبق ذكره**. ص245.

ومن الواضح أن هذه الجمعيات والحركات، التي ظهرت بين عامي 1908-1912م كان معظم برامجها تقتصر على المناداة بالمساواة مع الأتراك في إطار الرابطة العثمانية. ومن الواضح كذلك أنه في عام 1913م، برزت ظاهرة إلى جانب كبير من الأهمية، وهي الإعلان عن تشكيل جمعيات فلسطينية في أنحاء متفرقة من الدولة العثمانية، والهدف هو توحيد الجهود لمقاومة الحركة الطورانية والحركة الصهيونية، خاصة بعد إحجام المؤتمر العربي في باريس عام 1913م، عن التعرض مباشرة لموضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، هذا الخطر الذي إستهدف العرب في متصرفية القدس ودفع إلى تأسيس الكثير من الجمعيات الخاصة بالفلسطينين[222].

ومن الواضح أيضا أن الشباب العربي لم يجد حرجا في الإنتساب إلى أكثر من حزب وجمعية، في نشاطهم السياسي، خلال هذه الفترة، فالأمر عند المنصفين العرب مألوفا، فبعضها دعى إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية مثل الجمعية القحطانية وبعضها اقتصر على المطالب الإدارية دون السياسية[223].

وبالمحصلة النهائية فإن الدعوة إلى تشكيل الجمعيات والأحزاب، كان ردة فعل واضحة لما قامت به جمعية الإتحاد والترقي، بتنمية وتعزيز الروح القومية الطورانية. وحتى الحرب العالمية الأولى، لم ترفع معظم هذه الجمعيات سوى شعار وجوب المساواة بين العرب والترك، مثل جمعية المنتدى الأدبي التي برزت خلال هذه الفترة بين 1908-1912م، وأخيرا عندما تكشفت نوايا جمعية الإتحاد والترقي، وظهرت جمعية الإتحاد والترقي على حقيقة أفكارها برزت المرحلة الثالثة وهي الدعوة إلى الاستقلال التام ومثلته الجمعية القحطانية والعربية الفتاة، وبدأت من عام 1914م وحتى نهاية الحرب العظمى.

وفي نهاية المطاف إغتنم الإتحاديون الفرصة، فرصة الحرب العظمى لضرب روح العربالقومية، واتهموهم بموالاة الأجانب والإستقواء بهم والتآمر معهم، وأنهم أصبحوا يشكلون خطرا على الجيش وراء جبهة القتال، وقد أطلقوا يد قائدهم جمال باشا، قائد الجيش الرابع فسجن، ونفى وطرد وأعدم الكثير من العرب الأحرار[224].

في خضم تشكيل الجمعيات والحركات الإصلاحية، التي ظهرت في زمن جمعية الإتحاد والترقي، والتي سعت حثيثا لإصلاح الفساد والمحافظة على حقوق العرب ومساواتهم مع الأتراك، ووجود ونمو الحركة الصهيونية، التي عززت وجودها ونفوذها في فلسطين والقدس، وأخذت تهدد الوطن والمواطن، تجلى دور النخبة المقدسية في هذه الجمعيات والحركات الإصلاحية بحيث ظهر

---

[222].الناصر، حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص28.
[223].حوراني، البرت. **مصدر سبق ذكره**. ص29.
[224].النمر،إحسان. **مصدر سبق ذكره**. ص133.

محمد طاهر الحسيني، مفتي القدس الذي ترأس هيئة محلية للتوثيق في نقل ملكيات الأراضي لمنع الصفقات المزورة والحيلولة دون إستلام اليهود لأراضي زراعية جديدة[225].

وأوضح خليل السكاكيني مدير المدرسة الدستورية، ومن أقطاب النهضة الأرثوذكسية في المتصرفية، أن الصهيونيين يريدون أن يمتلكوا فلسطين وهي قلب البلاد العربية، ويقسموا الأمة العربية إلى قسمين يصعب معها إتحادهما وتضامنهما وعلى الفلسطينيين والمقادسة التضامن لدرء هذا الخطر والحد من السيطرة عليها.

ودعم هذا الموقف حافظ بك السعيد مبعوث يافا، وأحد أعيانها وعضو حزب اللامركزية ومن أنصار حزب الحرية والإئتلاف حيث قال:

"إنني أرى أن الهجرة الصهيونية قد تكون مضرة، وقد تكون غير مضرة إذا كانت مربوطة بقيود وشروط، تكفل بدفع الضرر فلا بأس منها " [226].

وكانت الحكومة وكأنها ستنظر إلى مقدار النفوس في متصرفية القدس، ومقدار سعة الأرض وتنظر إلى المقدار الزراعي فيها عن كفاية السكان، فتسمح ببيعها للمهاجرين، وهذا الموقف الذي تمثلت به الدولة العثمانية بقيادة جمعية الإتحاد والترقي، كان عرضة للنقد من قبل الفلسطينين والعرب، وعزز نمو الروح القومية في النفوس.

أمّا فيضي العلمي مبعوث القدس، واصفا الوضع المؤلم الذي وصلت إليه فلسطين والقدس بشكل خاص، نتيجة للخطر الصهيوني قائلا:

"إذا دمنا على حالنا فلا بد أن يأتي يوم يصبحون فيه – الصهيونية – أهل البلاد ونحن الغرباء" [227].

ودعمه في هذا الموقف جميل الحسيني، أحد أعيان القدس والمقيمين في الأستانة، فكان يقف على جانب المعارضة الواضحة لهجرة اليهود إلى فلسطين، والحركة الصهيونية، ومن الداعين لمقاومتها، وينتقد الدولة العثمانية بزعامة جمعية الإتحاد والترقي، التي تتساهل مع الهجرة الصهيونية إلى فلسطين وفي تسريب الأراضي الفلسطينية إلى الحركة الصهيونية وفي هذا يقول:

"إن المسألة الصهيونية من أمهات المسائل التي يجب علينا أن نقاومها ونحاربها، والحكومة تشد أزرها والأهلون جهلاء بسطاء"[228].

---

[225].شوفاني، إلياس. **مصدر سبق ذكره.** ص303.
[226].عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره.** ص136.
[227].عوض، عبد العزيز. **"شؤون فلسطينية "مصدر سبق ذكره.** ص136.
[228].عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره.** ص137.

ونبه إلى ذلك جرجي زيدان صاحب مجلة الهلال بعد زيارته إلى فلسطين، حيث بعث رسالة إلى جريدة فلسطين مذكرا بالآثار السلبية ألتي ألحقتها الحركة الصهيونية بالفلاحين، ويقول:

"الحكومة مشغولة ومضطربة، أمّا أعيان البلاد منصرفون إلى المسائل السياسية، والتنازع على الوظائف، ولو صرفوا الهمة والنشاط والجهد إلى الناحية الإقتصادية، لكان ذلك أقرب إلى الوطنية والاستقلال " [229].

ومهما يكن فإن الحكومة في العاصمة اسطنبول والحكومة المحلية في القدس، ولأسباب بعضها خارج عن إرادتها، لم تضع حدا للهجرة الصهيونية إلى فلسطين ولا لإنتقال الأراضي للحركة الصهيونية. حيث استمر التسلل الذي مكن من إقامة المستعمرات اليهودية الزراعية، والتوسع في المشاريع الإستيطانية، وفي هذا كتب جرجي زيدان يقول:

"مما لا شك فيه أن مستقبل البلاد إذا ظلت على ذلك، واليهود عاملون على إبتياع الأرضين وإستعمارها، وأهلها غافلون أو يتجاهلون وحكومتها ساكتة أو مشغولة فلا يمض زمن طويل حتى تصير كلها لليهود" [230].

ودعى نجيب نصار – محرر جريدة الكرمل – إلى عقد مؤتمر في نابلس، يضم جميع الفلسطينين على إختلاف المذاهب والمشارب، ردا على المؤتمر الصهيوني الحادي عشر، الذي كان متوقعا عقده في فينا في عام 1913م. ودعمت هذه الفكرة جمعية الشبيبة الفلسطينية في الأستانة، كما لاقت تأييدا من بعض المتنورين من النخبة المقدسية على أن تكون هذه الرابطة قومية قوية، لا يصح معها أن تكون عالة على بيروت أودمشق أو حتى الدولة العثمانية حيث خلص للقول:

"ما لنا وللبيروتيين نحن الفلسطينين على شفا جرف، فالخطر السياسي والإقتصادي يهددنا من كل صوب وحدب" [231].

ودعى نصار في شباط 1914م، أهل فلسطين إلى تأليف جامعة عربية تنبثق عن الجامعة العثمانية ويكون هدفها إنقاذ فلسطين، من خطر الحركة الصهيونية، وذلك بتأليف القلوب وجمع الكلمة تهدف إلى إفهام العثمانيين الرسميين والشعبيين، أن ضياع فلسطين وسيطرة الحركة الصهيونية على فلسطين سيلحق الأذى والضرر في الدولة العثمانية أولا وفلسطين ثانيا وناشد نصار الفلسطينيون مشجعا على وحدة الكلمة قائلا:

"ليعلم الفلسطينيون أن كل من يهمل شؤونه أهملته الناس."

---

[229]. عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره.** ص138.
[230]. عوض، عبد العزيز. **"شؤون فلسطينية" مصدر سبق ذكره.** ص139.
[231]. عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره.** ص135.

ويرى نصار الواجب يحتم على الشعب الفلسطيني :

"مقاومة الصهيونية وإخراجهم من البلاد لأن هذا واجب أعظم وأشرف من واجب الصهيونيون المتمثل بإخراج الفلسطينيون من ديارهم لأنه دفع تعد ومنع ظلم " [232].

وأكد نجيب نصار أن الجامعة العربية الفلسطينية التي يفترضها، هي شكل من أشكال إبراز الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة، لن تخرج عن الجامعة العثمانية الواحدة، بل شدد في أكثر من مناسبة على ضرورة سلامة الوحدة العثمانية، وأن فكرة الإنفصال عن الإمبراطورية العثمانية لم تكن في الحسبان، وتشير العديد من المقالات التي تحذر من تأثيرات الحركة الصهيونية المتزايدة في الحكومة العثمانية الجديدة التي تشكلت عام 1908م، وحذر كذلك من دسائس الحركة الصهيونية والإيقاع بين العرب والترك.

كما أن المسيحيين في القدس، لم يخرجواعن توجه رص الصفوف، وتوحيد الكلمة، وعندما جاء وفد مسيحي مكون من فرنسيس الخياط وحنا العيسى إلى خليل السكاكيني، لدعوة المسيحيين إلى تأليف حزب سياسي يحافظ على حقوق المسيحيون وهي الأقلية في البلاد وقال خليل:

"إذا كان غرضكم سياسيا فأ نا لا أستحسنة لأني أنا عربي قبل كل شيء" [233].

وعندي أنا ألأفضل أن:

"تؤلف حزبا وطنيا يجمع كلمة أبناء الوطن على إختلاف المذاهب والنحل لتثبيت الشعور الوطني وبث روح جديدة في النفوس، فإذا كان المنتخبون لمجلس المبعوثان مسلمين أو مسيحين فإنهم يشتغلون فيه خير الوطن " [234].

هذا الشعور وهذا التوجه القائم على البقاء تحت المظلة العثمانية حامية الدين والخلافةالإسلامية، بقي قائما حتى الحرب العالمية الأولى وهزيمة قناة السويس، حيث بدأت الأقنعة تسقط عن وجوه الإتحاديين. وبدأ التيار القومي التركي بالنمو والتصاعد بزعامة جمعية الإتحاد والترقي، وبدأ الشعور القومي العربي بالنمو في وجه الإتحاديين وسياستهم، وبدأ الإحساس بوجود قوميتين متمايزتين، ويشير إلى هذا الإحساس عوني عبد الهادي أحد الساسة الفلسطينين بقوله:

---

[232].عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره**. ص140

[233].الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص69.

[234].الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص70.

"لقد أيقظ الدستور الوعي والحس القومي في نفوسنا، وترعرع هذا الحس القوي في نفوسنا بفعل المنازعات التي كانت هنا وهناك بيننا وبين الأتراك"[235].

ناهيك عن العطف التركي على الحركة الصهيونية وتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وإنتقال الأراضي الفلسطينية إلى اليهود بطرق شتى، زادت في إلهاب المشاعر القومية ضد الأتراك، لدرجة أن الفلسطينيين أخذوا يعتبرون أن الصهيونية والصهيونيون حلفاء للأتراك.

[235].الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره.** ص24.

الخاتمة

كان العرب قبل إعلان الدستور عام 1908م والإنقلاب الإتحادي، على إتفاق مع الأتراك، في إتجاهاتهم ومشاربهم وأهدافهم، وكان إطار الوحدة العثمانية والجامعة الإسلامية والخلافة الحميدية، يجمعهم ويحميهم ويوحدهم .

ووقف غالبية العرب، داعمين ومساندين جمعية الإتحاد والترقي، في منهجها وسياستها وأهدافها، في التخلص من حكم السلطان عبد الحميد الثاني، وإصلاح أسباب الفساد والتأخر، حتى أن بعض النخبة المقدسية كراغب النشاشيبي وفيضي العلمي وآخرين، كانوا إتحاديين فكرا وأسلوبا أكثرمن الإتحاديين أنفسهم، وتجلى ذلك في كلامهم وتصريحاتهم وأعمالهم.

لكن سرعان ما انقلبت الآية وخاب الرجاء، واضيقت الصدور وانكمشت ، وشعرالعرب أن رجال الإتحاد والترقي، فشلوا في إصلاح أسباب الفساد، رغم محاولاتهم المتكررة، بسبب عدم إمساكهم لزمام الأمور منذ البداية، وإنعدام الخبرة والإفتقار إلى الثقة بالنفس، وأشار في ذلك يوسف العيسى في جريدة فلسطين بعنوان سنونو والمبعوثان:

"قال في هذه المملكة حد فاصل بين الأمن والهدوء، والشدة والرخاء والظلمة والنور، إن مبادئ الحرية نعمة، يجب أن لا يحرم منها أحد".

فنظر مرة إلى عش سنونو فيه صغار، تذهب أمها وتتركها، فقال في نفسه، ويحا لهذه الأم المستبدة التي تطمئن على فراخها بالحرية، وتحرمها من نعمتي النور والهواء، ثم أن الصغار رفرفت وطارت، وبعد أن حامت قليلا في الفضاء، وقد خانتها القوى، وتساقطت أحدها على الأرض فدق عنقها، والثاني في البحر والثالث في بيت الجيران، ثم قال:

"نعم الطيور خلقت للحرية والهواء، ولكن دعوها حتى ينبت لها ريشا كافيا ويقوى الجناح " [236].

هكذا حصل مع الإتحادين عندما استلموا الحكم، ولكن بعد الهزيمة في قناة السويس ودخول الدولة العثمانية الحرب العظمى، سقط اللثام عن الوجوه، ومارست الدولة ورجال جمعية الإتحاد والترقي سياسة التتريك، تتريك العناصر غير التركية في الدولة العثمانية، مؤمنين بدعمها للوحدة العثمانية[237].

من هنا تمت وتطورت مبادئ الخلاف الفكري والعنصري بين العرب وتصاعد حب الاستقلال العربي عن الدولة العثمانية، وقامت الدولة العثمانية بمحاربة ما شكله العرب

---

[236].العيسى، يوسف. "سنونو والمبعوثان" **جريدة فلسطين**.العدد102،السبت 31 كانون أول - 13 كانون ثاني1912م، الموافق23 محرم1330هـ، ص1.

[237].العارف، عارف. **مصدر سبق ذكره**. ص553.

والفلسطينيون من جمعيات وحركات إصلاحية، فحلتها وحاكمت بعض أعضائها، فسجنت ونفت وأعدمت بتهمة الاستقلال والإنفصال عن جسم الدولة العثمانية، والتعاون مع الحكم الأجنبي وضرب الجيش العثماني .

وزاد الطين بلة، الخطر الصهيوني الذي عارضته الدولة العثمانية جهرا، ولكن الجالية اليهودية في إزدياد مستمر.حتى أخذت تمارس طقوسها الدينية وترفع علمها وباعت طوابعها. وكذلك دخول الدولة الحرب العظمى، وإعلان النفير العام، فعم الفقر وانتشرت الأمراض وانقطع كل شيء، وأكلوا الناس خبز الشعير وقشر الموز، ولحق الجراد والتهم كل شيء، وزاد الامر سوءا.

الفصل الرابع

الثابت والمتغير في مواقف النخبة المقدسية من العهدين الحميدي والترقي

المقدمة

كان العرب والمقدسيون بشكل خاص، أسعد شعوب الإمبراطورية العثمانية لخلاصهم من حكم السلطان عبد الحميدالثاني، لأنهم كانوا ينتظرون إصلاحا دستوريا، يمنح حقوقا متساوية بين العرب والعثمانيين، طالما تمناها المقدسيون أيضا طال العمر أم قصر .

فكانت القدس تشكل وحدة ادارية مرتبطة بالحكومة العثمانية وبالأستانة مباشرة، وكانت نخبتها وأشرافها متنفذين في مجريات الأمور، ولم تكن للقدس شخصية مستقلة بل كان لها دورا سياسيا مكملا للدور السياسي الفلسطيني والشامي، من خلال الحركة العربية القومية والأحزاب والجمعيات. وبدأ ينمو الوعي السياسي والقومي المقدسي، ببروز الحركة الصهيونية والحركة الطورانية، التي عملت في البداية على جذب العنصر العربي لخدمة مرحلة قادمة، وهي إسترجاع قناة السويس، وعندما فشلت الحملة وشعرت الدولة العثمانية في سنين الحرب العالمية الأولى أن النصر حليفهم، كشف الإتحاديون اللثام عن وجوههم، وسرعان ما تبلورت مواقفهم السياسية والإجتماعية، نهجا لا شكلا ولا قولا.

وبدأت ملامح الإتحاديين بعدم الثقة بأحد غير الأتراك، وبدأت سياسة التتريك على أرض الواقع، فصادرت الأرزاق والأملاك وزادت كاهلهم بالضرائب، بحجة التكاليف الحربية، واختل الأمن وكثرت السرقات وانتشرت المجاعة، ونفيت العائلات وأعدم من خالف نهجها وفكرها ومنطقها ، وتبلورت هذه المواقف في شخصية جمال باشا وآخرون، الذين أخذوا بالبلاد إلى ساحات الوغى وإلى الحرب العالمية الأولى. وتصدى بعض أفرادالنخبة للحركة الصهيونية والحركة الطورانية، منتقدين الحكومة على سياستها، وتساهلها مع الحركة الصهيونية تجاه الهجرة والإستيلاء على الأراضي، ومحاولة جمعية الإتحاد والترقي تتريك العناصر غير التركية، وكان من أبرز هؤلاء محمد إسعاف النشاشيبي، وخليل السكاكيني، وإحسان الترجمان وواصف جوهرية وعبد القادر المظفر، وكيف تعامل هؤلاء مع النظام السياسي العثماني الجيد، الذي أخذ بالبلاد إلى ساحات الوغى. وكانت الولايات العربية والقدس، في طليعة الجبهة العسكرية، فدفعت من المال والأرواح الشيء الكثير، والحقت الحرب أذى كبيرا بالناس على اختلاف مشاربهم ومسالكهم .

وكانت طلائع هذه الحرب انهزام تركيا وسقوط البلاد في أيدي الحلفاء أمر غير مشكوك فيه، وحدث النصر للحلفاء وانهزمت تركيا وفرح العرب بالخلاص وكان لدى سكان المتصرفية، أمل

فـي تحسـين أوضـاعهم، وتغيـر أحـوالهم، واسـتقبلت القـدس الإنجليـز مهللـين مكبـرين، مسـرورين مبتهجين، يهنئون بعضهم بعضا، على الخلاص من نير عبوديـة الإتحـاديين، متطلعين إلـى مستقبل أفضـل يحمـي لهـم الأرض والعـرض ويقـيهم شـرور الحركـة الصـهيونية وممارسـات الحركـة الطورانية.

أولويات ومحددات مواقف النخبة المقدسية من النظام السياسي العثماني

لقد حافظت متصرفية القدس على حدودها الإدارية حتى أواخر العهد العثماني، فتألفت المتصرفية من أقضية القدس ويافا والخليل وغزة. وفي الفترة بين عامي 1906-1909م، ألحق بها قضاء الناصرة بعد أن تم فصله عن لواء عكا التابع لبيروت، بناء على طلب من الدول الاوروبية، لتسهيل مهمة الحجاج إليها[238].

كانت القدس مركز هذه المتصرفية، وكان أشرافها وأعيانها ووجهاؤها، نخبة متنفذة ترسم وتطلع مجريات الأمور في القدس والمدن المحيطة بها، وتعمل على تنفيذها. وتعد مدينة القدس بمركزها وأطرافها وأقضيتها، من أعرق المناطق التاريخية، حيث كان لها تأثيرا واضحا في توجيه أحداث وظواهر تاريخية كبرى، في العلاقات بين الدول والكيانات التي اثمرت عن صولات وجولات من الصراع المزمن منذ العصور الوسطى وحتى الآن، فالقدس هي الجوهر الأنقى.

وعلى أي حال لم يكن للقدس، شخصيتها السياسية، بفكرها وأحزابها المستقلة عن الشخصية والدور السياسي الفلسطيني، والتي كانت بدورها جزءا من الحركة العربية، في مختلف أنحاء الدولة العثمانية.مع هذا كان مجتمع القدس مكونا من نسيج إجتماعي جيد، بين المسلم والمسيحي واليهودي، ويظهر هذا جليا في الإحتفالات الدينية، في المدينة سواء أكانت للمسلمين أوغيرهم، ويصف جوهرية إحتفالات شهر رمضان قائلا:

"*كنا نأكل* البرازق *والحلوى معا في مقهى السرور والبهجة تعلوا وجوهنا* "[239].

ويصف كذلك جوهرية النزهة السنوية لليهود في المدينة – الشطحة – حيث إعتاد المسلمون على المشاركة فيها، وكانت تقام في منطقة الشيخ جراح، وكان العرب في القدس من مسلمين ومسيحيين، يشاركون اليهود افراحهم .

نعم لقد ضعفت الدولة العثمانية وأدى هذا الضعف، إلى التأخر والتخلف والفساد وازدادت الرشوة وعم الفقر، ورغم ذلك اجتمعت أسباب ومبررات بقاء الدولة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وبقاء الخلافةالإسلامية صامدة للوقوف أمام الدول القومية الحديثة. هذا على الرغم من تعاظم الإستبداد الحميدي، المتمثل بالحكم الفردي، وإلغاء مجلس المبعوثان وتعليق الدستور، ومنع الحريات وعدم توازن الدولة وضعف إمكانياتها، وتغلغل الإمتيازات والضعف الإقتصادي والتدهور الإجتماعي والقلق واليأس الذي خيم على النفوس.ومن الأسباب الخارجية الأطماع

---

[238].عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره** . ص130.

[239].نصار، عصام . **مصدر سبق ذكره .** ص 13.

الأوروبية والصهيونية والماسونية والإمبريالية [240]. التي سعت وبذلت كل الجهود من أجل تقسيم أملاك الدولة العثمانية.

نعم كان العرب والأتراك في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وقبل الإنقلاب، الذي تزعمته جمعية الإتحاد والترقي على إتفاق تام، في إتجاهاتهم الفكرية والنفسية وأهدافهم السياسية، والمؤرخون لخصوه بعبارة واحدة - الخلافة والرابطة الدينية – كذلك مما زاد التقارب رغبة العرب والإتحاديين، في تحطيم الحكم الحميدي المتمثل بالإقطاعيات الإستبدادية. فالأتراك رغبوا مدفوعين بعامل الإنقلاب البرجوازي الديمقراطي الرامي إلى كسر شوكة السلطان عبد الحميد الثاني، وتمكنت العناصر "الديمقراطية التقدمية التركية" من السير بالبلاد نحو الهدف الذي تسعى إليه.

ورغب العرب في تحطيم هذا النظام الحميدي، مدفوعين بعامل التحرر القومي الرامي الى هدفه التاريخي النهائي وهو الإنفصال عن تركيا.هكذا إجتمعت الرغبتان، وكانت الوحدة العثمانية والجامعة الإسلامية، مظهرا خارجيا لإجتماع الرغبات، حيث حل النضال القومي محل المبدأ العثماني. وتبين للعرب أن إضطهادهم كأمة إنتقل من يد السلطان عبد الحميدالثاني ونظامه إلى يد العناصر البرجوازية التركية، مما دفع العرب إلى مكافحة كافة أشكال السيطرة التركية، جاعلين لذاتهم أهدافا تتناسب مع مختلف الأوضاع التاريخية. وما الثورة اليمانية والنجدية والدرزية، واللبنانية إلاّ مظهرا من مظاهر الحركة للوطنية، التي دعت إلى إستقلال الامة العربية عن الأمة العثمانية[241].

ونستطيع القول أن اليوم الذي وقع فيه أول إصطدامبين العرب والأتراك، كان بداية للحركة الوطنية، فكما ذكرنا الثورات اليمانية والنجدية والدرزية واللبنانية ، كانت من مظاهر الحركة الوطنية وتجلت هذه المظاهر في الثالث والعشرون من تموز 1908م، عندما سقط نظام السلطان عبد الحميدالثاني على يد الإتحاديين، وانتهى هذا الحكم بخيره وشره، وانتقل الحكم إلى تلك الفئة المتأثرة بالفكر الغربي، وما لبثت أن تسلحت بالنعرة القومية، واضطهدت الشعوب الأخرى غير التركية. فالإنقلاب الإتحادي وضع حجر الزاوية للحركة الوطنية التي وقفت في وجه الحركة الصهيونية والقومية الطورانية.

واهتز العرب طربا لوقوع الإنقلاب الإتحادي ضد السلطان عبد الحميد الثاني، وأعيد إعلان الدستور وتبنت جمعية الإتحاد والترقي القومية التركية، وأهملت العنصر العربي كان هذا

---

[240].الغزاوي، قيس. **مصدر سبق ذكره**. ص3.
[241].أبوحنا، حنا. **مصدر سبق ذكره.** ص191.

الإستفزاز، العامل الأصلي لظهور الحركة الوطنية بل كان سببا مباشرا في الكشف عن وضع اختمر، وتهيأت أساسياته لدرجة ما[242].

كان من نتائج إستبداد حكم السلطان عبد الحميد الثاني، أن إختل نظام السلطنة بجميع نواحيها، فمثلا فسد التعليم في المدارس وساد الجهل واستشرت الأمية بين الناس وانخفض مستواه، وانعكس هذا السوء والفساد على مختلف نواحي الحياة، وضعفت اللغة العربية، وتطورت وازدهرت المدارس التبشيرية، والإرساليات الأجنبية، التي بذلت جهدا مستمرا لتنوير رجال النهضة وصقلتهم وأهلتهم لمقاومة فكرة الخلافة الإسلامية التي كان من أهم أهدافها الإبقاء على السلطة كما هي في ظل السلطان وسيادته.

هذه الفكرة هيأت النضوج الفكري والسياسي والإجتماعي، عند بعض النخب مثل "يوسف ضياء" محمد الخالدي، وابن أخيه روحي الخالدي الذي رأى المؤامرات التي تحاك ضد شعبه، وفي مقدمتها الحركةالصهيونية، والإستيطانية على فلسطين، التي تركت أثرا واضحا في نفوس الكثيرين من الأفراد، الذين أوجدوا الحركة الوطنية، واستطاع روحي أن يرسم خطا واضحا بين الصهيونية واليهودية، وأكد للملأ:

"إنني ضد الصهيونية ولكني لست ضد السامية "[243].

وكان روحي الخالدي قد عبر عن نشاطه السياسي من خلال الرابطة العثمانية، وانخرط في صفوف الإتحاديين، وعند حدوث الإنقلاب العثماني عام 1908م، سارع بالعودة إلى القدس، حيث أنتخب عضوا في مجلس المبعوثان لعام 1912م وتوفي عام 1913م[244].

وكان للخالدي مواقف واضحة في السياسة والإصلاح، والصهيونية والهجرة الصهيونية إلى فلسطين، وتأثر بالفكر الأوروبي والفرنسي خاصة، وكذلك تأثر بفكر جمال الدين الأفغاني، الذي هيأ له جوا مناسبا لإيضاح رؤيتها بدأت بمعارضة هيمنة الأتراك على الخلافة والحكومة والدولة. فقد أجاد روحي في وصف الظلم واستبداد عهد السلطان عبد الحميد الثاني في مجلة الهلال الدناءة وتحدث عما أصاب أحرار العثمانيين من إضطهاد وقال:

"حتى صار أرباب الدناءة والفساد يتقربون إلى المابين بالتملق والتجسس على إخوانهم "[245].

---

[242].أبوحنا، حنا. **مصدر سبق ذكره.** ص195.
[243].الوعري، نائلة. **مصدر سبق ذكره .** ص214.
[244].الخالدي، روحي. **أسباب ألإنقلاب ألعثماني وتركياة ألفتاة**. تحقيق خالد زيادة.ط1.القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ص25.
[245].صالح، جهاد أحمد. **مصدر سبق ذكره ،** ص209.

وهاجم الدولة التي باعت أوتساهلت قي بيع أراضي الفلاحين، الذين لم يستطيع أهلها دفع ضرائبها، إلى ملاكون كبار مسلمين ومسيحين أمثال عائلة سرسق والنجار ووكسار وروك. ويعتبر راغب الخالدي من أشهر الذين إنتقدوا الحكومة لكثرة الضرائب وسوء الإدارة وانتشار الفساد. كما أن روحي الخالدي، القنصل العثماني في بوردو والوكيل الأول لمجلس المبعوثان ونائب القدس الشريف، كان يدعو الى الحرية ويكافح من أجلها بقلمه، منددا بالإستبداد الذي اتسم به عهد السلطان عبد الحميد الثاني وجعله منبر الشرور وسبب ألتأخر والإنحطاط حسب قوله، وانتقد ما كان منتشرا في أجهزة الحكم من فساد وانحلال داخلي وتحدث روحي عما أصاب العثمانيين من إضطهاد وتحقير وعذاب.وقد وصفه جورجي زيدان: "*بأنه أحد كبار الأحرار العثمانيين*" وكان يكتب مقالاته موقعة باسم مستعار المقدسي، لأنه في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، إذا تكلم الإنسان الحر تكلم همسا، وعندما أعلن الدستور عام 1908م، أصبح الخالدي من أعظم أركانه[246].

لقد فشلت الحركة الصهيونية في مساعيها مع السلطان عبد الحميد الثاني، من أن تضع قدما لها في فلسطين، وفرض على الحركة الصهيونية قيودا شديدة تمنع تملك الحركة لأراضي فلسطين، وساند السلطان في مثل هذه ألمواقف بعض النخبة من أبرزهم طاهر الحسيني، الذي كان مفتيا للقدس، وحصل على الرتب العالية منها النيشان المجيدي في نسان 1899م[247]. والبقية الباقية من النخبة وأكثرهم من المشايخ ذوي ألنظرة البعيدة، المؤيدة لنظام حكم الدولة العثمانية ومنهم ألأستاذ جبر ضومط[248].

لم تيأس الحركة الصهيونية، فواصلت مساعيها مع جمعية الإتحاد والترقي بعد الإنقلاب، واستطاعت أن تحقق بعض مطالبها عن طريق عناصر في الحكم من يهود الدونمة[249]، الذين لعبوا دورا مميزا وبارزا في عملية الإنقلاب ضد السلطان، وأسست الحركة الصهيونية لها مكتبا في ألأستانة باسم مكتب فلسطين، وبناء على إحتجاجات في مجلس المبعوثان قادها روحي الخالدي والعسلي، أعيد العمل بقوانين السلطان عبد الحميد الثاني، بمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين.ولكن جاءت حكومة ائتلاف في صيف عام 1912م، وتساهلت مع الحركة الصهيونية، بسبب الحاجة ألماسة للمال لدعم الخزينة، بعد خروجها من حروب كالبلقان[250].

وعندما عاد الإتحاديون إلى الحكم في عام 1913م، وتحت ضغط الديون والحاجة الماسة إلى الأموال، ألغى الإتحاديين ألقيود على الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتملك اليهود للأراضي

---

246. قاسمية، خيرية. **روحي الخالدي**.تنفيذ وإشراف يحي جبر.مؤسسة الجمعية العلمية الفلسطينية، ص25.
247. مناع، عادل."**أعلام فلسطين" مصدر سبق ذكره.** ص115.
248. طنوس، عزت. **مصدر سبق ذكره**. ص38.
249. الغامدي، سعيد سعد سفر. **مصدر سبق ذكره.** ص6.
250. عوض، عبد العزيز محمد. **مصدر سبق ذكره.** ص134.

الفلسطينية، وساعدهم في ذلك تدخل ألقناصل الأجنبية وفساد ألجهاز الإداري في المتصرفية، وانتشار الرشوة بين كبار الموظفين، ومحاولة اليهود التملص من القيود المفروضة عليهم بالتحايل عليها بالتجنيس الإنجليزي والامريكي.

وأبرقت النخب إلى الصدر الأعظم يقولون:

"إن الصهيونية في يافا حكومة داخل حكومه، يعتقلون الأهالي ويضربونهم ويعاقبوهم بالسجن في مدرسة ودار بلدية تل أبيب " [251].

ولكن لا محالة، أنشا اليهود الكثير من المستعمرات الموزعة في الغور والسهل والجليل، والشعب العربي والفلسطيني، ينتظر الفرج من قبل الدولة العثمانية، التي تترأسها جمعية الإتحاد والترقي، والتي شغل اليهود فيها وزراء متنفذين كجويد باشا وغيرهم. ولكن سرعان ما ردّ الإتحاديون على الحكم بالقوة، وأقصوا الضباط العرب واستأنفوا ألعنف وتدخلوا في إنتخابات مجلس المبعوثان عام 1913م، حتى أن العرب لم يستطيعوا إرسال أكثر من خمسون نائبا إلى المجلس الجديد، بعدما كانوا في المجلس ألسابق سبعون نائبا، وكان من تأثير هذه السياسة أن أصبح العرب في عداد الاستقلال ألتام، بعد أن كانوا طلاب إصلاح ومركزية ضمن نطاق ألسلطة العثمانية[252].

واختلفت النخبة في موقفها من الحركة الصهيونية، فهذا حسن سليم الحسيني[253]رئيس بلدية القدس وأحد أعيانها، قد صرح لصحيفة ألأقدام في آذار عام 1914م، عشية ألإنتخابات لمجلس المبعوثان قائلا:

"الحركة الصهيونية لا تشكل خطرا على فلسطين لأنها ليست حركة سياسية.

والخطر من الإستيطان الذى. *يجب وضع قوانين جديدة لمنع بيع الأراضي لليهود"*.

وكان حسين سليم الحسيني ميالا للإتحاديين، وقد عينه جمال باشا رئيسا لبلدية القدس وبقي فيها حتى الإحتلال البريطاني للقدس وكان على رأس الوفد الذي سلم مفاتيح القدس للجيش البريطاني بقيادة الجنرال اللنبي في 18 كانون أول 1917 وكلفه بذلك متصرف القدس التركي عزت باشا.[254]

---

[251].ألقاسمية، خيرية. **"المقاومة العربية" مصدر سبق ذكره.** ص134.
[252].ألقاسمية، الخيرية ."**المقاومة العربية"مصدر سبق ذكره.** ص135.
[253].الغوري، إميل. **مصدر سبق ذكره**. ص28.
[254].مناع، عادل."**أعلام فلسطين" مصدر سبق ذكره.** ص266.

بينما كان كان عثمان النشاشيبي مبعوث القدس قبل الحرب العالمية الأولى ووالد إسعاف النشاشيبي عضوا في الإتحاد والترقي، وأخذ ينافس آل الحسيني على زعامة القدس وفلسطين، عارض هجرة اليهود إلى فلسطين وقاوم تملك الحركة الصهيونية لأراضي في فلسطين وبقي في المبعوثان حتى نهاية الحرب العالمية العظمى[255].

وطرح عثمان النشاشيبي في حديث لجريدة الأهرام، تفصيلا عن مسائل يعاني منها شعبه وسيعمل على حلها، ضمن خطته المقدمة لمجلس المبعوثان فيقول:

"أهمها الأعشار وهي علة العلل، طارحا إستبدالها بالتخميس، وتطرق إلى مسألة الإمتيازات والجمارك وقال سأسعى لإلغائها، وكذلك الحج وتشجيعه والمحافظة على سلامة الحجاج إلى بيت الله ألحرام، والجرح ألأخير هو البوسطة، التي لا تخضع إلى رقابة الدولة، وقال لماذا نحن دائما نتسامح وأوروبا التي تمص دمائنا كعلق لا يشبع".

رادا على طالبي الإصلاح بقوله:

"ألإصلاح لا يتم إلاّ بالمال والمال تخطفه اوروبا من بين أيدينا يوميا بوسائل عديدة، أهمها أربع دعوتها جروح مملكتنا الأربعة "[256].

لم يمض وقت طويل على إستلام جمعية الإتحاد والترقي الحكم في إسطنبول، ففي عام 1911م إكتشفت إدارة الوقف الإسلامي، أن فريقا من منقبي الآثار ألإنجليز، يقومون بحفريات أثرية داخل الحرم القدسي الشريف[257]، إستنفرت النخبة ولحق بها عامة ألناس لإيقاف ذلك، وانصب غضب ألأعيان على السلطات الأعيان في إسطنبول، وتم إرسال الإحتجاج إلى مجلس المبعوثان ومشيخة الإسلام في إسطنبول، وهذا الإحتجاج يعتبر دلالة على حركة عربية صاعدة في فلسطين والرغبة في تحدي سلطات الأعيان في إسطنبول[258].

كان الوضع في القدس يسير من سيء إلى أسوأ، فلا أمن ولا أمان ولا هدوء ولا طمأنينة، وكثرت السرقة وعمت الفوضى وأهمل المسؤولون مسؤولياتهم، وعبرعن ذلك صورتين من القدس: ألاولى حضر سعادة قومندان الجندرمة في القدس، ليتفقد ويسال عن سلوك جنوده،بعد أن شكى الناس منهم، وسأل إذا كان الرأي العام راضيا عنهم أو مستاء فقيل له :

---

[255] .مناع، عادل. **"أعلام فلسطين" مصدر سبق ذكره.** ص352.

[256] .النشاشيبي، عثمان."جروحنا ألأربعة". **جريدة فلسطين.**العدد287، 21ت1-18ت1913،2م، الموافق 9 ذي الحجة عام 1331هـ، ص1.

[257] .فسمان، لويس. **مصدر سبق ذكره**. ص60-70.

[258] .نصار، عصام. **مصدر سبق ذكره**. ص9.

" أكثرية الجمهور في جانب الإستياء، ونظن أنه لو وجد رأي عام، لكانت أرجعت هذه البضاعة ألجديدة من حيث أتت". فضحك وقال:

"فليصبر الجمهور ثلاثة شهور ولسوف يرضى".

وأمّا الصورة الثانية لثلاثة من الجندرمة يتساهرون ويلعبون، فجرا الحراب على بعضهم وقاموا بمعركة في الساحة ألعمومية، ولما سالت دماؤهم وبخهم أحد ألحضور بأن عملهم لا يليق يهم ويجب ألمحافظة على ألمال العام وعلى الخزينة ألعمومية، فكان ألجواب أنه صوب بندقيته إلى الناصح محاولا قتله[259].

ورغم مظاهر عدم الرضا بين العرب والأتراك التي بدأت تنمو هنا وهناك، إلاّ ان العلاقات بين العرب والأتراك لم تصل إلى طريق مسدود، ويبدوا أن هناك محاولات من قبل جمعية الإتحاد والترقي لإستيعاب هذا الشعور العربي والحركة القومية العربية ألصاعدة، والتي أخذت وضعا مميزا قبل الحرب العالمية الأولى.

وفي حالات عديدة، إتسم هذا ألموقف بالحقيقة وأبرز هذه الصور تمت في دعم جمعية الإتحاد والترقي ممثلي الحركة القوميةالعربية الناشئة، على حساب مرشحيهم في الإنتخابات لمجلس المبعوثان في عام 1914م، حينما دعموا مرشحين نافسوا مرشحيهم، فمثلا في عكا قامت السلطات العثمانية بإعتقال أنصارالشيخ أسعد الشقيري مرشح الإتحاد والترقي، لتمكين منافسه العربي القومي عبد الفتاح السعدي من الفوز، وكذلك في نابلس أجبر عضو الإتحاديين حيدر طوقان على تحمل الخسارة أمام مرشحي المعارضة حسين حماد.

تعبر هذه المواقف عن رؤية حزبية سليمة، ونضوج فكري وتعبئة سليمة للمرحلة القادمة، وهي العمل على أن تكون الجبهة الداخلية قوية متماسكة، وتهدف كذلك الى حماية الإمبراطورية ومصلحتها وتلبية لرؤيتها التي أعلنتها، وهي العمل على وضع العرب على قدم المساواة مع الأتراك[260].

وأخيرا دخلت الدولة العثمانية الحرب العظمى إلى جانب المانيا، وكانت فلسطين والقدس في طليعة الجبهة العسكرية، التي قادتها للسيطره على قناة السويس، وتعرض الفلسطينيون الى حملة من التجنيد الإجباري، وصودرت المنتوجات الزراعية والحيوانية لدعم المجهودالحربي التركي، وباشرت الحكومة بقلب المؤسسات المدنية إلى عسكرية، وأغلقت جميع المؤسسات التابعة للأعداء- بريطانيا وفرنسا وروسيا- وأخرجت السفراء وطردت القناصل، وأغلقت البنوك وإحتلت المؤسسات

---

[259]. العيسى، يوسف. "إسبوع القدس ولسوف يرضى "**جريدة فلسطين**،العدد65، 20آب- 2أيلول عام1911، الموافق9 رمضان 1329هـ، ص1.

[260].نصار، عصام. **مصدر سبق ذكره**. ص10.

مثل مدرسة سان جورج، وارتفعت الأسعار وصودرت المواد الغذائية حتى ألاقمشة، وألغيت البوسطات كل ذلك تم تحت عنوان تكاليف حربية.

وشكلت الحكومة لجان لجمع التكاليف الحربية، وأمرت بمصادرة كل شيء يلزم من مأكل ومشرب وملبس وحيوان حتى العربات، لدرجة أن الأهلين أخفوا سلعهم ومأكلهم ودخل الناس في أزمة شديدة من الفقر والجوع، واشتد الكرب وأكل الناس الجراد وقشور الموز والبرتقال والبطيخ وأخذوا يبحثون عن القمح والشعير في روث الحيوانات[261].

ويصف خليل السكاكيني الوضع قائلا:

"لم يتجاوز مصروفنا أليومي من قرشين إلى ثلاثة، وكانت تمر أياما لا نأكل فيها إلاّ الخبز والعنب، وأماّ اللحمة لم تدخل دارنا منذ أشهر، والناس هجروا أسباب السرور والإبتهاج وصاروا إلى ألبساطة في أللباس والمأكل والمشرب" [262].

وهذا لسان حال السكاكيني الذي يعتبر نسبيا من الميسورين، فما بالك في طبقة الفلاحين والعاملين، الذين كانوا يخافون من كل شيء، وأصبحوا لا يبالون من أي شيء[263].

فيكمل السكاكيني بقوله : *"فلانرى أناس يفتكرون، شلت ألأفكار وعميت الأبصار، وأصبح كل شيء منكر وحرام، والبعض يقول أن ا لدولة في مأزق ، وعلينا أن لانشوش ولانطالب، ونترقب قليلا حتى يتم إصلاح أوضاعه"* ، وكان من حملة هذا اللواء أيضا راغب النشاشيبي الذي إنتمى إلى حزب الإتحاد والترقي، وبقي إتحاديا حتى نهاية الحرب العظمى، وناشد أعيان القدس:

"أن يأخذوا بيد الدولة في سبيل ألصلاح وإعطائها الفرصة الكاملة لإصلاح أموره" [264].

وكان علي النشاشيبي على طرف النقيض من راغب، كان طبيبا بيطريا ونشيطا في الحركة القومية، منضما إلى الحركة اللامركزية وعضوا في القحطانية والعهد السرية، دعا إلى توحيد الولايات العربية تحت مظلة مملكة واحدة على غرار الإمبراطورية النمساوية المجرية[265].إعتقلته السلطات التركية عام 1913م وقدمته للمحاكمة، وحكم عليه بالإعدام في بيروت في 16/ أيار عام 1916م، مع ثلاثة عشر شخصا من النشطين في الحركات والجمعيات القومية، في سوريا ولبنان

---

[261].ألنمر، إحسان. **مصدر سبق ذكره.** ص112.

[262].تماري، سليم."**عام الجراد" مصدر سبق ذكره**. ص137.

[263].السكاكيني، خليل. "**كذا" مصدر سبق ذكره**. ص80.

[264].نويهض، عجاج. **رجال من فلسطين ....من بداية القرن حتى عام 1948م**.ط1. بيروت: منشورات فلسطين المحتلة ،1981م ، ص289.

[265].مناع، عادل. "**أعلام فلسطين" مصدر سبق ذكره.** ص353.

وفلسطين ودفن في مقبرة الرمل في بيروت كغيره من شهداء الحركةالقومية العربية، وقال عنه الحاج أمين الحسيني:

" إنه باعث ألروح العربية القومية في شبيبة القدس " [266].

وجناح آخر عمل كل ما في جهده لرأب ألصدع بين العرب والأتراك، وعلى رأسهم الشيخ علي ألريماوي، الذي عمل كاتبا ومحررا لجريدة القدس الشريف والتي كان من أهم أهدافه، تحسين العلاقة بين الحكومة التركية والعرب وكتب الريماوي قائلا:

العربية والتركية شقيقتان فما بالهما مختصمتان" وسعى جادا لتأليف ألقلوب بين الشعوب [267].

وفي الحرب ألعالمية تكونت بعثة علمية من علماء وأدباء من أهالي فلسطين وسوريا وبيروت، وأوعز بتشكيلها جمال باشا وتوجهت من سوريا إلى إسطنبول لتعلن ألولاء باسم سوريا وفلسطين ولبنان، ألولاء للدولة والسلطان، والتهنئة بانتصار الدولة في معركة جناق قلعة-جاليبولي- على الإنجليز.وضمت البيعة إحدى وثلاثين شخصية من أعضاء النخبة و كان من القدس طاهر أبو ألسعود والشيخ علي الريماوي وأسعد الشقيري، الذي القى قصيدة مدح فيه ولي العهد وأثنى عليه، وهنأه بالنصر معلنين لاعتاب السلطان إخلاص العلماء والأشراف وسائر الأهالي في سوريا.

لكن واضح أن جمعية الإتحاد والترقي لم تثق بأحد عدا الأتراك، حيث ركز طلعت باشا أحد أركان جمعية الإتحاد والترقي، على عثمنة جميع العناصر غير التركية، وتبنت جمعية الإتحاد والترقي فكرة أيدلوجية الجامعة الطورانية، خاصة بعد هزائم طرابلس والبلقان. لقد أدى ذلك إلى إحياء رغبة أكيدة في إحياء قومي بين كافة المعتقلين الأتراك، وكانت نعرة ألعداء للعرب واضحة وازدادت وضوحا عشية الحرب العظمى، حيث ظهرت النعرة الطورانية بوضوح في تغير أسماء الشباب التركي، واقاموا مراكز وأندية سموها بأسماء تركية قديمة وأنشدوا اناشيدا تمجد تاريخهم، وعدوا جنكيز خان معادلا للنبي، جدنا مز جنكيزخان. وكذلك كتب عبد الله أحد كتاب الإتحاديين كتابا بعنوان قوم جديد، إعتبر فيه طلعت وأنور وجمال، وجاويد وامثالهم مقام الصحابة ، ووجب الترضي عليهم وعنهم[268].

كان النصر في سنين الحرب العظمى الأولى حليف المانيا وتركيا، فأيقن الأتراك أن ألنصر ألنهائي سيكون نصيبهم، فرفعوا فجاة النقاب عن الوجوه، واستأنفت الحكومة الإتحادية السياسة

---

[266].مناع، عادل . **"أعلام فلسطين" مصدر سبق ذكره.** ص354.
[267].مناع، عادل."**أعلام فلسطين" مصدر سبق ذكره.** ص187.
[268].دروزة، محمد عزت. **مصدر سبق ذكره**. ص193.

الطورانية، وتحولوا إلى أشبه ما يكونوا للذئاب، وأسسوا جمعيات نذكر منها تورك يوردو-أي ألمسكن التركي[269].

بناء على ما ذكر، تطورت الروح القومية العربية ردا على القومية الطورانية على لسان جوهرية، حيث عكس إحساسا عميقا بالهوية العربية ومعارضة لسياسة جمال باشا، فهي إشارة إلى إنتماء عربي وطني محلي، بدأ بالتبلور والظهور وعكس ظهور الشخصية الفلسطينية، والدليل على ذلك ما قام به رئيس بلدية القدس حسين الحسيني، عندما شكل جمعية الهلال الأحمر من غير الأتراك ووصف جاكبسون هذا التوجه على أنه :

"وطنية محلية ولسكانها من مختلف ألمذاهب "[270].

ووصف خليل في يومية دونها قبل فترة قصيرة من إعتقاله مؤرخة في كانون ثاني من عام 1917م، أي قبل ايام من دخول ألإنجليز القدس كتب يقول:

"لا أشتغل إلاّ في خدمة العلم والقلم الذي لا وطن له." وماهي الوطنية؟ "إذا كانت الوطنية أن يكون ألإنسان صحيحا، قويا، نشيطا، مستنير العقل حسن الأخلاق، أنيسا لطيفا فأنا وطني"امالإذا كانت " الوطنية تفضيل مذهب على آخر وأن يعادي ألإنسان أخاه ألإنسان فأنا لست وطنيا" [271].

على ضوء ذلك أصدرت الدولة العثمانية التعليمات القاسية على جميع العناصر غير التركية، ففرضت التجنيد ألإجباري وفر السكان من وجه السلطان، وخاصة عندما كانت القوات البريطانية على مشارف القدس[272].

وانعكس هذا كله على القدس، التي أصبحت حزينة كئيبة لا تشبه القدس في عام 1914م، وذلك لما عاناه أهلها من عذاب وجوع ومشقة ايام الحرب، وقدإنتعش أهلها قليلا بعد دخول الجيش الإنجليزي والصليب ألأحمر الأمريكي، وعم الإبتهاج فكان شبيها لإبتهاج عام 1908م، عندما سقط السلطان عبد الحميد الثاني، وأيقن الشعب العربي أن الحكم الذاتي الذي إنتظره الشعب العربي قد تحقق. ويقول عزت طنوس:

"إنني كنت في تلك ألمناسبتين السعيدتين، ليس مشاهدا بل مساهما في المظاهرات العارمة، وكان للخطب التي القاها الشيخ عبد القادر المظفر وخليل

---

[269] .بيهم، محمد جميل. **مصدر سبق ذكره**. ص191.

[270] .نصار، عصام. **مصدر سبق ذكره**. ص14.

[271] . نصار، عصام. **مصدر سبق ذكره**. ص14.

[272] .أفنيري، أريه،ل. **دعوى نزع الملكية الإستيطان اليهودي والعرب في ألفترة بين 1878-1948م** .ط ا. ترجمة بشير شريف البرغوثي،عمان: دار ألجليل والنشر والدراسات والأبحاث، ص29.

السكاكيني وأكرم زعيتر وعارف ألعارف وصليبا الجوزي، أثر كبير في حماستنا جميعا." [273]

ويقول أحد المواطنين الذي كتب في جريدة فلسطين تحت عنوان"لواء القدس التعيس"يقول:

"قل لي بربك هل نحن ابناء الدولة الواحدة؟هل القدس وإسطنبول وسالونيك أخوات؟هل القدس وفلسطين قطعة من هذا الجسم، جسم الدولة العثمانية، وهل تلك الولايات العربية خارجة عن هذا الجسم، ؟ أم جميعنا أبناء هذا الوطن،بالله عليكم أنقذونا وسدوا رمقنا وافشوا الأمن والسلام بيننا.".....لكن هيهاااات[274].

هذه مواقف ومحطات تبين أولويات ومحددات مواقف النخبة المقدسية من النظام السياسي العثماني، بين عهد السلطان عبد الحميد الثاني وجمعية الإتحاد والترقي، والملاحظ أن العلاقة بين العرب والأتراك كانت جيدة لولا الحكم الفردي للسلطان عبد الحميد الثاني، ولولا سياسة جمعية الإتحاد والترقي، التي تمسكت بالقومية الطورانية وصممت على تتريك كافة الأجناس في الدولة العثمانية وزاد الطين بلة جمال باشا بسياسته، الذي لم يتوانى عن نفي وطرد العائلات، وأعدام كل من تلسن بالأعيان أو اللامركزية أوالقومية بتهمة محاولة الإنفصال عن جسم الدولة العثمانية.

---

[273].طنوس، عزت. **مصدر سبق ذكره**. ص72.

[274].غزة، ق. ط."لواء القدس التعيس"**جريدة فلسطين**.العدد220، 27شباط -12آذار،1913م،الموافق 4 ربيع الآخرة ، 1331 هـ، ص1.

التوافق والتباين في مواقف النخبة المقدسية من التحولات السياسية

عاشت الدولة العثمانية في اواخرعهدها، مجموعة من المواقف والتحولات السياسية، بدءا من حكم السلطان عبد الحميد الثاني الفردي، وتعليق الدستور وإغلاق مجلس المبعوثان العثماني، مرورا بظهور الحركة الصهيونية واطماعها في فلسطين وحركة جمعية الإتحاد والترقي وثورة الدستور وإعادته وخلع السلطان عبد الحميد الثاني، ونفيه واستلام أعضاء جمعية الإتحاد والترقي الحكم .

ورغم محاولات جمعية الإتحاد والترقي، إسترضاء الميالين للتيار الليبرالي، من أجل تقوية الجبهةالداخلية، استعدادا لحرب السويس والحرب العظمى، وتظاهرا بتطبيق المساواة بين العرب والأتراك، تظاهرت السلطات العثمانية في عكا بأن أوقفت عددا من الناخبين المؤيدين لمرشحهم أسعد الشقيري النائب الإتحادي البارز، لتمكين المرشح القومي الجديد عبد الفتاح السعدي من الفوز، وتوفيق حماد في نابلس الذي اطاح بمرشح الإتحادين حيدر طوقان، والعمل على ضم عبد القادر الجزائري نائبا لرئيس المجلس وسليم البستاني والعسلي والزهراوي إلى مجلس المبعوثان، الأخير وكان بعضهم بعد قليل ارسله جمال باشا إلى المشنقة [275].

وبالمقابل في الجانب الآخر، اختل الأمن وانتشرت اللصوصية حتى أنها سرقت دكان موسى إحجيج، الواقعة بخان الزيت، واخذوا اللصوص 13ليره، وكسروا جارور الدكان ورموه أمام منزل أسعد حشمه، والمهم أن سرقة هذه الدكان لم تكن بعيدة إلاّ أمتار عن مركز الشرطة العثماني. والثانية أن أصحاب الدكان ذهبوا ليلا لتقديم شكوى، انتهرهم رجال الشرطة لأنهم أزعجوهم وأقلقوا نومهم، هذه أحداث كانت تحدث يوميا هنا وهناك، عكست على نفسية الناس الصورة السلبية للإتحاديين[276].

والصورة الأخرى التي تنزل منزل ألإشمئزاز في النفوس، كما يصورها يوسف العيسى، كان حينما يطل على البلاد القائد أو المتصرف، تنخلع الأيادي من التصفيق، وترفع الأيدي وتنخفض، ويمشي القادم بين حائطين من لحم ودم، وما لا يرى عند وداع هذا القائد أو ذاك، فإنه يقف في المرفأ الذي شهد حفل استقباله، ويلتفت يمينا ويسارا فلا نجد من يحمل له صندوق حوائجه، هذا قليل من كثير وفي القدس صدق المثل القائل:

"تشوف تفرح تذوق تحزن " [277].

---

[275].قيالي، حسن. **مصدر سبق ذكره**. ص222.

[276].العيسى، يوسف."سرقة" **جريدة فلسطين**.العدد252، 26 حزيران-9 تموز1913م، الموافق5 شعبان 1331هـ. ص1.

[277].العيسى، يوسف. "ما يرى ومالا يرى" **جريدة فلسطين**.العدد288، 30ت1-12ت2 1913م، الموافق13 ذي الحجة عام 1331هـ. ص1.

وفي عام 1914م، دخلت الدولة العثمانية الحرب العظمى، وكان لها آثار انعكست على واقع المجتمع العربي والفلسطيني والمقدسي، وما بين هذه المحطات من ثورات واضطرابات وانفكاك ولايات عن جسم الدولة العثمانية، ودور النخبة المقدسية وموقفها من هذه المحطات، بين التوافق والتباين، وكان من أبرز هذه النخب "يوسف ضياء" محمد الخالدي وشكري العسلي، وروحي الخالدي، ومحمد إسعاف النشاشيبي، وأحمد عارف الحسيني، وراغب النشاشيبي وآخرون.

وسنتكلم عن بعض هذه النخبة، لنوضح هذه الصورة، صورة مواقف النخبة المقدسية من التحولات السياسية العثمانية، في أواخر العهد العثماني، بين عامي 1876-1907م.ومن أبرز هذه النخبة محمد إسعاف النشاشيبي، الذي ولد في القدس في بيت حسب ونسب، والده عثمان النشاشيبي عضو مجلس المبعوثان العثماني في الاستانة، وتجلى موقفه الفكري والسياسي في كرهه للأحزاب السياسية والعائلات، ويراها هدرا للطاقات، فلم ينضم لأي حزب ولم يلبس الطربوش ولا الكوفية[278]، وكان يحب اللغة وآدابها، ولكنه لم يستطيع أن يعزل نفسه عن الحدث المهم، ألا وهو إعلان الدستور، وبدأ الإحساس بالكيان العربي يفرض نفسه على أرض واقع الحياة، وأخذ يملأ النفوس ويسيطر على القلوب، ومحمد إسعاف النشاشيبي كان أحدهم، فقد أيد الدستور وخلع السلطان معبرا عن ذلك بقصيدة بعنوان فتاة مقدونيا، رمز فيها إلى الحرية، منتقدا السلطان عبد الحميد ونظامه، وأثنى على جمعية الإتحاد والترقي وشبههم بالعدل الباهر، ودعا الشرق عامة وفلسطين خاصة على النهوض وطلب الحرية والعلم والوحدة والإبتعاد عن التعصب الديني مؤكدا على أن الدين غالبا ما استغل وأخذ سبيلا للظلم والإستبداد الديني قائلا:

"أترك الدين في المعابد يبكي، واحتفل بالفتاة شرق احتفالا[279].

وفضح تبرير محاربة البلقان باسم الدين.وعندما جاء الدستور في عام 1908م قال:

"إرتفع الكابوس وانطلقت الألسن من عقالها "[280].

ووصف محمد إسعاف النشاشيبي أحوال التربية في فلسطين والقدس، في عهد السلطان وقبل الإصلاح الدستوري عام 1908م، بانتشار الفقر والجهل وسوء الأحوال، واقتصار التعليم على الكتاتيب وبجهود خاصة، وأهمال الدولة لغة القران والحضارة واهتمامها باللغة التركية. ووصف التعليم بشكل عام فقال:

---

[278].صالح، محسن. **دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس.** ط1.بيروت: مركزالزيتونة للدراسات والإستشارات ،2010م، ص81.

[279].صالح، جهاد أحمد. **الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين – محمد إسعاف النشاشيبي 1882-1948م علاقة فلسطين وأديب العربية.** ط ا.رام الله: منشورات الإتحاد العام للكتاب الفلسطينين ،2010م، ص21.

[280]صالح، جهاد أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص19.

"وصل التعليم إلى أدنى مستوى له، ثلاثة وسبعون ألفا من الطلاب وخمس وثلاثون ألفا من البنات ونسبة المتعلمين في المدارس الحكومية والخاصة لا تزيد عن 20%منهم[281].

ونستطيع أن نقول أن محمد إسعاف النشاشيبي، عاش صراعا عنيفا بين دعاة المحافظين ودعاة ألتجديد، رغم أنه من أنصار القديم، إلاّ أنه دعا للإنتفاع من الجديد، على أن لا يكون على حساب تحقيق الذات والصبغة الشخصية، وكانت حملته قوية على دعاة ألإفرنج ممن يدعون صعوبة في اللغة واللسان.

لقد عاصر محمد إسعاف النشاشيبي لونين من ألوان الحكم، العثماني في أواخر القرن التاسع عشر والبريطاني في أوائل القرن العشرين حتى النكبة 1948م. ولا يخفى على أحد رغم الوشائج الإسلامية، التي تربط فلسطين بتركيا، إلاّ أن ممارسة الولاة الأتراك ولعب ألجمعيات التركية القومية مثل جمعية الإتحاد والترقي، وتركيا الفتاة، بأقدار الدولة، جعلت الحكم العثماني شر لا يطاق، ونمطا تتقزز منه النفوس، حتى أن أبناء تركيا أنفسهم، زين لهم التخلص من الحكم العثماني، الذي تزين بالقومية التركية والطورانية المتعصبة، فقرروا التتريك ونصب المشانق للأحرار، واستمر الحكم بأيدي غير آمنه، قادت البلاد إلى الهلاك وأضرت بمصالح البلاد والعباد.

وقد وصف محمد إسعاف النشاشيبي، الأتراك بعد مضي أكثر من تسع سنوات على حكم جمعية الإتحاد والترقي واصفا إياهم:

"إنهم لن يكونوا من الكرام أبدا" [282].

وصورة أخرى لهذا التوافق والتباين في مواقف النخبة المقدسية كان لواصف جوهرية، في مذكراته وكيف أثرت الثورة على الوضع الإقتصادي في المدينة، نتيجة للإنقلاب العثماني ومنح الحريات، وسعى العرب لتحسين أحوالهم المختلفة، وزادت رغبتهم في تلقي العلم والتعليم. ويصف جوهرية القدس عشية الإنقلاب الدستوري وخلع السطان عبد الحميد الثاني عام 1908م، كانت القدس في أحلى صورها والناس فرحون ويقبلون بعضهم بعضا مسرورين، بالتخلص من الحكم السلطاني. لكن حماس جوهرية بعد عدة أعوام بدأ يتلاشى، حبيث اظهر أن الناس بدأءوا يشكون من التكاليف الحربية والضرائب التي تطلبها الحكومة حتى دخلت الدولة العثمانية الحرب العظمى قائلا:

---

[281].أبو عليان، ياسر. **مصدر سبق ذكره.** ص72.
[282].أبو عليان، ياسر. **مصدر سبق ذكره**. ص70.

"زادت الحكومة طلباتها بمناسبات عديدة، كشراء السلاح وتقوية الهلال والمساعدات الحربية وكانت الأحوال سيئة جدا، ولا يمكن تحمل هذه الطلبات، ولا أحد يستطيع أن يرفض ذلك، إنه عهد الظلم والطغيان والإستبداد " [283].

وزاد ألطين بلة في عام 1915م غزا الجراد البلاد وقضى على ما تبقى في فلسطين من مزروعات، التي كانت قد تدهورت بفعل النفير العسكري العام، الذي اجبر الفلاحين على ترك أعمالهم وأراضيهم والإلتحاق كجنود في الجيش العثماني وتبع الجراد الأوبئة والأمراض كالكوليرا والتيفوئيد والجدري وغيرها، وانتشر الفقر والمجاعة والتسول والإنحلال الخلقي[284].ووضح جوهرية الظلم السائد والبائد في سلوك جاره ميخائيل الذي علق صورتين للسلطان عبد الحميد الثاني ومحمد رشاد في مرحاضه وكان يذهب ليضربهما بحذائه قائلا:

"إنكم ترهقوننا بضرائبكم " [285] .

هذا يفسر أن ميخائيل قد جمع الصورتين لعهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي فرحنا بزواله ومحمد رشاد الذي فرحنا بقدومه، مرحلة فرح بها جوهرية وهي إعلان الدستور وخلع السلطان عبد الحميد الثاني، ومرحلة لم تطل كثيرا حتى شكونا من كثرة ألضرائب والتكاليف الحربية، وضرب ميخائيل للصورتين بحذائه مؤشر واضح، لآلية جديدة في تعامل العرب فيها مع الحكام العثمانيين.

وصورة أخرى لهذا التوافق والتباين لشخصية عرفت بنضالها الفكري والوطني في المجال السياسي، ألا وهو خليل السكاكيني، الذي كان متحررا بفكره وحياته، وثار على الحكم التركي، فقد تلمس قسوة الحكم السلطاني ونظامه وتجرع مرارة حكم السلطان عبد الحميد الثاني[286].وأضطر للإغتراب القسري عن وطنه، وعندما بلغ خبر الإنقلاب وخلع السلطان وإعادة الدستور عام 1908م، وهو في نيويورك وقال:

"الآن أستطيع أن أخدم بلادي، ألآن نستطيع أن نرفع أصواتنا، لينعم بالك يا سوريا " [287].

هذا تصوير واضح إلى مدى قسوة الحكم السلطاني، فقد كبتت الحريات ومنعت الصحافة، وطورد المنتقدين للسطان ونظامه وعم الإستياء سوريا كافة وكانوا ينتظرون ساعة الفرج القريب، التي جاءت بإعلان الدستور وخلع السطان عبد الحميد الثاني عام 1908م.

---

[283].جوهرية، وا صف. **مصدر سبق ذكره.** ص105.
[284].حجاوي، سلافه. **مصدر سبق ذكره**. ص96.
[285].نصار، عصام. **مصدر سبق ذكره.** ص10.
[286].صالح، جهاد أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص298.
[287].السكاكيني، خليل. **"كذا " مصدر سبق ذكره .** ص78.

عاد خليل السكاكيني إلى البلاد وانضم بفكره إلى جمعية الإتحاد والترقي على يد توفيق الطبنخا، ومنحت له بطاقة وأقسم على أن يحافظ على الدستور ويسعى لرفع راية الوطن، وأن يقوم بما تعهد إليه جمعية الإتحاد والترقي[288].ولكن سرعان ما إستاء خليل السكاكيني من سياسة الإتحاديين رغم أنه إتحادي، وأكثر ما أثارة حادثة التنقيب عن الآثار في الحرم القدسي الشريف، من قبل ألإنجليز وبمعرفة الحكومة العثمانية وموافقتها، واكتشفت ذلك إدارة الوقف الإسلامي، واستنفرت النخبة المقدسية ولحق بها العامة لإيقاف ذلك. وهذا تعبير واضح عن بعثة قومية عربية صاعدة، ورغبة اكيدة في التحدي، تحدي السلطات الأعيان في إسطنبول على طريق الاستقلال عن الحكومة الأعيان في إسطنبول.

وكتب جوهرية في يومياته في 1914/9/15أي قبل الحرب بشهر ونصف واصف القدس قائلا:

"الناس لا يقرأون غير التلغرافات، فأكثر الصحف والجرائد ألمحلية عطلت والصحف الدنيئة منعتها الحكومة من الدخول "[289] .

وزاد تململ خليل السكاكيني من سياسة جمعية الإتحاد والترقي، بسبب تسهيلهم الهجرة اليهودية إلى فلسطين، غير مدركين أبعادها ومخاطرها، وأشار إلى ذلك في مقالة في شباط عام 1914م قال فيها:

"إذا كنت أكره الصهيونية، فلا أكرهها إلاّ لأنها تحاول أن تبني وجودها وإستقلالهاعلى حساب وانقاض غيرها، ولست أعجب إلاّمن الحكومة العثمانية التي ترى ذلك ولا تتلافاه "[290].

ثار السكاكيني على الوجاهات والزعامات التقليدين في فلسطين، وعلى الكنيسة اليونانية وعلى الظلم والإستبداد ونادى بالحرية وأوصى ابنه قائلا:

"لا تسكن بلادا إلا لسبب واحد وهو أن تكون مهدا للحريات "[291].

وفي عام 1915م قررت الحكومة إبعاده عن القدس، بتهمة إيواء يهودي إسمه والترليفين قد إستجار به، وسجن في دمشق، رغم أنه حصل على إذن من متصرف القدس عزت بك، إلاّ أنه قال:

---

[288].ألسكاكيني، خليل. **"كذا "مصدر سبق ذكره.** ص79.
[289].السكاكيني، خليل. **"كذا" مصدر سبق ذكره**. ص80.
[290]. الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص14.
[291].السكاكيني، خليل . **"كذا" مصدر سبق ذكره.** ص90.

"قرروا إبعادي دون غيري، ترى ما هو ذنبي أكوني مسيحيا ميالا لبريطانيا وفرنسا وروسيا، والثاني كوني مدرسا أبث في نفوس الطلاب الروح الوطنية، وكذلك ما سودوه أصحاب العلائق والدسائس " [292].

حتى أن الشيخ عبد القادر المغربي قالوا له الإتحاديين :

"نعجب لعلائق الود بينك وبين السكاكيني فأنت إتحادي وهو من دعاة النهضة العربية " [293].

ولخص السكاكيني معاملة الأتراك للعرب قائلا:

"جعلوا يضربوننا بأيديهم وأرجلهم ونحن ساكتون خائفون شنقت رجالاتنا وأثقلت عواتقنا بالتكاليف الحربية، فمتنا جوعا .....حتى أصبحنا سقط ألمتاع " [294].

وأشار إلى أن الإتحاديين قد أخذوا المسيحيين كزبالين إلى بيت لحم وبيت جالا، وأعطوا كل واحد مكنسة ومجرفة ووزعوهم في الطرقات والأزقة، مما جعل أحدهم يصيح بأعلى صوته، مين عنده زبالة، فكانت النساء تطل من النوافذ وهي تبكي ولا شك هذه هي نهاية الذل والمهانة وما مثلهم إلاّ الأسرى في عهد المصرين والرومان والآشورين.

وفي عام 1918م أطلق سراح خليل من السجن بكفالة، وخرج بتوجه نحو الاستقلال، وأن إستقلال الأفراد خير إستقلال. ودعا إلى الإلتحاق بالثورة العربية وانضم إلى جبهة الأمير فيصل، وكان خليل بشعر بالفرح والإبتهاج، ودعا بشكل واضح الإحتفال بالأول من شعبان من كل عام وهو يوم إعلان الثورة العربية كعيد إستقلال.ألا ترون أن اليهود يعيدون عيد الاستقلال منذ فاه بلفور بهذه الكلمة[295].إلتحق خيل السكاكيني بالثورة العربية بقيادة الأمير فيصل وساهم في عدة بيانات باسم الثورة بما فيها نشيد الثورة أيها المولى المفدى، وكان السكاكيني يحب القدس وعندما قطع البوادي ووصل إلى سوريا ومصر قال :

"موطني يشمل كل البلاد التي يتكلم أبناؤها العربية " [296].

كان خليل السكاكيني من دعاة الجامعة العربية وضد التفككية على المستوى العربي، عبر عن ذلك في اجتماع حضره كل من رشدي الإمام، أمين الحسيني، فخري الحسيني، سعيد الخطيب،

---

[292]. مسلم، أكرم."خليل ألسكاكيني إلى آخر القدس وإلى آخره"**حوليات القدس**.العدد9، ص43-56.
[293].الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص18
[294].صالح، جهاد أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص229.
[295].دروزة، محمد عزت. **مصدر سبق ذكره**. ص343.
[296].ألسكاكيني، خليل. **"كذا" مصدر سبق ذكره.** ص156.

زكي أبو السعود وابو الفضل محمد إسعاف النشاشيبي، ماعدا الذين حضروا وذهبوا وكان موضوع الجلسة الجمعية الإسلامية المسيحية، وقال موضوعنا:

"على ثقة ضممناهم لنا وآزرناهم وإلاّ فلا "[297].

ولحق بهؤلاء النخبة الذين كان لهم موقفا من النظام السياسي العثماني، إحسان الترجمان الذي ولد ومات في القدس، وتجند في الجيش العثماني يوم النفير العام في 1914/7/14م، وكان عمره إجدى وعشرون عاما، خدم في الظاهرية ونابلس وأخيرا استقر فيه الأمر في مقر القيادة للعسكر العثماني. وكتب يوميات وهي سجلا غنيا للقدس في الفترة بين 1915-1916م وذلك لأن إحسان كتب هذه المذكرات من أجل الكتابة .

كان إحسان الترجمان رغم صغر سنه على علاقة مميزة مع النخبة المقدسية، كان يلتقي مع ألحاج أمين الحسيني، واسحق درويش، وعبد القادر المغربي، ومحمد إسعاف النشاشيبي وحلمي الحسيني في بيت خليل السكاكيني وبحثوا أيام محمد عبده وقاسم أمين وناقشوا حالة الدستور قبل وبعد عام 1908م، وبحثوا أيام محمد عبده وقاسم أمين وهذا مؤشر على أن الحاضرين مقتنعون بتيار الإصلاح.

وأكد إحسان الترجمان الجندي العثماني موقفه من الدولة الانجليزية في مذكراته في 1915/9/25م في حملة قناة السويس قائلا:

"هل تريد الدولة الإنجليزية البربرية، أن تذهب وتمتلك مصر على ظهورنا، هل يصير الأهالي يطعنون بمن خطى خطوة واحدة في سبيل تخليص مصر؟ أأذهب هناك وأهدر دمي؟ إن حياتي والله عزيزة، لو كانت الدولة راقية وعاملتنا معاملة حسنة فأنا ومالي وحياتي وكل شيء فدا الوطن، ولكن على ما نحن فيه، نقطة واحدة من دمي تساوي جميع مافي الدولة التركية[298]*"* .

لم ترى القدس أياما أصعب من أيام الحرب العالمية الأولى، من جهة الأكل والشرب، انقطع الخبز والقمح، والنساء والأطفال يتسكعون في الشوارع يبحثون عن الخبز أو أي شيء يخفف رمق الجوع، والأهالي يتصارعون مع الكلاب في الحصول على الفتات، والناس ينتظرون ساعات طويلة أمام المخابز ويقول إحسان الترجمان:

"وزعت البلدية الخبز الأسود ولم أرى مثله في حياتي "[299].

---

[297].الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص69 .
[298]. تماري، سليم. **مصدر سبق ذكره**. ص262.
[299].تماري، سليم. **مصدر سبق ذكره.** ص319

هذه ظروف القهر والفقر والمصائب والمجاعات التي رافقها غزو الجراد والحرمان، كل ذلك من أجل الجيش بينما عاش الضباط حياة ألترف والبذخ بين الأهلين. واضح أن إحسان الترجمان شاب مسلم عربي، إلاّ أنه يكره الدولة العثمانية لا لسلوك جنودها وضباطها وفسادها في البلد، بل لأنها لا تعامل العرب كشركاء في الدولة ويقول رغم أنه جنديا عثمانيا :

"أنا لست عثمانيا " [300].

حقيقة الترجمان عاش بشائر الكارثة المقبلة، وشاهد الجوع وإختفاء الموادالغذائية، وتدني الدخل وفقدانه، حتى أصبحنا نسمع صدى المقولة التي تصف الحرب العظمى، أن الوظيفة الأخلاقية للحرب، كانت إستعادة ألبشر لحقيقة مهيمنة على وجودهم كسلسلة من الماس اللافتة للنظر، من جوع إلى مرض إلى تحرر إلى إستقلال، عن جسم الدولة العثمانية بعد ألإنهيار. فقد كانت القيادة الهاشمية تفكر بالثورة وإعلان الاستقلال، ولا شك أن الجناح المؤيد لسوريا، والوحدة معها كان له الوزن، وكان يمثله حزب اللامركزية الذي نادى بالاستقلال الذاتي للأقاليم العربية وكان ممثلا للمجموعات الإنفصالية مثل جمعية العربية الفتاة والعهد وغيرها وكان في فلسطين ما يمثل هذا التيار مثل عوني عبد الهادي ومحمد عزة دروزة عميدي حزب الاستقلال الذي نادي بأن فلسطين إقليما جنوبيا لسوريا المستقلة. وقد إفتخر إحسان بإنتمائه العربي قائلا :

"باركك الله أيها الشريف، إنكم أيها العربان برهنتم للعالم أجمع أنكم رجالا لا ترضى الذل والهوان " [301].

وفي نهاية المطاف إنتهى إحسان الترجمان على يد ضابط تركي أطلق عليه ألرصاص أثناء إنسحاب الجيش العثماني من القدس فأرداه قتيلا، في 9 كانون أول من عام 1917 م، وكان عمره خمس وعشرون عاما، وانتهى بذلك أحد العناصر ألكارهة والمحتجة على السلطات العثمانية بعد الدستور[302].

مما ذكر نلاحظ أن المزاج العربي قد بدأ يتغير، نحو العداء للأتراك وما وصفه أحسان في يومياته، لا تعبر عن وجهة نظر شخصية وإنما كان على علاقة مميزة مع رئيس بلدية القدس حسين الحسيني وكان زائرا منتظما إلى بيت خليل السكاكيني، وبالتالي على تواصل مع الحلقة الأوسع من الأصدقاء .

أمّا مواقف النخبة من رجال الدين والمشايخ، وموقفهم من النظام السياسي العثماني، وعلى رأسهم الشيخ عبد القادر المظفر، الذي ولد في القدس، وكان أحد الذين يلبسون العمامة على رأسه،

---

[300] .حجاوي، سلافه. **مصدر سبق ذكره.** ص97.
[301] .نصار، عصام. **مصدر سبق ذكره.** ص97.
[302] .تماري، سليم. **مصدر سبق ذكره.** ص 61.

مفتيا للجيش العثماني في أواخر عهد الدولة العثمانية، وعضوا بارزا في جمعية الإتحاد والترقي، ورئيسا لجمعية ألإخاء والعفاف المقدسية وكان لسان الدولة في الحرب العظمى، حيث حرض على الجهاد ضدأعداء الدولة التقليدين – بريطانيا وفرنسا وروسيا– وفي1914/11/18م، خرج ينادي للإجتماع في ساحة الحرم القدسي الشريف لإعلان التأيد للدولة وهو القائل أمام الجماهير الحاشدة أمام العمارة الروسية:

"هذا معهد الدولة الظالمة الجائرة الملعونة، كم أساء هذا المعهد للعثمانيين والإنسانية لتسقط الدولة الروسية ولنحمي الدولة الألمانية " [303].

رافق حملة السويس وتقرب من جمال الصغير عندما تولى قيادة الجيش الرابع بدل جمال باشا وتنقل في المناصب العالية وتوسط لإطلاق سراح بعض المعتقلين مثل السكاكيني، وسعيد الكرمي ومحمد الشريف، وعندما خرج الأتراك من البلاد مهزومين، التحق الشيخ فورا بالثورة العربية تحت أمرة الأمير فيصل بن الحسين، وتولى الشيخ النادي العربي الذي أصبح مسرحا لنشاطه السياسي وترأس وفدا لجمع التبرعات من الهند لصالح الثورة العربية .

نلاحظ كيف تقلب الشيخ في المراكز والمناصب وفي الوجوه، كان موظفا عثمانيا وإتحاديا ومفتيا للجيش ولسانا حادا ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا وسرعان ما وقف إلى جانب الثورة العربية المساندة والداعمة للحلفاء وأعداء الدولة التقليديين، الذين قال عنهم :

"إنهم أعوان الظلم بل هم الظلم بأعينهم " [304].

وكثيرون من أعضاء النخبة، كانوا في النظام السلطاني الحميدي يحتلون مناصب ومراكز، وعندما جاء الدستور وحصل الإنقلاب على السلطان نعتوا السلطان باشد الصفات وأصبحوا إتحاديين أكثر من الإتحاديين أنفسهم ولكن بعد هزيمة تركيا في الحرب العظمى، وسياسة الإتحاديين التي بثت في النفوس ألإشمئزاز، سرعان ما إلتحقت هذه النخبة بالثورة العربية ومن هؤلاء سعيد الحسيني الذي عمل في قسم الرقابة للصحف العبرية، ورئيسا لبلدية القدس، وعضوا في مجلس المبعوثان العثماني، إلاّ أنه انتقد الحكومة على تساهلها في محاربة الصهيونية، وانتقد الإتحادين والتحق بالثورة وأصبح وزيرا للخارجية في حكومة الأمير فيصل في سوريا. والشيخ راغب الخالدي الذي كان رئيسا لبلدية القدس وهو الذي أعلن الدستور عندما أخفاه المتصرف، كان مع الإصلاح والتغير، وأحمد عارف الحسيني عضو مجلس المبعوثان وعضو الإتحاد، حارب الصهيونية ونشاطاتها وقال :

---

[303].صالح، جهاد أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص16.
[304].صالح ، جهاد أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص17.

"أن الصهيونية تشكل خطرا على الدولة العثمانية بأسره".[305]

ولأنه لم يستجيب لتعليمات السلطات العثمانية إعتقلته وقادته إلى المقصلة وابنه ودفنا بالقرب من باب الأسباط[306].

هذه مجموعة من النخبة المقدسية التي قادت العمل الجماهيري الشعبي والإجتماعي والسياسي، في فترة أواخر العهد العثماني، ونرى كيف التقلب والتباين في المواقف والتوجهات، أصبحوا مؤيدين وأمسوا معارضين، كل ذلك تأثر بالروح القومية والوطنية والمصلحة الشخصية، ردا على السياسة الطورانية والتتريكية والظلم والغطرسة في المرحلة بين عام 1914-1919م، التي شرعت جمعية الإتحاد والترقي تنفيذها، وبعد أن تبين للنخب وأعضائها، أن إقناع رجال الإتحاد بالعدول عن هذه السياسة، وتطبيق المساواة بين العرب والأتراك كما وعدوا أكثر من مرة، أمرا غير ممكن، وزاد الطين بلة، ما أصدره المفكرون والأدباء والكتاب الأتراك، وحمل لوائها كل من جلال النوري الذي أصدر كتابا بعنوان – تاريخ المستقبل – دعا فيه إلى تهجير السوريين عن أوطانهم، وطالب بمعاملة ولايات اليمن والحجاز والعراق كمستعمرات تركية، وكذلك أصدر عبد الله كتابا بعنوان - قوم جديد – وهو مجموعة من الخطب التي القيت في المساجد، دعوا فيه إلى تمجيد قادتهم مثل هولاكو وجنكيزخان، وتعليق أسماء أنور وجمال وطلعت في المساجد بدلا من الخلفاء الراشدون، وإلحاق رضي الله عنه خلف اسمائهم. وكثرت الأناشيد التي تمجد التاريخ التركي والداعية إلى غرس روح الإستعلاء في النفوس، واصدر كذلك عبد الله مجلة للحط من قيمة العرب وتاريخهم[307].

هذا على المستوى الشعبي والثقافي، أمّا على المستوى الرسمي والقيادي، حصلت مشادة بين بين طلعت باشا وشفيق المؤيد، بسبب حقوق العرب والمطالبة بها، فقال طلعت باشا كلمة نابية بحق العرب، فما كان من شفيق المؤيد إلاّ أن صفعه على وجهه ووقع جرائها على الأرض[308]. وكذلك صرح أنور باشا لجريدة التايمز، بأن الإتحاديين يريدون جيشا وطنيا لا جيشا إسلاميا وأنه لا محل للجامعة الإسلامية في خطة الإتحاديين[309].

---

[305]. الناصر، معتصم حسن أحمد. **مصدر سبق ذكره .** ص30.
[306]. مناع، عادل. **"أعلام فلسطين" مصدر سبق ذكره** . ص103.
[307]. الغامدي، سعيد سعد سفر. **مصدر سبق ذكره**. ص156.
[308]. دروزة، محمد عزت. **مصدرسبق ذكره**. ص182.
[309]. الغامدي، سعيد سعد سفر. **مصدر سبق ذكره**. ص160.

مواقف النخبة المقدسية من العهدين بين المصالح الشخصية والإنتماءات الأيدلوجية

كان حزب جمعية الإتحاد والترقي في عام 1908م، بلغ حوالي 83 فرعا وحوالي 85 الف عضو في مختلف أنحاء البلاد، بعضهم إنضم لقناعة وقسم كبير منهم خضع لعدة عوامل منها، الضغط والخوف وحب الإستطلاع، فعلى سبيل المثال خليل السكاكيني، عرض عليه الإلتحاق بالجمعية وبعد تردد وافق، وأقسم على خدمة الجمعية وحمل بطاقة العضوية، ولكن لم يكن هناك ما يشير إلى أن خليل السكاكيني كان عضوا فاعلا في الجمعية، وحقيقة بعد مدة قليلة من أداء القسم أصبح داعيا إلى القومية العربية في الوطنية السورية، ورغم شعارات الجمعية المساواة بين العرب والعثمانيين، إلاّ أن طلعت باشا وهو من كبار رجال الجمعية قد صرح في اجتماع للجمعية في سالونيك عام 1910م قائلا:

"لن يكون هناك بحث في قضية المساواة قبل أن ننجح في عثمنة – تتريك – الدولة العثمانية "[310].

وفي نهاية حكم الدولة العثمانية، وقعت في ظل نظام إقتصادي سيء، فالأراضي الزراعية الخصبة هي ملك السلطان، يمنحها لمن يشاء، والأتراك يعتبرون فلسطين وسوريا سلعتهم الغذائية، وكانت الضرائب تجنى بطريقة المزاد العلني والريف يخضع لسيطرة الإقطاع، والوالي يحكم المدن وعندما أعلنت الحرب العالمية الأولى، أخذت الحكومةالعثمانية حصتها من الغلال وارتفعت الأسعار أضعافا وصودرت الماشية والموادالغذائية وقطعت الأشجار المثمرة واستخدمت العمال بالسخرة ، ونتيجة لهذا الواقع المؤلم ما كان العرب إلاّ أن تطلعوا إلى الخلاص من حكم الأتراك.

كانت الأعوام الثلاثة السابقة لسقوط القدس، من أصعب وأقسى الحقب التي مرت بالمدينة، إذ تضافرت الطبيعة مع الحرب والمجاعة على أهل المدينة، ففي عام 1915م، قصف الأسطول البريطاني السواحل السورية، وتم تهجير السكان إلى المدن الداخلية بما فيها القدس الشريف، واستمر التنكيل بأتباع التيار اللامركزي بين العرب والأقليات، وبدأت المجاعة والقحط ويصف عزت طنوس قائلا:

" كنت أمر يوميا من الثكنة العسكرية في رأس بيروت إلى مركز المدينة – ساحة البرج- وأجد عشرة إلى خمسة عشرة جثة ملقاة على الطريق تنتظر عربة

[310]. نصار، عصام . **مصدر سبق ذكره.** ص11.

البلدية لتنقلها حيث الدفن، وفي القدس أصبح الإقتصاد والمواد الغذائية هاجس الناس وكانوا ينشدون أنشودة المجاعة " [311].

وكانت البلاد تعاني من الأثار السيئة التي لحقت بها من الحركة الصهيونية، وأكثر ما عانى منها فئة الفلاحين ويقال أن جرجي زيدان زار فلسطين عام 1914م وشاهد ما شاهد وقال:

"إن مستقبل هذه البلاد أذا ظلت على ما هي عليه من إبتياع الأرضين واستعمارها وأهلها غافلون وحكومتها ساكنة أو مشغولة فلا يمض وقت طويل حتى تصبح كلها لليهود".

وكتب يقول، لكن تسطتيع الحكومة ان تساعد الفلاحين لو أرادت، وتنقذهم من أيدي المرابين لو رغبت، وأعيان البلاد منصرفون إلى المسائل السياسية، والتنازع على المناصب والوظائف والبنايات، ولوصرفوا جهودهم إلى الناحية الإقتصادية لكان ذلك أقرب إلى الوطنية والاستقلال. وبالمحصلة الأخيرة فشلت الحكومة والنخبة في مقاومة الإستيطان بعضها خارج عن إرادتها والأخرى تقاعسها بين عامي 1908-1914م وهي فترة تغلغل الصهيونية في فلسطين. وبهذا الخصوص وجهت جريدة المفيد نقدا شديدا للنخبة المقدسية ودعتهم التشبه بالبيروتيين في المطالبة بالإصلاح ومقاومة الصهيونية، وأيد ذلك يوسف العيسى في مقالة بعنوان نقد المفيد، وقال أن لواء القدس:

"لا تهمه السياسة ولا يكترث بالأحزاب " [312].

وعلى أثر ذلك انقسمت النخبة بين مؤيد لجمعية الإتحاد والترقي وحزب الحرية والإئتلاف، وآخرون إستجابوا وأخذوا يسعون في تشكيل الجمعيات الفلسطينية، في مختلف أنحاء فلسطين ونتج عن ذلك جامعة عربية فرعية، إنبثقت عن الجامعة العثمانية هدفها إنقاذ فلسطين.

وقد تبنت جمعية الإتحاد والترقي السياسة الطورانية في وجه العرب، الذين كانوا ينادون بدولة عثمانية لا مركزية مؤلفة من شعبين، مطبقة أيدولوجية الجامعة الطورانية خاصة بعد هزائمها في البلقان الأولى والثانية وفي ليبيا، والعرب لم ينفضوا تماما أيديهم من الدولة العثمانية، إلاّ بعد عامين من الحرب[313].

وتطورت الأمور إلى الأسوأ، حتى أن القنصل الإسباني أنطونيودي قال :

---

[311] .جوهرية، واصف. **القدس الإنتدابية في المذكرات الجوهرية، الكتاب ألثاني من مذكرات الموسيقي واصف جوهرية 1908-1948م،** تحرير وتقديم سليم تماري وعصام نصار.القدس: مؤسسة ألدراسات ألمقدسية ،2005م، ص7.

[312] .عوض، عبد العزيز. **مصدر سبق ذكره**. ص136.

[313] .نصار، عصام. **مصدر سبق ذكره**. ص11.

"إن العرب غاضبون على الأتراك لأنهم يرسلونهم إلى الموت "[314].

ومن الملاحظ من أقوال القنصل أن وعيا قوميا بدا يظهر ويتنامى ولو كان ضعيفا، والدليل على ذلك تشكيل جمعية الهلال الأحمر برئاسة الحسيني من أعضاء لا يوجد فيهم تركيا واحدا، ردا على إقالته من قبل جمال باشا وتعيين تركيا بدلا منه شاكر طغرل رئيسا لبلدية القدس[315].

لقد زادت الأمور سوءا، وصار العرب يتجنبون الإختلاط بالأتراك، ويتحاشون الإجتماعات العامة والحفلات والشوارع، إبتعادا عن الشر وأصبح الناس ولاءهم للدولة مشكوكا به، والحقيقة أن كل خبر سيء من الحكومة مفرح لنا، وأكثرية الناس يدعون النصر للحلفاء على الأتراك وذلك لأنهم ابتغوا الاستقلال، وبقيت قلة باقية تدعوا النصر للاتراك[316].

ويصف أبو السعود كيف كانت عقلية الناس في الحرب العالمية الأولى يقول:

"الحكومة وزعت ملابس جديدة للحرب ومنها البرنيطة الأنورية وهي شبيهة بالبريطانية، وذهب احد الجنود إلى دائرة الأوقاف عند عمر طهبوب ليأخذ مخصصاته من قمح الخليل حملق به عمر وقال: هززت بدني والله لا أعطيك مخصصاتك وأنت تلبس هذه الكفروية".

هذا مؤشر واضح أن عمر وهو يمثل شريحة من المجتمع يرفضون الأنورية والبريطانية ويسعون إلى اللامركزية، في ظل الحكومةالعثمانية. مع كل هذا بقي التطلع نحو الدولة العثمانية قائما، والدليل على ذلك مجيء الأمير فيصل إلى سوريا في طريقه إلى الأستانة، ومكث فيها أسابيع واستقبله جمال باشا بمظاهر الفرح، ودعاه إلى المبيت في مقر القيادة العامة، إلاّ أنه آثر المبيت عند آل البكري في القابون، واطلع الأمير على أسرار الحركة القومية العربية في سوريا، والتقى بأبرز رجالات الجمعية العربية الفتاة، ونتيجة لدخول الدولة الحرب أصبح مستقبل الولايات العربية في خطر، وإذا كانت البلاد واقعة تحت أطماع الدول الأوروبية فإن الجمعية ملزمة أن تكون في جهة تركيا لتقاوم التدخل الأجنبي مهما تكن صوره[317].

وتمت الموافقة على أن يكون الشريف حسين زعيما وقائدا للثورة العربية، رغم أن مجتمع الجزيرة كان أقل المجتمعات العربية ثقافة ووعيا قوميا، لكن ألشريف كان أقوى الزعماء العرب، وأكثرهم صلة بالحركة الوطنية والعربية لوجود أبنيه عبد الله وفيصل في المبعوثان، والمواصلات بين دمشق والجزيرة أسهل من أي عاصمة أخرى، وعندما أعدم جمال باشا الدفعة الثانية من

---

[314]. نصار، عصام .**مصدر سبق ذكره.** ص12.
[315].نصار، عصام. **مصدر سبق ذكره.** ص13 .
[316].طنوس، عزة. **مصدر سبق ذكره**. ص78.
[317].أنطونيوس، جورج. **يقظة العرب.** دمشق: مطبعة الترقي،1946، ص258.

الاحرار كان الأمير فيصل في سوريا عند آل البكري، جاءهم رسول أخبرهم بما حصل فما كان من الحضور أن قرأوا الفاتحة على أرواحهم وقفز الأمير فيصل قائلا:

"طاب الموت ياعرب"

حيث جرحت هذه الإعدامات العرب في الصميم، وأخيرا أطلقت الرصاصة الأولى من مكة في 1916/6/10معلنة الثورةالعربية على الإتحاديين. وبويع الشريف حسين ملكا على العرب، رغم الخلاف بين جمال باشا والحسين، حيث أستنفر جمال قواته في الحجاز من أجل حملة إسترجاع قناة السويس، وطلب مساهمة الشريف شخصيا في الحملة، إلاّ أن الشريف شارك بقيادة ابنه علي، والخلاف الحقيقي نتج من رحم الأحداث، عندما حصل أحد معاوني الأمير علي، على وثائق سقطت من حقيبة والي ألحجاز وهيب باشا، تشير إلى وجود خطة دبرها وهيب مع اسطنبول للإطاحة بالحسين، حاول فيصل التوسط بين جمال ووالده ولكن دون جدوى، وراحت قوى ألإئتلاف تفكر بالإنفصال عن جسم الدولة العثمانية بعد الإنهيار[318].

وأخيرا طالت ايام الحرب، وطالت معها صور العذاب وزاد الفقر، بعد أن اتبع الأتراك سياسة إفقار البلاد وفتح الموت فاه، يلتهم أسراب الجائعين وأطفال ينبشون المزابل بحثا عن كسرة خبز أو قشرة موز، وأطفال يتسابقون مع الكلاب بحثا عن شيء يأكلونه وأطفال تنتفخ بطونهم وتقف شعورهم وكأنهم اقرب إلى السعادين.ويصف جوهرية يقول:

"خرجت من باب العمود في الصباح الباكر وإذ شاهدنا عربي مشنوق على خشبة المشنقة العالية الواقعة في الزاوية على الجهة اليمنى خارج باب العمود بصورة تقشعر لها ألأبدان"[319].

ويصف عارف العارف تلك الفترة بقوله:

"وحرب مستمرة ومسار إنقطع من التواصل والتفاوض واختزلت الذاكرة ألجماعية رويدا، بسبب همجية الحرب والتهجير والنفي والإعدام وبدأ محو ذاكرة أجيال متعاقبة ومتلاحقة لأربعة قرون من الزمان، من الحكم العثماني في إيجابياته وسلبياته واختصرتها الحرب وسياسية جمال باشا بعناصر ثلاث بقيت هي في الذاكرة، جمال باشا والسفر برلك، وأعواد المشانق في ساحة البرج ببيروت، وفي باب العمود في القدس، وفجأة تحولت الدولة العثمانية متعددة القوميات إلى دولة أتراك. لم يتوان جمال باشا مهددا بالفناء لكل من يعارض سياسة الإتحاديين، أمسك بالبلاد بيد

---

[318]. قايالي، حسن. **مصدر سبق ذكره**. ص271.

[319].جوهرية، واصف. **مصدر سبق ذكره.** ص163.

من حديد فتك بالرجال المخلصين وعلى رأسهم رجال اللامركزية، وأعدم الكثيرين من المقادسة مثل علي النشاشيبي وأحمد عارف الحسيني وسليم عبد الهادي ومصطفى أحمدعارف "[320].

حاولت جمعية الإتحاد والترقي أن تصفي وتحسن علاقاتها مع المجتمع المقدسي، وبناء عليه طلب نيازي من رئيس بلدية القدس أن يلتقي مع النخبة المميزة من أعيان القدس واللواء، وذكر الحرم القدسي الشريف وتأسف للخراب الذي حل به، وعدم إتمام العمل، وقال:

"أنا لا أميل إلى الإتحاديين ولا للإئتلافيين ، أميل فقط للأمة العثمانية ".

ثم تطرق للأهم في نظره منتقدا أعضاء النخبة ممن مثلوا في مجلس المبعوثان وقال:

"*ماذا عملوا يشكرون عليه، بل جروا الويل والهلاك لهذا اللواء* " فرد عليه رئيس البلدية حسين الحسيني قائلا:

"إن مبعوثينا الحاليين خير مبعوثين ونحن لا نريد غيرهم ولا يوجد عندنا خيرا منهم " [321].

ذكرت هذه الزيارة تحت عنوان لا نريد ولا يوجد. ونستنتج من هذه الزيارة أن نيازي أراد ان يخلق جوا من الألفة بين الحكومة والناس تعبئة للمرحلة القادمة إلاّ أنه اخطأ. في التعبير وهل كلامه يصب في صالح البلاد والعباد! إنه يعزز التوجه القومي، ويخلخل ألبناء الإجتماعي ،الذي كانت الدولة في أمس الحاجة له في تلك الفترة.

كان الفكر السياسي لجمعية الإتحاد والترقي يؤكد على المفاهيم الطورانية على ألمستوى الداخلي والخارجي والطورانية نسبة إلى وطن الأتراك جبل طوران الوقع شمال شرق إيران[322]وإشتدت النعرة الطورانية عند الشباب الأتراك، وغيروا أسماءهم القديمة بأسماء جديدة، وأقاموا ألمراكز والأندية وسموها باسماء تركية قديمة هدفها نشر الروح الوطنية التركية والطورانية ألمستهدفة وأعلاء العنصر التركي على العناصر الأخرى والفوا القصائد والأناشيد التي تمجد جنكيزخان وهولاكو[323].

وتقمص هذا الدور الكتاب والأدباء والشعراء وكان من أبرزهم الشاعر محمد أمين التركي الذي قال :

"أنا تركي وأن التركية هي ديني وعنصري ونحن الأتراك مع هذا الدم والاسم نعيش" [324].

---

[320].العارف، عارف. **مصدر سبق ذكره**. ص318.

[321].العيسى، يوسف ."لا نريد ولا يوجد" **جريدة فلسطين** .العدد 107، 18كانون ثاني – 31كانون ثاني 1912م ،الموافق 12 صفر 1330هـ، ص1.

[322].ألصلابي، علي محمد. **مصدرسبق ذكره**. ص714.

[323].ألنعيمي، أحمد نور.**الحياة السياسية في تركيا الحديثة 1990-1938.** بغداد: 1990م، ص40.

[324].دروزة، محمد عزة. **مصدر سبق ذكره**. ص193.

وأخذ الشباب التركي يضطهدون العرب لا لشيء بل لأنهم عربا يشتغلون في مناصب الدولة، وكانوا يضعون أمام كل عربي حرف-ع- وينتهزون الفرصة الأولى لفصله، والعمل على إقصائه، أوعلى الأقل نقله إلى أطراف الدولة، وسرت هذه الحركة على الجيش وضباطه ، فبعد أن كانوا يستيقظون على آذان الصباح أخذوا يوقظونهم على أجراس نشيد الدب القطبي الأبيض[325].

وبالإتجاه الآخر أخذ الشباب الأتراك يتقربون من اليهود والأرمن ويحتقرون العرب ويبتعدون عنهم كذلك حالة العرب، وكان الطلاب الأتراك ينشدون ألأغاني في مدح جنكيز خان وتيمورلينك، والطلاب العرب يذكرون صلاح الدين وخالد بن الوليد قائلين نيل عزت العرب من أمة تركية. وتم دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا، في 1914/8/5م، ووزعت على المخاتير مغلفات وطلبت عدم فتحها إلاّ بأمر، وشعر العرب أن الخطر على الأبواب والحرب قادمة لا محالة والأتراك منهوكي القوى، من الدستور إلى حرب البلقان الأولى والثانية وانسلاخ ليبيا وجاءت الحرب العالمية الأولى، وفي 11 تشرين ثاني 1914م، أعلن شيخ الإسلام والحكومة العثمانية الجهاد المقدس ضد أعداء تركيا وضربت الطبول وامتشقوا السيوف واغلقت الحدود وارتفعت الأسعار.

ورغم الخلاف إلاّ أن الشباب العربي لبوا النداء، ولبسوا الثوب العسكري العثماني بكل فخر وإعتزاز، ولم يتأخر لا فقير ولا غني، وساق العثمانيون طلاب المدارس العليا ودربوهم ثلاثة شهور وخرجوهم ضباط إحتياط، وكانت الحكومة العثمانية أمام خيارين كلاهما مر، مال بعضهم إلى الحلفاء مقابل إلغاء الإمتيازات، وإعادة ألجزر اليونانية وحل القضية الدناءة وتعهد بريطانيا وفرنسا بعدم السماح لروسيا بالتدخل في الجولة العثمانية، إلاّ أن تركيا شعرت أن هناك مماطلة في الرد، زاد ميلها إلى ألجانب الألماني[326].

دخلت الدولة الحرب العالمية الأولى إلى جانب المانيا، وأعلن الجهاد المقدس في إحتفال مهيب من عند قبر الرسول محمد، ونقلت الراية المباركة إلى دمشق ومنها إلى القدس وختمت بالصلاة في المسجد ألأقصى، وقد صلى معهم جمال باشا الذي وصل إلى سوريا قائدا للجيش الرابع في بلاد الشام،سعى في البداية لتحسين العلاقة مع العرب، وألقى هذا ألنفس الطيب في النفوس، المليئة بالحماس مستندة إلى مظاهر الود والإحترام، ووصف جمال باشا إستقباله في سوريا قائلا :

"إنهم يظهرون وطنية كبرى وإخلاصا وإمتلأ قلبي سرورا "[327].

---

[325] .لطفي، محمد جمعة. **مصدر سبق ذكره**. ص226.

[326] .البرغوثي، عمر صالح. **مصدر سبق ذكره**. ص155.

[327] .باشا، جمال أحمد. **مذكرات جمال باشا**. تعريب جمال أحمد شكري، بغداد: 1990، ص246.

وقرب إليه الإصلاحين وزعمائها مثل عبد الكريم خليل قاسم، واستمال محمد كرد علي، والعرايسي وآخرون وقال جمال باشا:

"الأماني التركية والعربية لا تتعارضان والعرب والترك ليسوا سوى أخوات في غاياتهم الوطنية " [328].

وطمأن المسيحين عندما قال :

"إن أعداء الإسلام هم البريطانيون والفرنسيون والروس، أمّا مواطنونا فهم أخوة في وطن مشترك " [329].

وكان هدفه النجاح في حملة قناة السويس، وشارك العرب إخوانهم الأتراك في هذه الحملة وكانوا كتفا بكتف، حتى أن جمال وصفهم قائلا:

"لقد ساد بين رجال الحملة – لا فرق بين الأتراك والعرب – شعور العطف الأخوي " [330].

ولكن عندما فشلت الحملة كشف النقاب عن وجهه، ونفذ احكام الإعدام بحق القادة العرب في بيروت في آب عام 1915 ثم في دمشق عام 1916م ، واعتبرهما رسالة واضحة إلى كل من يفكر بمخالفة تعليماته، ولن يتسامح مع أية ميول قومية وسرعان ما شكل المجلس الحربي في عاليه بلبنان، لتنفيذ الأحكام في العديد من الإصلاحيين، ولحقها تنفيذ إعدامات عشوائية في مدن سوريا ولبنان وفلسطين والقدس، ففي القدس نفذ حكم الإعدام بإثنى عشر وطنيا دفعة واحدة، مثل علي النشاشيبي واحمد عارف الحسيني وابنه مصطفى أحمد عارف، لم يكن هؤلاء إلاّ دعاة حرية وإستقلال[331].

وقال جمال باشا لسلام الخالدي:

" أرأيت مايقوم به أصحابك الإصلاحيين ؟ فأجابه سلام: "والله ياباشا الإصلاحيون فيهم الصالح والطالح ، كما أن الإتحاديين فيهم الصالح والطالح، وهذا أمر لا يستدرك في أي مؤسسة وطنية " [332] .

أسرها جمال في نفسه واعتقله عندما عاد من إسطنبول في إجازة ولولا توسط والي بيروت لما أطلق سراحه[333]. لم يكن غريبا على جمال باشا فقد نفذ وعمل بوحي الفكر الطوراني، ظنا منهم بأن ذلك سيدعم تماسك أجزاء الدولة وإتحادها، عندئذ بدأت بوادر الخلاف العربي التركي ويروي

---

[328] .باشا، جمال أحمد. **مصدر سبق ذكره.** ص248.
[329] .أنطونيوس، جورج. **مصدر سبق ذكره**. ص235.
[330] .باشا، حمال أحمد. **مصدر سبق ذكره**. ص248.
[331] .عزت، طنوس. **مصدر سبق ذكره.** ص26.
[332] .الخالدي، عنبره سلام. **جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين.** بيروت: دار النهار، 1978، ص102.
[333] .الخالدي، عنبره سلام. **مصدر سبق ذكره.** ص103.

ابو السعود، أنه بعد أن أعلن ألشريف حسين الثورة على الأتراك عام 1916م، كان وقتها طالبا في دار المعلمين في القدس، دخل نائب مدير المعهد على الطلاب قائلا لهم:

"إن شريف مكة يحارب الدولة العثمانية في أحرج أوقاتها فهذا عاص ويجب إعدامه"

وصار يتفوه بكلمات نابية بحق شريف مكة، قال له أحد الطلاب :

"شريف مكة قام ضد الحكومة لأننا يوميا نأتي باب العمود فنرى أربعة أشخاص مشنوقين، أحسنوا للعرب فالعرب تكون معكم" .فقال:

"إذن أنت معه ومن حزبه" فهجم على الطالب وطرحه أرضا وصار يدوس برجليه إلى أن أغمي عليه، وكان عمر الطالب في السادسة عشر من عمره، وحوكم كذلك بجلده أربعين جلدة لصغر سنه[334].وهذا دليل على إنقسام الرأي في الشارع بين مؤيد للإتحاديين كونهم يحمون الدولة والخلافة والدين، وآخرون من الشباب الذين يكرهون ممارسات بعض القادة الإتحاديين أمثال جمال باشا، في التنكيل بالإصلاحيين، ورجال الجمعيات التي تطالب أو تفكر بالاستقلال حتى ولو كان ما يطلبونه لا مركزيا.

وأشار في هذا الخصوص المكتب العربي- مؤسسة عسكرية بريطانية – مقرها القاهرة في مطلع عام 1917م، ويؤكد هذا التقرير أنه ليس في فلسطين أحد بإستثناء الألمان يحب الأتراك، وتعتبر فئة الفلاحين المسحوقة أبعد الفئات عن محبتهم، أما الأسر الإسلامية المقدسية وفي طليعتها آل الحسيني والخالدي والداوودي، فهم موالين للبريطانين وترسل أبنائها للدراسة في المعاهد البريطانية، وإن ألمسلمين في القدس وضواحيها يحبون إخوانهم المسيحين ويكرهون اليهود وإن شئنا ألمزيد من التوضيح يكرهون الصهيونية[335].

وسرعان ما إنقلبت الآية وخاب ألرجاء، وشعر العرب بأن رجال جمعية الإتحاد والترقي وإن كانوا يتظاهرون بالعمل، لإتحاد العناصر وتأييد الوحدة العثمانية، إلاّ أنهم في الواقع كانوا يتآمرون على هذه العناصر، ويسعوون لإذلالها وقد أخذ هؤلاء يبذلون قصارى جهودهم في تقوية العنصر التركي[336].

كان لهذه السياسة التي إتبعها الأتراك والإتحاديون بشكل خاص، من فرض الإعانات من نقود وحبوب وحيوانات وكانت تفرض بالقوة، وتؤخذ من الغني والوسط والفقير، فكانت 50% من الأملاك و25%على الأرض، وكل شخص يدفع ربع ما عنده، بحجة التكاليف الحربية، ونقلوا الكتاب العرب إلى مناطق بعيدة، ونفوا العائلات العربية إلى الأناضول كالمؤيد والعظم والكيلاني

---

[334].حموده، سميح. "ذكريات ألمعلم ألمقدسي فؤاد أسعد أبوالسعود"**حوليات القدس.** العدد9، ص18-26.
[335].ألكيالي، عبد الوهاب. **مصدر سبق ذكره.** ص87.
[336].العارف، عارف. **مصدر سبق ذكره**. ص553.

وعبد الهادي والحسيني ويقال حوالي 300عائلة عربية قد نفيت، وزاد ألطين بلة إنتشار الجوع والمرض[337]. فباعدت هذه السياسة بين العرب والترك، ودفعت العرب باتجاه آخركما قال الجنرال الألماني فون ساندر:

"إن تأثير سياسة جمال باشا لم يحرم سوريا من الثورة بل زاد في الشعب روح الثورة."

وقال الأمير فيصل:

"أمّا السوريون فإنهم المسؤولون عن الحركة الثورية العربية لأنهم شوقوا الحجاز لهذه الحركة وإن ضغط الأتراك عليهم وما أتوه من الأفعال سيسطرها التاريخ ويخلد ذكراها بأحرف من ذهب "[338].

وردا على ذلك قام أعوان جمال باشا يحطمون لوحات المحلات التجارية ولوحات الأطباء والتي لم تكتب باللغة التركية ويجبرون أصحاب اللوحات تغير لوحاتهم لتغير حرف واحد مثل دكتور إلى دقتور.

وأخيرا إنتهت الحرب العالمية الأولى وكان النصر حليف الحلفاء، واحتفلت البلاد العربية بهذا النصر، خاصة القدس فكانت أسعد وأبهى أيامها، ترى الناس يرقصون ويهزجون، فرحين مسرورين مهنئين بعضهم بعضا، والذي يجلب النظر أن معظم شباب المسلمين والمسيحين كان أغلبهم في الجندية، قدغيروا ملابسهم بطريقة مضحكة خوفا من الجيش الإنجليزي[339].

ودخل الجيش الجيش البريطلني وبعدها دخلها الجنرال اللنبي، في 18كانون أول1917م أي بعد تسليم القدس على يد رئيس بلديتها حسين الحسيني، دخل اللنبي المنصة ومن حوله جنوده، يحملون أعلاما لثلاث دول، ولم يوجد العلم العربي، ويقول إميل غوري :

"سمعت أحد الشباب يقول لماذا لا يوجد العلم العربي بين الأعلام" ؟ رد أحد الضباط قائلا:

"إنه يوجد ضابط عربي يسمى جبرائيل حداد[340].

وثبت أنه موظفا يعمل في الحكومة البريطانية سابقا[341]. دخل الجنرال اللنبي إلى المنصة وسلم على مفتي القدس كامل الحسيني، ورئيس بلديتها حسين سليم الحسيني وبعض المدوعيين، وبدأ الجنرال خطابه وأتم بيانه، إستاء المفتي ورئيس بلدية القدس للغطرسة التي أظهرها اللنبي،

---

337. قاسمية، خيرية. **الحكومة ألسورية في دمشق 1918-1920م**.ط2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1982م.
338. قدري، أحمد. **مذكراتي عن ألثورة العربية الكبرى**. دمشق: 1993م، ص110.
339. جوهرية، واصف. "نهاية عهد وبداية عهد". **حوليات القدس**.العدد3 ، ربيع ،2005، ص39.
340. الغوري، إميل . **فلسطين عبر ستين عاما**. بيروت: دار النهار للنشر،1973م، ص28.
341. الغوري ،إميل. **مصدر سبق ذكره**. ص29.

وللكلمات والعبارات التي تفوه بها، فاحتج كلا من المفتي ورئيس بلدية القدس تاركين المنصة منسحبين ولحق بهم أناس كثيرون محتجين على هذه التصرفات[342] .

كان العرب يرحبون بالجنود والضباط الإنجليز، ولكنهم أخذوا يطلبون الخمرة والنساء، ردوهم بالحسنى وبدأ الأهالي يقاطعون المقاهي والمحلات التجارية ويغلقون أبوابها حال سماع أصواتهم، وشكل الشباب خلايا شبابية لحراسة الأحياء والحارات، وتركت هذه الأعمال شيئا سيئا في النفوس، وبدأ الناس يدعون للمقاومة، مقاومة نشاط الحركةالصهيونية، ووعد بلفور، بالمظاهرات التي شاركت فيها جموع غفيرة وعلى رأسها كاظم الحسيني وعارف الدجاني، وانضم إليها المسلمون والمسيحيون، وعلا الهتاف عندما إلتقى بيرق شباب حطة وبيرق شباب الأرثوذكسي العربي، وتبعها مظاهرات في نيسان مستنكرين هذا الوعد ومقاومين له[343].

وأخيرا إن الأمة التي كانت تتململ بالأمس القريب من النير السلطاني، وقعت تحت نير الإتحاديين الطوراني، الذين صبغوا ألأقليات بالتتريك، وأصبحنا بعد مدة قصيرة نطلب الخلاص منهم، من عبوديتهم حتى وقعنا قي عبودية، إستعبدت الإنسان والأرض ووهبتها لمن تشاء، وهبتها للحركة الصهيونية في فلسطين، ووضع الإنجليز خنجرا في خاصرة الوطن العربي، مازال ينزف حتى الآن، و قالوا:

"إن الأمة التي تطلب الخلاص من عبودية فتقع في عبودية أخرى،لأمة ذليلة " [344].

وأصبحنا نقول ليت حالتنا القديمة ترجع.

---

[342].جوهرية، واصف. **مصدر سبق ذكره**. ص42.

[343].الغوري، إميل. **مصدر سبق ذكره.** ص39.

[344].نصار، نجيب. "العرب والأتراك"**الكرمل**.العدد 848، 3ايلول 1922م، الموافق9 صفر1340ه، ص1.

الخاتمة

تناولت الدراسة، الحديث عن الثابت والمتغير في مواقف النخبة المقدسية، من النظام السياسي العثماني من العهد الحميدي والترقي، والتوافق والتباين في مواقف النخبة المقدسية من التحولات السياسية، وكذلك مواقف النخبة المقدسية من العهدين بين المصالح الشخصية والإنتماءات الأيدلوجية.

ومن الملاحظ أن القدس بشخصيتها السياسية وفكرها وأحزابها، كانت جزءا من الحركة القومية العربية، وجزءا مكملا للشخصية العربية، وكان المجتمع المقدسي مكون من نسيج إجتماعي جيد، فالعلاقات ودية بين المسلم والمسيحي و حتى اليهودي، ،وكذلك إعتاد المسلمون مشاركة اليهود في الشطحة التي كانت تقام في الشيخ جراح ووصفها جوهرية قائلا:

"كنا نأكل البرازق والحلوى في مقهى السرور والبهجة تعلو الوجوه " [345].

ولكن رغم تعليق الدستور وحل مجلس المبعوثان من قبل السلطان عبد الحميد الثاني، إلاّ أن العرب عامة والفلسطينيون خاصة، كانوا على علاقة مع النظام العثماني تحت راية شعار الخلافة والجامعة الإسلامية والرابطة الدينية، واستطاعت غالبية أفراد النخبة من تحقيق المناصب والمراكز والنياشين المجيدية، بدءا من "يوسف ضياء" محمد الخالدي، مبعوث القدس الشريف، وكذلك طاهر الحسيني مفتي القدس، وروحي الخالدي عميد قناصل الدولة العثمانية، وعضو مجلس المبعوثان لأكثر من دورة، وهو الذي هاجمته الصهيونية فرد عليهم قائلا:

"إنني ضد الصهيونية ولكنني لست ضدالسامية " [346].

وفي أواخر عهد الدولة العثمانية بدأ التغيير، بدأ التغير واختلفت النظرة في أعين أفراد النخبة ضمن محاورمختلفة، فهذا "يوسف ضياء" محمد الخالدي، الذي عشق الدستور وأحبه وطالب به ودافع عنه حتى عرف عن آل الخالدي بحبهم للإصلاح والتغيير، وآخرون كانت مصلحته الشخصية والإنتماء الأيدلوجي، فوق كل الاعتبارات ناضل من أجلها وكتب الكثير من أجل تحقيقها، كنجيب عازوري الذي عمل موظفا في متصرفية القدس، واستقال من وظيفته وفر إلى القاهرة وبدأ يكتب في جريدة الإخلاص متهما الحكومة والإدارة بالفساد والرشوة، واتهم المتصرف بعلاقات مشبوهة مع البرت عينتابي زعيم الطائفة اليهودية في القدس. داعيا إلى إستقلال العرب

---

[345] .نصار، عصام. **مصدر سبق ذكره.** ص13.

[346] .صالح ، جهاد أحمد. **مصدر سبق ذكره.** ص299.

عن الأتراك ودعى إلى قيام الثورة العربية ونادى بإقامة سلطتين روحية وأخرى سياسية يختار لها مكانا مناسبا[347] .

وبعضهم كره الدولةالعثمانية لا لشيء، لا للفقر ولا للفساد ولا لسلوك الجنود والضباط، وإنما لعدم المساوة في المعاملة وعدم اعترافهم بأن العرب شركاء في الدولة مثل إحسان الترجمان– الجندي العثماني- الذي قال :

"*أنا لست عثمانيا* " [348].

ونموذجا آخر لم يعشق الحرية والإنسانية فلم يتحمل قساوة حكم السلطان مهاجرا فارا إلى أمريكيا وعندما سمع بالدستور عام 1908م قال :

"*لينعم بالك يا سوريا*" [349] .

إنه خليل السكاكيني الذي عاد والأمل يغمره وأصبح إتحاديا ولكن قساوة حكم السلطان عبد الحميدالثاني، والضرائب والفقر والتكاليف الحربية العالية، وعدم توفر الإنسانية تكللت بطرده من القدس، لا لشيء إلاّ لكونه مسيحيا ومعلما يبث في نفوس طلابه روح الديمقراطية والحرية حتى تساءل قائلا:

"*علام الحكومة تريد إبعادي عن القدس* " [350].

ثم تم سجنه في دمشق لإيوائه يهودي والترليفينان الذي استجار به، فبسبب انسانيته كاد أن يفقد حياته لولا توسط الشيخ عبد القادر المظفر لإطلاق سراحه وقال السكاكيني :

"*لكفاه فضلا لا ينتهي فخره* " [351].

والتحق خليل السكاكيني بالثورة العربية تحت قيادة الأمير فيصل، ليحارب بالسلاح والكلمة، ويعبر عن استيائه من الصهيونية وسياسة النظام العثماني، الذي لم يحترم إنسانية الإنسان. وبعضهم آمن بالإتحاديين وتشيع لهم، وكأنه واحد منهم أو أكثر حتى أنه أصبح إتحاديا أكثر من الإتحاديين كراغب النشاشيبي.

نستنتج من هذا أن غالبية النخبة بحثت عن تحقيق مصالحها بين واقع الرغبات وسقف الطموحات، وان معظم النخبة لم تتجرأ على مواجهة النظام السياسي ولكن تنتظر الفرصة للأنقضاض، فكانت العلاقة بين العرب والأتراك حتى السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى

---

[347] .مناع، عادل. **"أعلام فلسطين"مصدر سبق ذكره.** ص259.

[348] .حجاوي، سلافه. **مصدر سبق ذكره.** ص97.

[349] .السكاكيني، خليل. **"كذا "مصدر سبق ذكره.** ص34.

[350] .السكاكيني، خليل. **"يوميات" مصدر سبق ذكره.** ص96.

[351] .صالح، جهاد أحمد. **الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والادبية في فلسطين – الشيخ عبد القادر المظفر 1880-1949م.** ط1.رام الله: منشورات الإتحاد (الكتاب والأدباء الفلسطينين)،2010م، ص9.

مقبولة، ولكن بدأت تتوتر بعد فشل حملة قناة السويس، واشتدت النعرة الطورانية وإعلاء العنصر التركي واضطهادهم للعرب لا لشيء، وإنما لأنهم عربا فسبوهم وشتموهم ونعتوهم بأسماء وألقاب سيئة مثل أكليزعرب – أغبياء العرب- وانقطع الأمل على لسان أحد قادة جمعية الإتحاد والترقي طلعت باشا الذي عبر عن الوجه الحقيقي للجمعية قائلا:

"لا مجال للبحث عن قضية مساواة العرب مع الأتراك إلى أن ننجح في عثمنة – تتريك – الإمبراطورية "[352].

[352].السكاكيني، خليل. **"يوميات" مصدر سبق ذكره.** ص203.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر الاولية:

أ- الصحافة :

صحيفة الكرمل: منذ عام 1908 .

1.خوري، قيصر."الكتاب الأبيض". **جريدة الكرمل**. العدد749،21 أيلول1921م، الموافق18محرم 1339هـ.

2.نصار، نجيب." العرب والأتراك". **جريدة الكرمل**. العدد 848، 3ايلول 1922م، الموافق 9 صفر1340هـ.

صحيفة فلسطين: منذ عام 1911م.

1.أبوابراهيم. "دور الرعب" **جريدة فلسطين** .العدد96 ،7كانون أول - 20 كانون أول 1911م، الموافق 29 ذي الحجة 1329هـ.

2.العيسى، يوسف. "إسبوع القدس ولسوف يرضى "**جريدة فلسطين**.العدد65 ،20 آب-1أيلول 1911م، الموافق 9 رمضان 1329ه.

3.العيسى، يوسف."السر في الرأس" **جريدة فلسطين.** العدد 332/229، 10-23 نيسان عام 1913م، الموافق 17 جمادي الأولى 1331هـ.

4.العيسى، يوسف."زيارة متصرف القدس" **جريدة القدس**.العدد163/162،4 آب-17آب، 1912م، الموافق 4 رمضان 1330هـ

5.العيسى، يوسف. "سرقة" **جريدة فلسطين**. العدد252، 26 حزيران – 9 تموز 1913م، الموافق 5 شعبان 1331هـ.

6.العيسى، يوسف. "سنونو والمبعوثان" **جريدة فلسطين**. العدد102، السبت 31كانون ثاني-13كانون ثاني 1912م، الموافق 23 محرم 1330هـ.

7. العيسى، يوسف."لا نريد ولا يوجد" **جريدة فلسطين**. العدد107 .18كانون ثاني -31 كانون ثاني 1912م، الموافق صفر1330هـ .

8.النشاشيبي، عثمان **."**إنتخابات المجلس العمومي**" جريدة فلسطين**. العدد241-244،29 أيار - 11حزيران 1911م، الموافق 22 شعبان 1329هـ.

9.النشاشيبي، عثمان."جروحنا الأربعة **" جريدة فلسطين.** العدد287 ، 2 تشرين الثاني1913م ، الموافق 9 ذي الحجة 1331هـ.

10.غزة، ق. ط."لواء القدس التعيس" **جريدة فلسطين**.العدد220، 12 اذار-27 شباط، 1913م ، الموافق4 ربيع الآخره 1331هـ.

ب: المذكرات والسير الذاتية :

1. الحسيني، سعيد ابراهيم. "من أخبار القدس وفلسطين في أواخر العهد العثماني"**حوليات القدس**. العدد15، بيروت: مؤسسة الدراسات المقدسية، ربيع – صيف، 2013.

2.السكاكيني، خليل. **يوميات خليل السكاكيني يوميات.رسائل.تأملات**.الكتاب الأول، نيويورك. سلطانه. القدس.1907- 1912م تحرير: أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2000.

3.السكاكيني، خليل. **يوميات خليل السكاكيني يوميات، رسائل وتأملات**.الكتاب الثاني، النهضة الأرثوذكسية، الحرب العظمى، تحرير: أكرم مسلم. رام الله: 2004.

4.السكاكيني، خليل. **يوميات خليل السكاكيني، كذا أنا يا دنيا**.القدس: المطبعة التجارية، 1955.

5.الكيالي، عبد الوهاب. خليل أحمد خليل. **موسوعة السياسة**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004.

6.**الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني الدراسات الخاصة.** المجلد الاول. ط1. بيروت: 1990.

7.النعيمي، أحمد نور.**الحياة السياسية في تركيا الحديثة 1990-1938م.** بغداد: 1990.

8.النمر، إحسان. **تاريخ جبل نابلس والبلقاء.** ط2. نابلس: مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، 1975

9.أنطونيوس، جورج. **يقظة العرب**. دمشق: مطبعة ألترقي، 1946.

10. تماري، سليم.**عام الجراد والحرب العظمى ومحو الماضى العثمانى من فلسطين: أيام مثيرة فى حياة العسكري إحسان القصيرة: يوميات جندي عثمانى 1915-1916م**. بيروت: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2008.

11.جوهرية، واصف. **القدس العثمانية فى المذكرات الجوهرية، الكتاب الأول من مذكرات واصف جوهرية 1904 -1917**.القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2003-2005.

12.جوهرية، واصف. **القدس الانتدابية فى المذكرات الجوهرية.** الكتاب الثاني من مذكرات واصف جوهرية، 1918-1948م، تحرير وتقديم: سليم تماري وعصام نصار. القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2005.

13.حماده، محمد عمر. **أعلام فلسطين من القرن الأول حتى الخامس عشر الهجري. من القرن السابع حتى العشرين ميلادي.** دمشق: دار قتيبة، .1985

14.حوراني، ألبرت. **الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939م**. ترجمة كريم عزقول، راجعه السفير أديب القنطار، بيروت: 1997 .

15.دروزة، محمدعزة. **مذكرات محمد عزة دروزة: سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمان1887-1948م** .ط1.ج4. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1933.

16.مكرم، جمال الدين ابو الفضل محمد بن (ابن منظور). **لسان العرب**. ج9. القاهرة: دار الحديث، 2003.

المصادر الثانوية:

1. آصاف، يوسف. **تاريخ سلاطين آل عثمان**. دمشق: دائرة البصائر، 1985.

2. أبوحنا، حنا. **مذكرات نجاتي صدقي**.ط1.بيروت: المؤسسة الفلسطينية، أيلول2001.

3. أبوعزة، محمد. **عصر السلطان عبد الحميد: وقائع عصره - تفاصيل عهده - وإدارته وسياسته - أسرار وخفايا قصور بني عثمان**. بيروت: المنارة الحمراء ،1997.

4. أفنيري، أريه، ل.**دعوى نزع الملكية: الإستيطان اليهودي والعرب في الفترة بين (1878-1948)م.** ط1**.** ترجمة بشير شريف البرغوثي، عمان: دار ألجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية، 1986.

5. اوغلي، الأميرة عائشة عثمان. **والدي السلطان عبد الحميد**. نقلها الى العربية صالح سعداوي. ط1. العبدلي، دار البشر جوهر الصقلي التجاري،1991.

6. البرغوثي، عمر الصالح. **المراحل**. ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2001.

7. ألخالدي، روحي**. اسباب الإنقلاب العثماني وتركيا الفتاة.** ط1. تحقيق خالد زيادة، ألقاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2011.

8. الخالدي، عنبرة سلام. **جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين**. بيروت: دار النهار للنشر، 1978.

9. الصلابي، علي محمد**. الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط** . ط1. بيروت : دار البيارق، 1999.

10. العارف، عارف. **المفصل تاريخ القدس.**ط4 .بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2007.

11. الغامدي، سعيد سعد سفر. **موقف العلماء والمفكرين في الدولة العثمانية من جمعية الإتحاد والترقي**. جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية .

12. الغزاوي، قيس جواد. **الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط** .ط2، بيروت: الدار العربية للعلوم ، 2003.
13. الغوري، إميل. **فلسطين عبر ستين عاما**.بيروت: دار النهار للنشر، 1973.
14. القاسمية، خيرية.**الحكومة العربية في دمشق 1918-1920م**.ط2 .بيروت: ألمؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982.
15. القاسمية، خيرية. "الحملة الإنتخابية في متصرفية القدس عام 1914م ،عودة إلى المقدمات وتحليل التوجهات " **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية.** العد18،17، ايلول 1998.
16. القاسمية، خيرية . **روحي الخالدي 1864-1913م**. تنفيذ واشراف يحي جبر، نابلس: منشورات الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر، 1996.
17. القاسمية، خيرية. "المقاومة العربية للصهيونية في أواخر العهد العثماني 1908-1917م " **دراسات تاريخية.**العدد11، كانون الثاني 1983.
18. الناصر، معتصم حسن أحمد. **ا لحياة السياسية العربية في القدس 1918-1934م** القدس: مؤسسة إحياء التراث الإسلامية ، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، حزيران 2009.
19. النشاشيبي، ناصر الدين. **أديب العربية: محمد إسعاف النشاشيبي: بعد مرور 50عاما على وفاته.** القدس: دار أخبار ألبلد، 1998.
20. الوعري، نائلة. **موقف العلماء والأعيان والإقطاعيين في فلسطين بين عام 1856-1914م** .ط1.بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 2012.
21. باشا، جمال. **مذكرات جمال باشا السفاح** .ط1. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2004.
22. بدوي، أحمد زكي. **معجم المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.** لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1990.
23. بيهم، محمد جميل . **فلسفة التاريخ العثماني.** بيروت: شركة فرح للطباعة، 1954.
24. تماري، سليم ."الرؤية العثمانية لفسطين، الترسيم العثماني الإثنوغرافي لفسطين وسوريا " **مجلة الدراسات الفلسطينية.** العدد84، خريف 2010.
25. تماري، سليم **. عام الجراد والحرب العظمى ومحو الماضى العثمانى فى فلسطين.** بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2008.
26. تماري، سليم.عصام نصار. **مدينة الحجاج والأعيان والمحاشي**.القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2005.

27. جمعة، محمد. **حياة الشرق، دوله وشعوبه وماضيه وحاضره.** القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1932.

28. جوهرية، واصف. "القدس1917: نهاية عهد وبداية عهد ".**مجلة حوليات القدس**. العدد3 ، ربيع 2005.

29. حجاوي، سلافه. "عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين". **مجلة حوليات القدس**. العدد7، بيروت: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2007.

30. حلاق، حسان علي. **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909م.** ط2. جامعة بيروت العربية، إصدار دار الهدى ،1990.

31. حموده، سميح. "ذكريات المعلم المقدسي فؤاد اسعد ابو السعود" **مجلة حوليات القدس** . عدد9، صيف 2010.

32. خضر، حسن. **خصوصية نشوء وتكوين النخبة الفلسطينية**.ط1. رام الله: معهد إبراهيم ابو لغد للدراسات الدولية، مؤسسة الناشر للدعاية والإعلان، نيسان 2003.

33. دراج، فيصل. "روحي الخالدي والمسألة الصهيونية: القدر الفلسطيني واستبداد ألقوة**" الكرمل**. العدد 56/55، 1998.

34. ذبيان، سامي. وآخرون. **قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية الاجتماعية**. لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1980.

35. رافق، عبد الكريم. **العرب العثمانيون**. دمشق: مكتبة ومطبعة السروجي، 1978.

36. رامزور، أرنست. **تركيا ألفتاة ثورة عام 1908م**. ترجمة صالح أحمد علي، راجعه نقولا زيادة. بيروت: دار مكتبة ألحياة، 1960.

37. سرور، د.موسى."الأوقاف الإسلامية في حارة النصارى في القدس والتحول الى ملكية مسيحية في أواخر العهد العثماني."**المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية.** مجلد1 .العدد42/41 ،جامعة بير زيت: دائرة التاريخ والآثار، 2010/12.

38. شبيب، سميح. **الاصول الإقتصادية والإجتماعية للحركة السياسية في فلسطين من عام 1920-1948م.** ط1.رام الله: مؤسسة ألأسوار عكا، بالتعاون مع وزارة الثقافة الفلسطينية ، 1999.

39. شوفاني، الياس. **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى عام 1949 م** .ط1. رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، كانون اول 1966.

40. صالح، جهادأحمد. **الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين**.ج2 .ط2. رام الله: منشورات الإتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينين، 2011.

41. صالح، جهاد أحمد. **محمد إسعاف النشاشيبى1882-1948 علامة فلسطينية وأديب العربية.** ط1. رام الله: الإتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينين، 2010.

42. صالح، محسن. **دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس**. ط1.بيروت: مركز ألزيتونة للدراسات والإستشارات، 2010.

43. صدقي، نجاتي. **مذكرات نجاتي صدقي**.ط1. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، أيلول 2001.

44. طنوس، عزت. الفلسطينيون ماض مجيد ومستقبل باهر.ج1.ط1. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث، ايار 1982.

45. عمر، يوسف حسين. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد 1876-1909م.** إربد: دار الكتاب الثقافي ،2005.

46. عمير، ميسون محمد أحمد .**النخب السياسية وأثرها على الوحدة الوطنية**. نخبة المجلس التشريعي الثاني نموذجا، 2012.

47. عوض، خالد. **القدس سجل مصور 1886-1948من نهاية العهد العثماني الى نهاية الانتداب البريطاني.** ط1.الناصرة: اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والعلوم، الهيئة العلمية للتواصل الثقافي، 2012.

48. عوض،عبد العزيز محمد. "متصرفية القدس في اواخر العهد العثماني " **مجلة شؤون فلسطينية ,** العدد 4 ، أيلول (سمبتبر)1974.

49. غصين، فائز. **مذكراتي عن الثورة العربية** .دمشق: مطبعة الترقي، 1956.

50. فريد، محمد. **تاريخ الدولة العلية العثمانية** .بيروت: دار الجيل، 1977.

51. فسمان، لويس. "حادثة الحرم الشريف 1911م: أعيان فلسطين في مواجهة الإدارة العثمانية." ترجمة سميح حموده. **حوليات القدس**. العدد8، شتاء/ربيع 2009-2010.

52. قاسمية، خيرية. "نجيب نصار في جريدته الكرمل 1909-1914 أحد رواد مناهضةالصهيونية **" مجلة شؤون فلسطينية ،** العدد 22، تموز1973.

53. قاسمية، خيرية."تطور ألقضية الفلسطينية في عهد الحكومة العربية في دمشق"**مجلة شؤون فلسطينية.** دمشق: آذار1971.

54. قدري، أحمد. **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى**. دمشق: 1993.

55. قيالي، حسن.**الحركة القومية بعيون عثمانية 1908-1918م**. ترجمة فاضل حتكر مراجعة زياد مني. ط1.دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، 2003.

56. كروم، حسنين."حول مذكرات السلطان عبد الحميد**"مجلة القضايا العربية**. مجلد6 .عدد1.كانون ثاني- نيسان 1979.

57. مانتران، روبير. **تاريخ الدولة العثمانية**. ترجمة بشير السباعي. ط1. القاهرة: دار الفكر ، 1993.

58. مسعود، قدري جمال جميل. **عائلة الحسيني في مدينة القدس ودورها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي 1918-1939م** . رسالة ماجستير، إشراف الدكتور محمد ريان، جامعة اليرموك، 1998.

59. مسلم، اكرم. "خليل السكاكيني إلى اخر القدس وإلى آخره " **حوليات القدس**. العدد9، مؤسسة الدراسات المقدسية، 2010.

60. مناع، عادل .**أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني 1800-1914م**.ط3. بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،1997.

61. مناع، عادل. "النخبة المقدسية: علماء المدينة وأعيانها **"مجلة حوليات القدس**.العدد 5، شتاء2007.

62. مناع، عادل . **تاريخ فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700-1918م.** ط ا. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999.

63. مناع ،عادل. **لواء القدس في اواسط العهد العثماني والإجارة والمجتمع منذ أواسط القرن التاسع عشر حتى محمد علي باشا 1831م** .ط1.بيروت: مؤسسة الدراسات المقدسية ،2008.

64. موسى سليمان ."الثورة العربية الكبرى ". **المجلة الثقافية** .العدد38، ايار /تموز 1996.

65. نصار، عصام. "القدس تحت حكم تركيا ألفتاة، دراسة في ضوء مصادر محلية" **حوليات القدس.** العد12، مؤسسة الدراسات المقدسية، شتاء 2010.

66. نصار، عصام. " القدس كمدينة عثمانية " **حوليات القدس**. العدد7 ، ربيع /صيف 2009.

67. نويهض، عجاج. **رجال من فلسطين .....من بداية القرن حتى عام 1948م** .ط1.بيروت : منشورات فلسطين المحتلة، 1981.

68. نيازملا، محمد قربان. **السلطان عبد الحميد وأثره في نشر الدعوة الإسلامية** .ط ا. مكة المكرمة: العزيزية، مكتبة المنارة، مدخل جامعة ام القرى، 1988.

69. هلال، جميل. **تكوين النخبة الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية إلى ما بعد قيام السلطة الوطنية.** ط 2. رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، مركز الأردن الجديد للدراسات ،2002.

70. ياغي، عبد الرحمن. **حياة الأدب الفلسطيني الحديث: من أول النهضة ... حتى النكبة**. ط2. فلسطين: وزارة الثقافة الفلسطينية، 2001.